جامعة السودان للعلوم و التكنولوجيا

كلية الدراسات العليا

كـلـيـة اللـغـات

قسم اللغة العربية

رسالة دكتوراه بعنوان :

دور الضمير في الربط من خلال سورتي {محمد و يوسف}

دراســة نحــوية

إعداد الدارس:
عصام عبد الله محمد

إشراف:
د.عبد الرحيم سفيان

2014م

Π

{ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ مَّرَدّاً }

{صدق الله العظيم}

{سورة مريم-الآية {76}

إهداء

إلى والدتي الحنون ...

إلى والدي الذي أعانني بفكره...

إلى زوجي التي شدت من عزمي ....

إلى أبنائي عبد الله و عبد الرحمن ....

إلى بناتي ملاذ'' و مودة و متاب و مأوى...

إلى روح ابنيّ محمد و أحمد...

:

إليهم جميعاً أهدي هذا البحث

شكر و تقدير

الحمد لله حمد الشاكرين، نحمده على عظيم نعمائه نعمة الصحة و العافية و التوفيق، و الصلاة و السلام على نبي الهدى محمد أفضل خلق الله .

و بعد

يقول المولى عز و جل :{ ِ لئن شكرتم لأزيدنكم }{إبراهيم7} - صدق الله العظيم.

أتوجه بالشكر و التقدير إلى أستاذي المشرف الدكتور: عبد الرحيم سفيان ، الذي له فضل الإشراف على رسالتي و إرشادي إلى المنهج العلمي، بالتوجيه و الصبر و التواضع و بث روح العزيمة ، حيث لم يضن علي بشيء فجزاه الله عني خير الجزاء و رزقه نعمة الصحة و العافية.

كما أتوجه بالشكر و التقدير إلى أسرة جامعة السودان للعلوم و التكنولوجيا، ممثلة في الإدارة و رئيس قسم اللغة العربية و هيئة التدريس و طلابها و كل العاملين بها.

و أمد صوت الشكر إلى الأيدي السمحة التي لها الشرف في طباعة البحث و تنسيقه و إخراجه بالصورة النهائية ممثلة في الأخ الأستاذ/ معتصم الدومة، و الأخت/ إيمان عباس بمركز كلية النيل الأبيض للعلوم و التكنولوجيا- كوستي.

مصطلحات البحث

(1)الخـط : الكـلام المكتـوب و لـيس المنطـوق فهـو الكتـاب الـذي يقـرأ فـي كـل مكـان و يدرس في أي زمان.

(2)**النُصْـبة :** هـي الحالـة الناطقـة بغيـر اللفـظ أو المشـيرة بغيـر اليـد، و ذلـك ظـاهر فـي خلق السموات و الأرض، و في كل صامت و ناطق و جامد و تام)[1].

(3)**الدلالــة الصــوتية :** الصـوت هـو آلـة اللفـظ و الجـوهر الـذي يقـوم بـه التقطيـع، و بـه يوجد التأليف.

(4)المخرج: محل خروج الحرف و تمييزه عن غيره.

(5)الجهــر: انحبـاس جـري الـنفس عنـد النطـق بـالحرف ثـم هـزة للـوترين الصـوتيين عنـد اندفاعه. و عكسه الهمس.

(6)الهمس: جريان النفس عند النطق بالحرف، لضعف الاعتماد على المخرج.

(7)**جريان النفس :** خروج الحرف.

(8)الشــدة: انحبـاس جـري الصـوت عنـد النطـق بـالحرف انحباسـاً يعيـق مـرور الـنفس تماماً، و عكسه الرخاوة.

(9)**الرخاوة:** جريان الصوت مع الحرف لتمام ضعفه لعدم الاعتماد على مخرجه.

---

1 - د.بدوي طبانة- معجم البلاغة العربية – ط1 1975- منشورات قاريونس – ص879.

(10) **الاســتعلاء :** و ضـده "الإسـتفال" و هـو ارتفـاع اللسـان عنـد النطـق بـالحرف إلــى الحنــك الأعلــى ، أمــا "الإسـتفال" فهـو انحطــاط اللســان عنـد خـروج الحــرف مــن الحنك إلى قاع الفك.

(11) الإطبــاق: انحصــار صـوت الحـرف بـين اللسـان و الحنـك الأعلـى لارتفـاع ظهر اللسان إلى الحنك الأعلى حين يلتصق .

(12) الزلاقــة و الإصــمات: الزلاقـة سـرعة النطـق بـالحرف المزلـق، أمـا الإصـمات فهو ما يصعب على اللسان النطق به .

(13) الصفير: هو صوت زائد يخرج من الشفتين عند النطق .

(14) القلقلــة: هـي اضـطراب الحـرف و تحركـه بحركـة عنـد النطـق بـه و هـو ساكن حتى يسمع له نبرة قوية.

(15) التكــرار: لغــة إعـادة الشــيء ، و اصــطلاحاً ارتعــاد اللســان عنــد النطــق بالحرف.

(16) التفشــي: لغـة الانتشـار، و اصـطلاحاً انتشـار الهـواء فـي الفـم عنـد النطـق بحرف الشين.

(17) العطــف: فــي اصـطلاح علمــاء النحــو، هـو أن يـدخل الثـاني فــي عمـل الأول و مشـاركته لــه فــي الحكـم سـواء كـان العطـف عطـف كلمـات أو جمـل. و عنـد البلاغيين ما يعرف بالوصل .

(18) التخيير (أو): هو تردد الفعل بين شيئين و تجعله لأحد.

(19) التخصيص: هو تقليل الاشتراك في النكرات.

(20) **التحديد/ التعيين :** هو رفع احتمال الاشتراك.

(21) **اسم الجنس:** ما لا يختص بواحد دون آخر من أفراد جنسه .

(22) **النكرة:** ما شاع في جنس موجود.

(23) **المعرفـــة:** كـل لفـظ وضـعه الواضـع لمعنـى معـين أو هـي اسـم يـدل علـى معين و التعيين ضد الشيوع في النكرة.

(24) **الحضـور العقلـي أو الـذهني:** هـو إدراك العقـل لمـدلول الكلمـة و فهـم المـراد منها بمجرد سماعها أو كتابتها .

(25) **الحضور الواقعي:** هو عالم المحسوسات أو العالم الخارجي .

(26) **الانسجام :** هو العنصر الذي يجمع بين الوحدة و التباين.

(27) **القصـــة:** حكايـةتسـتمد مـن الخيـال أو الواقـع أو منهمـا معـاً و تُبنـى علـى قواعد معينة من الفن الأدبي[2].

(28) **الحـــدث:** هـو الموضـوع الـذي تـدور حولـه القصـة، إذ يعتمـد عليـه فـي تنمية المواقف و تحريك الشخصيات و لا بد أن يستمد من الواقع[3].

(29) **الشخصـية :** هـي الكـائن الإنسـاني الـذي يتحـرك فـي سـياق الأحـداث و قـد تكـون الشخصـية مـن الحيـوان فتسـتخدم عندئـذ كرمـز يشـف عمـا ورائـه مـن شخصـية إنسانية.

(30) **الصـــراع: هـــو** الاحتكـاك بـين الشخصـية و نفسـها و عواطفهـا الذاتيـة و عقيدتها أو عقلها، أو بينها و شخصيات أخرى.

---

2 - مجمع اللغة العربية – المعجم الوجيز – ط الثالثة- المركز العربي للثقافة و العلوم – لبنان1400ه -1980م

3 - عزيزة مريدن- القصة و الرواية – ص25.

(31) **الحبكـــة القصصـــية:** هـــي كـــون حـــوادث القصـــة و شخصـــياتها مرتبطـــة ارتباطاً منطقياً، يجعل من مجموعها وحدة ذات دلالة محدودة[4].

(32) **التوقيت :** هو كيفية سير الأحداث في القصة .

(33) **الإيقاع :** هو كيفية تنوع الأحداث.

(34) **التشـــويق:** هـــو تفـــاوت درجـــات الانفعـــال، و كيـــف يشـــد الكاتـــب القـــارئ إلـــى قراءة القصة.

(35) **الحـــوار:** هـــو أحـــد الأســـاليب الحيـــة التـــي يســـتخدمها البشـــر فـــي الوصـــول إلـــى الحق بالإقناع و الحجة.

فهرسة الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة
الآية	**أ**
ا لإهداء	**ب**
الشكر و التقدير	**ج**

4 - د. عز الدين إسماعيل – الأدب و فنونه – ص 112.

مصطلحات البحث	د
فهرست الموضوعات	ح
فهرست الآيات	ل
المستخلص	ص
Abstract	ق
المقدمة	7-1
الباب الأول مفهوم الدلالة و المعارف	81-8
الفصل الأول مفهوم الدلالة و أدوات الربط	45-9
مفهوم الدلالة	13 – 10
أنواع الدلالة	17 – 13
أولا: الدلالة الصوتية	23-17
ثانيا: الدلالة الصرفية	23 – 23
ثالثا: الدلالة المعجمية	24 – 23
رابعا: الدلالة النحوية	25 – 24
أدوات الربط	45 – 25
أولا: أدوات العطف	35 – 28
ثانيا: أدوات الجر	37 – 35
ما يتعلق بمجموع الجملة	43 – 37
أدوات الربط الاسمية	45 – 44
الفصل الثاني المعارف و درجة تفاوتها في التحديد أو التعيين	81 – 46
مراتب دلالة الاسم	47 -
أولا: الفكرة	52 – 48

ثانيا: المعرفة	52 – 55
عدد المعارف	55 – 62
أولا: الضمير	62 – 65
ثانيا: العلم	65 – 70
ثالثا: اسم الإشارة	70 – 74
رابعا: اسم الموصول	75 – 77
خامسا: المعرف بأل	78 – 80
سادسا: المضاف إلى معرفة	80 – 81
الباب الثاني الضمير و دوره في إثارة انتباه السامع أو المتلقي	82 – 141
الفصل الأول أنواع الضمائر و درجتها من حيث التحديد و التعيين	83 – 118
الضمير لغة و اصطلاحا	84 – 88
أقسام الضمائر من حيث الوضع و من حيث الظهور و عدمه	88 – 96
أولا: الضمير المستتر	96 – 100
ثانيا: الضمير البارز	100 – 100
ضمير الفصل و الشأن	100 – 112
ضمير الفصل	112 – 115
ضمير الشأن	116 – 118
الفصل الثاني اتصال الضمير بالأسماء و الحروف و دلالتها و إثارة انتباه السامع (المتكلم – المخاطب – الغائب)	120 – 141
اتصال الضمير بالأسماء و دلالته	120 – 123
اتصال الضمير بالحروف و دلالته	124 – 126
إثارة انتباه السامع (المتكلم – المخاطب – الغائب و مرجعيته)	126 – 141
مواضع الإثارة المرتبطة بالضمير	126 – 130

مرجع ضمير الغائب	137 – 130
مواضع الإثارة المرتبطة بالتركيب	141 – 137
الباب الثالث : الجانب التحليلي	
الفصل الأول سورة محمد	172 – 143
محور السورة	144 – 144
جانب من التحليل اللغوي	172 – 144
الفصل الثاني دور الضمير في بناء القصة القرآنية و التطبيق عليها في قصة يوسف	216 – 173
مفهوم البناء و تقنيات القصة	182 – 174
أولا: الحدث	176 – 175
ثانيا: الشخصية	179 – 177
ثالثا: عنصر الزمان و المكان	180 – 179
رابعا: الحبكة القصصية	181 – 180
مراحل بناء القصة	182 – 181
قصص القرآن و أغراضه	184- 182
دور الضمير في عرض ا أحداث و الشخصيات	186 – 184
بيئة السورة {سورة يوسف}	190 – 187
علاقة الأحداث بالشخصيات و دور الضمير	201 – 191
الشخصيات و دلالة الزمان و المكان و دور الضمير في ذلك	216 - 201
الخاتمة	
النتائج و التوصيات	224 - 218
المصادر و المراجع	233 – 229

فهرست الآيات القرآنية

السورة	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
الفاتحة	((إياك نعبد و إياك نستعين))	5	101
البقرة	((و علم آدم الأسماء كلها.... الحكيم))	22-21	10
	((الذين يؤمنون بالغيب و يقيمون الصلاة... المفلحون))	5-3	75
	((ذلك الكتاب لا ريب فيه... للمتقين))	2	74
	((هو الذي خلق لكم مافي الأرض جميعاً))	29	94
	((و اشكروا الله إن كنتم إياه تعبدون))	127	94
	((هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً))	29	128
	((لا تأخذه سنة و لا نوم))	255	128+94
	((قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي))	68	128
	((إنها بقرةٌ صفراء ...))	69	128
	((فمن يرغب عن ملة إبراهيم ...))	130	129
	((إلا الذين تابوا و أصلحوا ...))	160	129
	((إن كن يؤمن بالله و اليوم الآخر ...))	228	129
	((و من أظلم ممن منع مساجد الله ....))	114	129
	((تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ....))	134	130
	((قل أتحاجوننا في الله و هو ربنا ...))	139	130

	((فأدع لنا ربك يخرج لنا ....))	61	130
	((و إذ استسقى موسى لقومه ...))	60	133
آل عمران	((إن في خلق السموات و الأرض ... فقنا عذاب النار))	190 -191	15
	((قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني ....))	31	39
	((و ما يفعل من خير ....))	115	39
	((هم درجات عند الله .... بما يعملون))	163	128
	((و لتكن منكم أمة يدعون إلى الخير))	104	135
النســاء	((و لا تبدلوا الخبث بالطيب ... حوبا كبيرا))	2	155
المائدة	((كنت أنت الرقيب ... شهيد))	117	113
	((و لله ملك السموات ... كل شئ قدير))	17	134
	((لله ملك السموات ... كل شئ قدير))	120	135
الأنعام	((و منهم من يستمع إليك ... إلا أساطير الأولين))	25	26
	((و إن يمسسك الله بضر ... على كل شئ قدير))	17	39
	((فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي ...))	36	73
	((... النخل و الزرع مختلفاً أُكله ...))	141	133
الأعراف	((و بينهما حجاب و على الأعراف ... و هم يطمعون))	46	53
	((فوسوس لهما الشيطان ...))	20	128
	((و كم من قرية أهلكناها ... أو هم قائلون))	4	132
الأنفال	((و إن تنتهوا فهو خير لكم))	19	131
التوبة	((يحلفون بالله لكم ... إن كانوا مؤمنين))	62	134
هود	((و لقد جاءت رسلنا ... بعجل حنيز))	69	25
	((إذ قال لهم أخوهم هود ألا تتقون ...رب العالمين))	127-124	131
	((و استوت على الجودي و قيل ... الظالمين))	44	140
يوسف	((نحن نقص عليك أحسن القصص ...)	1	3
	((و جاء إخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم ...))	58	49

	((إذ قال يوسف لأبيه ...))	4	134
	((قال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها ...))	30	134
	((لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ... لقوم يؤمنون))	111	183
	((و ما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم من أهل القرى عن القوم المجرمين))	110 – 109	184
	((فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل أخيه ...))	75 – 70	185
	((إذ قال يوسف لأبيه يا أبتِ إني رأيت أحد عشر ... إن ربك عليم حكيم))	6 – 4	187
	((اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضاً يخل لكم وجه أبيكم ...))	10 - 9	189
	((و رفع أبويه على العرش ... إنه هو العليم الحكيم))	100	189
	((قالوا يا أبانا مالك لا تأمنا على يوسف ...))	12 – 11	190
	((قال إنّي ليحزنني أن تذهبوا به ...))	13	191
	((إذ قالوا ليوسف و أخوه أحبُّ إلى أبينا ...))	8	191
	((قالوا لئن أكله الذئب و نحن عصبة ...))	15-14	194
	((قال الملك ائتوني به استخلصه لنفسي ...))	54	197
	((و جاء أخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم ...))	59 – 58	198
	((و قال لفتيانه أجعلوا بضاعتهم ...))	66 – 62	198
	((و قال يا بني لا تدخلوا من باب واحد ...))	68 – 67	198
	((قالوا يا أيها العزيز إنّ له أباً شيخاً كبيراً ...))	79 – 78	199
	((أذهبوا بقميصي هذا ...))	99 – 87	199
الرعد	((الله الذي رفع السموات و الأرض... ترونها))	2	133
إبراهيم	((لئن شكرتم لأزيدنكم))	7	ج
الإسراء	((إن السمع و البصر ... عنه مسئولاً))	36	73
	((و قضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه))	23	101

الكهف	((و احيط بثمره ... بربي أحدا))	46	99
	((فوجدا عبداً من عبادنا ... و لا أعصي لك أمرا))	69-65	99
مريم	((و يزيد الله الذين ... و خير مردا))	76	أ
	((أولا يذكر الإنسان ... و ربك لنحشرنهم))	67 – 68	135
طه	((فأكلا منها .... فغوى))	121	129
الحج	((و أذن في الناس بالحج ... ضامر))	27	84
	((إنها لا تعمى الأبصار ... في الصدور))	46	118
المؤمنون	((إنه لا يفلح الكافرون ...))	117	117
	((و لقد خلقنا الإنسان ... قرار مكين))	13 - 12	132
النور	((ألا إن لله ما في السموات .... بكل شئ عليم))	64	132
النمل	((قال نكّروا لها عرشها .... الذين لا يعتدون))	41	49
القصص	((و كنا نحن الوارثين))	58	113
العنكبوت	((وو صينا الإنسان بوالديه ... بما كنتم تعملون))	8	132
الروم	((و إذا أذقنا الناس ... إذا هم يقنطون))	36	40
لقمان	((أولئك على هدى من ربهم و أولئك هم المفلحون))	5	73
سبأ	((... بل مكر الليل و النهار...))	33	122
فاطر	((إنا أرسلناك بالحق ... فيها نذير))	24	135
يس	((و أضرب لهم مثلا أصحاب القرية ... إليكم مرسلون))	14-13	182
الصافات	((و أرسلناه إلى مئة ألف ... و إنهم لكاذبون))	147 – 152	131
الزمر	((و الذي جاء بالصدق ... هم المتقون))	33	135
الأحقاف	((... و هما يستغيثان الله))	17	128
محمد	((الذين كفروا و صدوا عن سبيل الله ...))	7-1	1
	((أفمن كان على بينة من ربه ...))	14	14
	((الذين آمنوا و عملوا الصالحات و آمنوا بما نزل على محمد...))	2	149

	((ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل ...))	3	151
	((فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا ...))	4	153
	((فهل ينتظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة ...))	19	157
	((و كأين من قرية هي أشد قوة من قريتك ...))	14-13	158
	((يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم و يثبت أقدامكم ...))	12-7	160
	((مثل الجنة التي وعد المتقون ....))	15	163
	((و يقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة فإذا أنزلت ...))	25 - 20	168
	((فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض ...))	25 – 22	169
الجمعة	((و إذا رأوا تجارة أو لهواً انفضوا إليها))	11	133
المزمل	((إنا أرسلنا إليكم رسولاً ... و بيلاً))	16-15	78
الضحى	((و الضحى و الليل إذا سجى ... ما قلى))	3-1	137
	((فأما اليتيم فلا تقهر .... فلا تنهر))	10 - 9	138
العصر	((و العصر إن الإنسان لفي خسر))	2 - 1	17
الإخلاص	((قل هو الله أحد))	1	117

المستخلص

إن للغة العربية أسلوبا منفردا في مخاطبة النفس البشرية و التأثير فيها بتلك الحروف و التركيب، و يرجع الفضل في صحة ذلك إلى علم النحو و أحكامه في تركيب الجملة ثم ربطها بجمل أخرى تنوعت بين الجمل الأسمية و الفعلية و بحسب الأغراض و المقاصد. فغرض كل كلام هو اقتفاء أثر المعنى الذي تؤديه الكلمة في سياق تركيبها.

فأول نظم هو ذلك النظام الصوتي الذي قسمت فيه الكلمة إلى حركة و سكون تقسيما يجدد نشاط السامع لسماعه، ثم تندرج هذه الكلمة في تراكيب مع ألفاظ أخرى منسجمة على قواعد محكمة، ثم انتظام هذه التراكيب على نظام ربط فريد لتأدية المعنى فالضرورة توجب وجود رابط يقوم بذلك.

إن معظم الدراسات السابقة لم تفرد للروابط مساحة خاصة بها لدراستها إلا ضمن ما تنضوي إليه من أقسام و مباحث علم النحو. لذلك تأتي أهمية هذه الدراسة في كونها تسهيلا لطالب العلم، فإذا علمنا أن الروابط منها ما هو حرفي و منها ما هو الاسمي ، فإن هذه الدراسة تجيب عن سؤال ما دور الضمير في الربط، و ما علاقته بالروابط الأخرى و هل لاتصاله بالاسماء و الحروف و الأفعال دلالة تختلف من موضع إلى موضع؟ و ما أثر ذلك على البناء سواء كان البناء يختص بتركيب الجملة أو بناء الكلام عامة أو القصة؟ .

و المنهج المتبع في الدراسة المنهج التحليلي الوصفي و من ثم الاستنتاج، ذلك أن كل عنصر في بنية النص يمثل جزءا في بناء دلالته سواءا كان عند صرا صوتيا أم صرفيا أم نحويا.

بالنظر إلى سورتي (محمد و يوسف عليهما السلام) نجد هناك معنى عام تتبعه معان أخرى ربطت بين أجزائها في نسق واحد روابط منها الضمير تمثل حدود الدراسة. إن التركيز على الضمير في النصين أمر له مدلوله الذهني ما يجعل السامع في حالة نشاط عقلي دائم.

و خلصت إلى نتائج منها إن أكثر الروابط الاسمية تكرارا هي الضمائر و أسماء الموصول غير أننا لا نحس بتكرارها لأن اسم الموصول يختلف معناه باختلاف جملة الصلة و كذا الضمير العائد يختلف باختلاف جملة الصلة، فالعلاقة بين الضمير و اسم الموصول علاقة معنى و ربط تؤديان دورا واحدا هو المعنى بمرونة تتوافق مع أي موقف. و إن ما يختص به الضمير من البناء و الجمود أمر مثير للانتباه، ذلك أن بنيته تثبت على صورة واحدة غير متغيرة ، متكررة مع ثبات معناه و دلالته، فاختصار لفظه و جموده ازالت الالتباس ما جعل التركيب بعيدا عن التعقيد الذي يثير غضب السامع فالراحة النفسية ينتج عنها إثارة الانتباه و من ثم التركيز على المعنى.

Abstract

Arabic language has a unique style in addressing the human psyche and influencing it with letters and structures and all these based on syntax and its rules in forming a sentence structure then linking it with another one either it is a verbal or a nominal sentence according to purpose and objectives. The purpose of all speech is to trace the meaning played by the word in the context.

The first system is the vocal system in which the word is divided in voice and voiceless which renews the listener activity, and then this word falls in combination with another word harmonized on précised rules. The regularity of these structures is a unique system performing the meaning and there must be connector to do so.

Most previous studies did not give connectors a special concern, but within what is involved in syntax units and items, so the importance of this study is that: it paved the way to student. If we know that connectors are either prepositional or nominal so this study might answer the questions: what is the role of pronoun in connecting? What its relation with other connectors? Is there any significance in linking with nouns, verbs and prepositions? What is the effect of this relation on structure either it is the a sentence, speech or a story?

The study used analytical descriptive approach then the deduction because each element in the structure represents a significant part whether it is vocal, morphological or syntactic.

Looking at Mohammed and Yousif suras (peace of Alla be upon them) me find that: there is a general meaning followed by another one linking between their parts in a single formal with other connectors such as a pronoun which represent the limits of this study, focusing on the pronoun in the two texts gives a mental significance in motivating the listener .

The study concluded to the following results: the most common connector in repetition is pronouns and relative pronouns, but we do not feel this repetition because a relative pronoun differs in meaning according to the relative clause and so does the pronoun. The relation between the pronoun and the relative pronoun is a connecting and semantic relation because both of them play a flexible and single role according to the situation. The specialization of the pronoun in static case is an interesting matter because its structure is fixed in one way, non changeable and repetitive with a fixed meaning and significance which makes the structure not ambiguous or complicated but more comfortable to the listener attracting him to pay attention and focuses on the meaning.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد و على آله و صحبه أجمعين.

إنّ للقرآن أسلوباً متفرداً في مخاطبة النفس البشرية و التأثير فيها بتلك الحروف و التراكيب، فهو يضعنا أمام صورة حافلة بالحركة و الحياة ليقربنا من المعنى. فنجد فيه التسلسل المعنوي بين الأغراض. كما نجد التناسب في الانتقال من غرض إلى غرض، فقد جاء القرآن بلغة سحرت بلغاء العرب في نظِمها و بيانها.

فإن من ملامح أسلوب القرآن هو اقتفاء أثر المعنى الذي تؤديه الكلمة في سياق تركيبها، و معنىذلك أنه ليس الغرض بنظم الكَلِم أن تتوالى ألفاظها في النطق، بل هو تناسق دلالتها و تلاقي معانيها على الوجه الذي يقتضيه العقل.

و تتجلى خصوصية أسلوبه في اختيار الكلمة الدقيقة السائغة في التركيب لتؤدي معنى ليس منفصلاً لذاته بل معناها في الجملة التي تقع فيها.

و يرجع الفضل في صحة النظم إلى علم النحو و أحكامه في تراكيب الجملة، ثم ربطها بجمل أخرى تنوعت بين الجمل الاسمية و الفعلية بحسب الأغراض و المقاصد، فننظر إلى الخبر و الوجوه التي يرد عليها و الشرط و الجزاء و ما يتخللهما من روابط معنوية و الحال و ما يرد عليه، و الحروف التي تشترك في معنى، ثم ينفرد كل واحد منها بخصوصية. فيضع كلاً من ذلك في معناه الخاص، و ينظر إلى الجمل التي تُسرد فيعرف موضع الفصل و الوصل، ثم يعرف فيما حقه الوصل

موضع الواو من موضع الفاء، و موضع الفاء من موضع ثم، و موضع أو من موضع أم، و موضع لكن من موضع بل.

و يتصرف في التعريف و التنكير، و التقديم و التأخير في الكلام كله، و في الحذف و التكرار و الإضمار و الإظهار، فوضع كلاً من ذلك في مكانه.

فأنت مع القرآن بهذا التنوع دائماً في تنغيم متجدد، تنتقل فيه بين حقول متعددة من المعاني فلا تملّ من كثرتها و لا تسأم منه بل تطلب المزيد.

إن أول نظم في القرآن، ذلك النظام الصوتي الذي قُسِّمت فيه الكلمة إلى حركة و سكون تقسيماً منوعاً يجدد نشاط السامع لسماعه، ثم تتدرج هذه الكلمة في تركيب مع ألفاظ أخرى منسجمة على قواعد محكمة لا تتنافر بينها، ثم تنتظم هذه التراكيب على نظام ربط فريد لتؤدي المعاني و الأغراض.

بالنظر إلى سورة محمد، و سورة يوسف نجد تلك الخصائص واضحة سواءً كانت في الكلمات أو التراكيب. فهناك معنى عام تتبعه معاني أخرى ربط بين أجزائها في نسق واحد روابط منها الضمير، فجاءت هذه الدراسة لتبين دور الضمير في الربط من خلال [سورة محمد،و سورة يوسف]. النص الأول يمثل النص المجرد، بينما الثاني يمثل النص في سياقه القصصي غير المجرد.

إن السبب الذي أدى إلى اختيار هذا الموضوع، هو وقوفي المتأني في سورة محمد متدبراً معانيها و ممعناً النظر فيها، لاحظت انتشار ضمير الغائب المبني على الهاء بطريقة لافتة للنظر بل نجده في كثير من الأحيان أو قل كل الأحيان أنه أُتخذ فواصل للآيات تتكرر و يتكرر معها نغم صوتي جذاب مصدره هذه الفواصل، التي ختمت بها الآيات في إيقاع لا

تحس معه مللا، بل يزيد من سكينة النفس، و لا ينفصل المعنى عنها فهي مترابطة معه رباطا وثيقاً نحو قوله تعالى:**الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ{1} وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ{2} ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ{3})**[1]. و لا يقف الأمر عند ذلك الحد بل نجد تكرار ضمير الغائب في ثنايا الكلام، فما سُر ذلك ؟.

من ناحية أخرى وقفت عند قوله تعالى:(نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ{3})[2]. فإن اسم التفضيل (أحسن) في الآية جعل الدارس في حالة فكر دائم للبحث عن مصدر الأفضلية التي أشار إليها النص القرآني بقوله:(مَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ) فإن التعبير باسم الموصول العام(ما) غير محدد الدلالة يعتبر من إعجاز القرآن، غير أن جملة الصلة تقرب من المقصود و لا تحدده تحديداً مطلقا، وعند الإمعان في النص لاحظت الوجود المتكرر للضمير بصورة عامة و ضمير الغائب الذي يصاحب الشخصية الرئيسة في جميع مراحل بناء القصة، إن التركيز على الضمير سواء كان في الأسلوب القصصي أو النص المجرد حفز الدارس في اختياره باعتباره أداة ربط لأجزاء الكلام المتعددة و أداة بناء الشخصية المحورية في القصص، و ملاحظة الدور الذي يقوم به.

---

1 - محمد ، الآيات (1-3).

2 - سورة يوسف الآية (2)

و تـأتي أهميـة هـذا البحـث فـي الإفـادة مـن المفـاهيم و الأسـاليب النحويـة و اللغويـة باعتبارهـا عوامـل الدلالـة المهمـة لاحتوائهـا علـى مضـامين عديـدة تعـين الـدارس في بيان دور الضمير في الربط من خلال النصين المحددين.

أمـا المـنهج الـذي اسـتخدم فـي الدراسـة هـو المـنهج الوصـفي التحليلـي مـع اسـتنطاق بعـض النصـوص و مـن ثّـم الاسـتنتاج، و بـذلك يكـون المـنهج المتبـع وصـفي استنتاجي.

و قد اشتمل البحث على ثلاثة أبواب لكل باب فصلان:

الباب الأول: بعنوان مفهوم الدلالة و المعارف:

- الفصل الأول: تناولت فيه مفهوم الدلالة و أدوات الربط، فتعرفت على المعنى اللغوي و الاصطلاحي للدلالة و أدواتها المتمثلة في الإشارة و الخط و الذُصبة و اللفظ، ثم وقفت عند أنواع الدلالة، الدلالة الصوتية ، فقمت بتصنيف الحروف و بينت صفاتها، ثم الدلالة الصرفية، فالدلالة المعجمية (الاجتماعية) ثم ختمتها بالدلالة النحوية. فإن مجموع هذه الدلالات، سواء كانت تتعلق بالعبارة المنطوقة أو تلك الأصوات المتمثلة في الحروف المكونة للكلمة يفيد منها الدارس لبيان دور الضمير في الربط لأن الضمير هو لفظ من الألفاظ فلا بدّ من أن يجرى عليه ما جرى للألفاظ الأخرى مما سبق، ثم تناولت أدوات الربط بالدراسة حيث قسمت الجمل إلى قسمين حسب تصنيف علماء النحو:
- جمل رئيسة مستقلة بنفسها،و هي التي لم تكن قيداً في أخرى فهذا النوع لا يحتاج إلى رابط كالجملة المستأنِفة، و الجملة الحوارية و المعترِضة و الجملة المفسرة.

- جمل غير رئيسة، و هي الجمل غير المستقلة بنفسها، بل تكون قيدا في جملة أخرى كالجملة الخبرية و هي الجملة المتممة للمعنى في الجملة الاسمية، و جملة الحال و الجملة التابعة كجملة العطف والنعت و يلحق بها جملة الصلة. وجملة جواب الشرط، فبالرغم أن الجمل السابقة خاضعة لما قبلها و مرتبطة بها ارتاطاً وثيقاً إلا أنها تحتاج إلى رابط لفظي يربطها بالجملة الخاضعة لها.

و الروابط نوعان: حروف و أسماء، أما الحروف فتتمثل في أدوات العطف بأنواعها و حروف الجر و بينتُ وظيفة كل حرف، ثم وقفت عند الروابط التي يتعلق ربطها بمجموع الجملة كحروف النفي و الاستفهام و الشرط و الجزاء و بينت دورها.

ثم تناولت بعض الروابط العارضة كالفاء الرابطة لجواب الشرط، و الفاء الرابطة للمبتدأ المفيد للعموم و جملته الخبرية كلفظ (الذي، كل ، من)، و الفاء السببية ، و واو المعية، و الموصول الحرفي ، ثم عرجت إلى الروابط الاسمية كأسماء الموصول و أسماء الشرط و الضمير، و الهدفُ من الوقوف عند هذه الروابط وضع خلفية عن أدوات الربط لتكون مدخلاً إلى دور الضمير في الربط.

- الفصل الثاني: فكان بعنوان المعارف و درجة تفاوتها في التحديد أو التعيين، فبينت فيه مراتب دلالة الاسم في مرحلة النكرة و مرحلة التخصيص و مرحلة التعريف أو التعيين، ثم تعرفت إلى كل معرفة و درجة تحديدها مرتبة وفق الدرجة. حيث الضمير فالعلم بأنواعه ثم الإشارة و اسم الموصول فالمعرف بال، و أخيرا المضاف إلى معرفة. و سياق النكرة و المعارف على هذا النحو لصلتها بالضمائر فالعلاقة متبادلة فقد تكون مرجعاً يرجع إليه الضمير في

حالة ضمير الغائب، أو الإنابة عنها في بعض المواضع لأسباب بلاغية في كل المعارف و الكُنية بها و إحلالها محلها لإفادة المعنى أو تهيئة الموقف ببدء الحوار خاصة في حالة ضمير المتكلم أو المخاطب لذلك جاء التعرف على النكرة و المعرفة.

أما الباب الثاني فكان بعنوان: الضمير و دوره في إثارة انتباه السامع أو المتلقي:

الفصل الأول بعنوان: أنواع الضمائر و درجتها من حيث التحديد و التعيين:

وقفت أولا عند دلالة الضمير لغة و اصطلاحا و خصائصه بصورة عامة ثم وقفت عند أقسام الضمير باعتباراتها المختلفة موضحاً و مفصلاً القول من جميع جوانبه من حيث الوضع، و البنية و الظهور و الاستتار، و الفصل و الوصل و علاقة كل ضمير بالآخر ثم توصلت إلى أن الضمائر عامة و خاصة، أما العام فهو الذي يندرج في السياق بدون قيد أو شرط، أما الخاص فهو ما يأتي في سياق الكلام إلا بشرط كضمير الفصل و ضمير الشأن.

الفصل الثاني:

وقفت على دلالة كل ضمير عند اتصاله بالأسماء و الحروف و أثر ذلك في إثارة انتباه السامع و الهدف من ذلك وضع الدارس و تزويده بمجموعة معلومات تعينه في تحليل النص اللغوي.

أما الباب الثالث فكان مخصصاً للجانب التحليلي للبحث:

الفصل الأول:

تناولت فيه سورة محمد بالشرح و التحليل و المقاربة للتوصل إلى دور الضمير في الربط، باعتبار سورة محمد تمثل النص المجرد .

الفصل الثاني:

تحليل لسورة يوسف و لما كانت تمثل النص القصصي غير المجرد فلا بد من الوقوف في تقيات القصة بعناصرها المختلفة، و الوقوف عند طُرق العرض و غيرها لوضع خلفية للدارس في معرفة المفاهيم من شخصيات و أحداث و زمان و مكان و حبكة قصصية و بناء و غيرها تفيده في تحليل النص، ثم قارنت بين النصين و ربط العلائق ليظهر دور الضمير جلياً .

و ختمت البحث بأهم نتائج الدراسة، فإن وفقت فذلك الفضل من الله سبحانه و تعالى، و إن أخطأت فالله نسأل أن يهديني سواء الصراط، فهذا البحث ثمرة جهدي و ما أفضى إليه جدي و اجتهادي خدمة لكتاب الله رغم كثرة المشاغل و الهموم.

الباب الأول
الدلالة و المعارف

الفصل الأول :

مفهوم الدلالة و أدوات الربط

الفصل الثاني :

المعارف و درجة تفاوتها في التحديد أو التعيين

الضمائر- العلم – الإشارة – الموصول – المعرف بال – المعرف بالإضافة

الفصل الأول

مفهوم الدلالة و أدوات الربط

مفهوم الدلالة:

درج علمـاء النحـو فـي التفريـق بـين اللفـظ والكلمـة ،لأنهـم يربطـون بينهـا وبـين دلالتهـا، فـإنهم يستشـعرون مـع اللفـظ عمليـة النطـق وكيفيـة صـدور الصـوت، ومـا يسـتتبع هـذا مـن حركـات اللسـان والشـفتين. فـإذا ربطـت هـذه الأصـوات المنطـوق بهـا ،ومـا يمكـن أن تدل عليه من معني تكونت في رأيهم الكلمة][1].

1- د. إبراهيم أنيس – دلالة الألفاظ –ط الرابعة 1980. مكتبة الأنجلو المصرية ، صـ38

فالكلام عملية معقدة ، تبدأ من صدور الصوت ، إلي مرحلة تكوينه ، وتشكيله في الكلمة أو العبارة ، فهذه العملية قد شغلت المفكرين والباحثين منذ زمن بعيد ، فكان بعضهم يري أن الألفاظ في نشأتها الأولي لم تكن تهدف إلي فهم أو إفهام ، بل كانت مجرد أصوات أو مجموعات صوتية يصدرها جهاز النطق للهو واللعب والغناء ثم اكتسبت الدلالة.

وبعض أخر يري بأن اللغة توقيفية ،وأن لا بدٌ للإنسان في نشأتها. وقد استندوا إلي قوله تعالي : [وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (*) قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ(*)]1

ومهما يكن من خلاف في نشأة اللغة فإن هنالك حقيقة تؤكدها كل الآراء التي تناولت هذا الموضوع . وهي أن لكلِّ صوت دلالة معينة ، سواء كان الصوت يتعلق بحرف أم كلمة أو عبارة.

ذلك (أن النحو والدلالة يتعانقان تعانقاً حميماً بحيث يكون الفهم الصحيح للنحو هو الفهم الصحيح للأساس الدلالي الذي يقوم عليه النص. فإن كل عنصر في بنية النص يمثل جزءاً في بناء دلالته، سواء كان عنصراً صويتاً أم صرفياً أم نحوياً)[2]

.

فالوصف النحوي ليس جامداً أصم خالياً من الدلالة إذ أن الوصف النحوي وصف للعلاقات التي تربط عناصر الجملة الواحدة ببعضها الآخر ، والعلاقة التي تصفها القواعد النحوية. هي نفسها مستمدة من أمرين أحدهما: لغوي يحكمه وضع

2- البقرة: (31 - 32).

1- د. محمد حماسة عبد اللطيف – النحو والدلالة، مدخل لدراسة معني النحو الدلالي، ط الثانية 2005، دار غريب، القاهرة. صـ8

الكلمات بطريقة معينة وبصيغة معينة في كتل صوتية خاضعة له. و الآخر عقلي ، وهو المفهوم المترتب علي الوضع السابق ، من حيث ارتباط كل هيئة تركيبية بدلالة وضعية معينة . وكلا الأمرين متعاونان، بطريقة متداخلة لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر))[1]

فلا يصح عند التفسير أن يؤخذ اللفظ وحده معزولاً عن سياقه الخاص أو العام، ونقصد بالخاص تركيبه في جملته وعلاقته المتبادلة مع الألفاظ الأخرى ، التي تكوِّن معه الجملة ، وسياقه العام هو النص كله . فالكلمة في نص يكون لها دلالة تختلف عن دلالتها في نص آخر ، فكان لابدَّ من الوقوف عند مفهوم الدلالة . والاستعانة به في معرفة بعض المفاهيم .

الدلالة من حيث اللغة :

جاء في لسان العرب: دلّه علي الشئ ، دلاً ، ودَلالةً ، فاْندل: سدده إليه.

والدليل: ما يستدل به .

وقد دلّه علي الطريق يُدِلُّه دَلالة ، دِلالة ،دُلولةً))[2].

كما جاء في المعجم الوسيط ، دلّ عليه وإليه ، دِلالة : أرشد .

ويقال: دله علي الطريق ونحوه : سدده إليه ، فهو دالّ . وأستدلّ بالشئ علي الشئ : اتخذه دليلا))[3] .

2- المرجع السابق، صـ50.

2 ـ أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور – لسان العرب مج 11 – مادة ((دلّ)) – دار صادر – بيروت.

1- مجمع اللغة العربية (مجموعة باحثين) – المعجم الوسيط – جـ 1. مادة ((دلّ)) ، مطابع قطر الوطنية.

فبالنظر إلي مادة هذا اللفظ ، نجد أن المعاجم ، قد اتفقت على معنى عام لهذه اللفظة ،يشير إلي أن هناك وسيطاً عن طريقه قد يتم الوصول إلي هدف معين، أو غاية . فقد يكون الهدف مادياً ، فأداته الدليل أو المرشد .

جاء في حديث علي(رضي الله عنه) في صفة الصحابة رضي الله عنهم. يخرجون من عنده .أدلّـه ؛ هو جمع دليل ، أي بما قد علموا فيدلون ، عليه النّاس ، يعني يخرجون من عند رسول الله فقهاء فجعلهم أنفسهم [أدِّله][1]. أو أن يكون الهدف معنوياً فكرياً فأداته اللفظ. كما أشار إلي ذلك المعجم الوسيط ((الدلالة الإرشاد ، وما يقتضيه اللفظ عند إطلاقه)[2].

ولمَّا كانت هذه الدراسة تتعلق بالجانب الفكري المعنوي للفظة (دلّ) ، فإن اللفظ يمثل أداة الدلالة . وعلاقة اللفظ بالمعني قضية قديمة أثارت فكر الباحثين، فهنالك علماء اللغة والنفس والفلسفة والقانون والصحافة والطبيعية كلٌّ تناول المصطلح بطريقته الخاصة، فتعددت الدراسات ، ولعلّ ذلك يعود إلي تطور ونمو الألفاظ من جهة، ومدلولها من جهة أخري فهي في حالة تغير وتحول دائمين.

(فالإنسان كلامه كثير التنوع متعدد الألوان ،ولا تكاد تحصي أصواته أو ألفاظه ،فهو يتخذ لكل منها دلالة معينة تحقق له غرضاً معيناً من أغراض الحياة)[3]

يؤكد الكاتب أن أصوات اللغة و ألفاظها كثيرة ومتنوعة يصعب علي المرء إحصاؤها ورغم هذه الكثرة ، فإن لكل لفظ دلالة لارتباطها بالأغراض . فكان لابدّ من التعرف علي أنواع الدلالة .

---

1 ـ المصدر السابق: صـ: 250

2 - مجموعة علماء – المعجم الوسيط – مادة دلّ.

3 ـ مجمع اللغة العربية (مجموعة باحثين) – المعجم الوسيط – جـ 1. مادة ((دلّ)) ، مطابع قطر الوطنية.

أنواع الدلالة :

إن أيــةُ كلمــة يتخـذ لتعريفهــا أو تحديـدها أساســان همــا، اللفـظ والمعنــي ذلـك أن الكلمــة (لفـظ مفـرد دلّ علــي معنــي). فبالإمعــان فــي التعريــف الســابق، يعتمــد علــي الأســاس الصــوتي لتحديـد معــالم الكلمــة ، ولكنــه وحــده لا يصــلح . فــلا بــد مــن اشــتراك معني ،الكلمة ووظيفتها اللغوية وهي مركبة ، وينتج عن ذلك مجموعة من الدلالات.

يقــول الــدكتور عبــد الله الطيــب : (نحــن نقضــي حياتنــا فــي صــراع مــع تلــك الــدلالات وينــدر أن يســيطر أحــدنا علــي دلالــة كــل الألفــاظ ، بــل يكــاد يكــون هــذا مســتحيلاً .)[1] يشــير إلــي أن هنــاك مجموعــة مــن الــدلالات يصــعب الســيطرة عليهــا منهــا ما يستمد من طبيعة الأصوات ومنها ما يستمد من نظام الجملة العربية .

وذكــر الجــاحظ أن جميــع أصــناف الــدلالات علــي المعــاني مــن لفــظ ، وغيــره خمســة أشــياء ، اللفــظ و الإشــارة ، والعقــد ، الخــط ثــم الحالــة التــي تســمي ذُصْــبة ، والذُصْبَة هــي الحالــة التــي تقــوم مقــام تلــك الأصــناف ... ولكــل واحــدة مــن هــذه الخمســة ، صــور باينــة مــن صــورة صــاحبتها ، وحليــة مخالفــة لحليــة أختهــا ، وهــي التــي تكشــف لــك عــن أعيــان المعــاني فــي الجملــة ؛ ثــم عــن حقائقهــا فــي التفســير ، وعــن أجناســها واقتــدارها وعن خاصتها وعامتها ...))[2] .

فالجــاحظ يقســم الدلالــة علــي المعنــي إلــي خمســة أصــناف، اللفــظ ، الإشــارة ، العقــد ، والخــط ، والنصْــبة . ولكــل صــنف صــور متباينــة تختلــف عــن أختهــا ، وبإمعــان النظــر نجــد أن هنــاك صــلة بينهــا ، وان اللفــظ هــو الأســاس، ومــا ســواه فــرع منــه ومعــين لــه

1- د. عبد الله الطيب – المرشد إلي فهم أشعار العرب .

2- أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ – البيان والتبيين – جـ 1 دار الجيل ، بيروت . صـ : 76.

فـي أداء المعنـي ، ويؤكـد ذلـك عنـد تحليلـه للإشـارة وضـح تلـك العلاقـة ، فلعـلّ نـدرة المصطلح في ذلك الوقت أدي إلي هذا التقسيم .

الإشارة :

مفهـوم الإشـارة عنـده [باليـد وبـالرأس وبـالعين والمنكـب ، إذا تباعـد الشخصـان، والإشـارة واللفـظ شـريكان ونعـم العـون هـي لـه ونعـم الترجمـان هـي عنـه، ومـا أكثـر مـا تنـوب عـن اللفـظ))[1]. فقـد أشـار الجـاحظ إلـي ثـلاث حقـائق، أن الإشـارة أداتهـا الجـوارح ، وأنـه اشـترط لاسـتخدامها كـأداة دلالـة البعـد، كمـا انـه جعلهـا تشـترك مـع اللفـظ فـي الوظيفـة بـل هـي الترجمـان والمعـين لـه فـي توصـيل المعنـى، وتغنـي عـن اللفـظ عنـد فقدانه أو تعذر استعماله .

والإشـارة عنـد أبـي هـلال العسـكري (هـي نعـت مـن نعـوت ائـتلاف اللفـظ والمعنـي، وهـي أن تكـون اللفـظ القليـل مشـتملاً علـي معـانٍ كثيـرة بإيمـاء إليهـا أو لمحـة تـدل عليهـا ، فمـا قصّـر اللفظ عـن أدائـه حلـت محلّـه الإشـارة لتكمـل ذلـك المعنـي ، ويدخل في ذلك التفخيم و الإيماء ، والتعريض والتلويح والرمز)[2].

الخط :

(ويقصـد بـه الكـلام المكتـوب ولـيس المنطـوق، فهـو الكتـاب الـذي يقـرأ فـي كـل مكـان ويـدرس فـي أي زمـان . وعنـده أبلـغ الإفهـام مـن اللسـان لأن اللسـان لا يعـدو

1 ـ. د. بدوي بطانة – معجم البلاغة العربية – مج 1 . ط1 ، 1975م، منشورات جامعة طرابلس، صـ : 394.

2 - المرجع السابق - ص 76.

سامعه و يتجاوزه إلي غيره ، فاستعمال القلم أجدر أن يخص الذهن علي تصحيح الكتاب من استعمال اللسان علي تصحيح الكلام)[1].

النُصْبة :

(هي الحالة الناطقة بغير اللفظ أو المشيرة بغير اليد ، وذلك ظاهر في خلق السموات والأرض ، وفي كل صامت وناطق وجامد ونامٍ ...)[2] وذلك إشارة لقوله تعالي: **[إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الأَلْبَابِ(*)الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ(*)]** [3].

إن في خلق السموات والأرض علي ما بهما من أحكام وإبداع ، وتعاقب الليل والنهار علي الدوام ، علامات واضحة علي الصانع وباهر حكمته ، أيّ دالة عليه ، ولا يظهر ذلك إلاّ لذوي العقول ، الذين ينظرون إلي الكون بطريق التفكير والاستدلال ، وليس كما تنظر البهائم التي تسير ولا تعي ما حولها من الآيات الدالة.)[4] .

فإن الأصناف السابقة جميعها معينة في الدلالة علي المعني، فهي أدوات نستعين بها في تحليل النص عبر الصنف الأول اللفظ .

اللفظ:

الكلمة وإن كانت ذات مفهوم واضح في أذهان كل الناس إلا أن هناك كثيراً من الآراء التي دارت حولها .

1- المرجع السابق – مج2 – ص 878.

2 ـ الصابوني ، صفوة التفاسير – جـ 1 ، صـ :252.

1- آل عمران الآية 190-191 .

4 - الصابوني –صفوة التفاسير – ج1 – ص 879.

فعلماء الأصوات لا يرون في الكلام المتصل حدوداً تميز بين كلمة وأخري ، فلا يستطيع السامع تحليل الجملة أو العبارة إلي مجاميع صوتية كل مجموعة منها تنطبق علي ما يسمي بالكلمة إلا حين يستعين بالدلالات التي تتضمنها الجملة أو العبارة .

إن الدلالة قاسم مشترك في تحليل الكلمة أو العبارة أو الجملة ، لأن الكلمات في الجملة ، يرتبط بعضها ببعض أثناء النطق ارتباطاً وثيقاً . وليس في الكلمة عنصر صوتي يحدد بدءها أو نهايتها حين تكون في الكلام المتصل . فمثلاً لو سمع أحدٌ لا علاقة له باللغة العربية ، قوله تعالي : **[وَالعَصْرِ (*)إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ(*)]**[1].لا يستطيع معرفتها إلا إذا ألّم بالدلالة فحتى يفهم السامع المراد من كل كلمة أو عبارة لابدّ ، أن يكون قد مرَّ قبل سماعها بتجارب كثيرة يستعين بها علي الإحاطة بظروف هذا الكلام ، منها صلة المتكلم بالسامع ، والمتِكلم عنه، والزمن إلي غير ذلك ، فالفهم عن طريق الوقوف علي تلك الظروف والملابسات تتم قبل الفهم للنص اللغوي أو العبارة المنطوق بها ، كما أشير إلي ذلك في الأصناف ،فأيّ عبارة تتضمن مجموعة أو أنواعاً من الدلالات بحسب مصدرها .

أولاً الدلالة الصوتية :

الصوت هو آلة اللفظ والجوهر الذي يقوم به التقطيع ، وبه يوجد التأليف ، ولن تكون حركات اللسان لفظاً ولا كلاماً موزوناً ولا منثوراً إلا بظهور الصوت ولا تكون الحروف كلاماً إلا بالتقطيع والتأليف))[2] .

---

1 - سورة العصر – الآية {1-2} .

2- د . بدوي طبانة – معجم البلاغة العربية ، مج 1 . صـ : 388

تظهر أهمية الصوت في تحديد الكلام ، ولولاه لتحولت الدلالة إلي إشارة ، فهو الجوهر ، فقد أشار الكاتب إلي المراحل التي يمرّ بها الصوت ،بدءاً بمخرجه ثم تشكيله في الحرف والكلمة أو العبارة ،فإنه يضع شرطاً في تسمية الصوت كلاماً عندما يحدث التأليف بين الأصوات المختلفة مرتبطة بدلالتها . فإن كانت الأصوات تتمثل في الحروف والكلمات ، في حركاتها وسكناتها فيعني ذلك أن هناك نوع من الدلالة يرتبط بطبيعة الصوت . حرفاً كان أو كلمة وهو ما يعرف بالدلالة الصوتية.

فمثلاً في عبارة [هناك عين تْضخ بالماء] ، فإن استعمال تنضخ تعبر عن فوران السائل في قوة وعنف ، وهي إذا قورنت بنظيرتها (تنضح) التي تدل علي تسرب السائل في بطء . تبين لنا أن صوت الخاء الأولي ، له دخل في دلالتها. فقد أكسبها في رأي اللغويين تلك القوة وذلك العنف) [1] مما يؤكد أن لصفة الحرف أثر في دلالتها . من خلال البنية والتركيب ؛ فإن للحرف صفات تكتسبها من المخرج الذي انطلقت منه . فكان لابّد من التعرف علي صفات الحروف مرتبطة بمخارجها.

المخرج:

المخرج في اللغة ، محل الخروج كالباب ، والنافذة ، وكل ما يصلح أن يخرج منه شيء)[2] ، وفي الاصطلاح محل خروج الحرف وتمييزه عن غيره ، بتأثير قدرة الله .)[3].

وقد اختلف العلماء في عدد المخارج ، والحروف الصادرة عنها، فقد مال أكثر اللغويين والقراء ،أن المخارج سبعة عشر مخرجاً ، تجمعها عشرة ألقاب . إن أوائل

---

1 - د/ إبراهيم أنيس ، دلالة الألفاظ ، صـ :42

2- د/ محمد المبارك –فقه اللغة وخصائص العربية ، صـ:45 .

3- محمد صادق قمحاوي - البرهان في تجويد القرآن، دار المنار – القاهرة – صـ : 33 .

اللغـويين ، اشـتقوا ألقـاب الحـروف مـن مخارجهـا، فكـل مجموعـة مـن الحـروف تشـترك فـي لقـب لتقاربهـا فـي المخـرج ، ثـم تـأتي الصـفات التـي تفـرق بـين حـرف ، وآخـر ضـمن المخـرج الواحـد ، فـلا يمكـن أن يتفـق حرفـان فـي المخـرج والصـفة . فقـد صـنفت الحـروف حسـب مكـان خروجهـا ، فهنـاك الحـروف الجوفيـة ، والحلقيـة ، واللهويـة ، والشـجرية ، و الذلقيـة ، واللثويـة ، والشـفوية . الـخ ، غيـر أن هـذه المخـارج لا تحـدد الحـرف ومدلولـه، فاعتمدت الصفة للتمييز بين حرف وآخر، من الناحية الصوتية ومدلولها .

اتفق اللغويون علي سبع عشرة صفة . بعضها له ضدٌ وأخر ليس له ضدٌ .

الجهر – ضدّه الهمس :

الجهـر انحبـاس جـري الـنَّفس عنـد النطـق بـالحرف ثـم هـزة للـوترين الصـوتيين عنـد اندفاعـه ،ولـه تسـعة عشـرة حرفـاً (أ ، ب ، ج ، د ، ذ ، ر ، ز ، ض ، ط ، ظ ، ع ، غ ، ق ، ل ، م ، ن ، و ، ي ، ا) . أمـا الهمـس فهـو جريـان الـنَّفس عنـد النطـق بـالحرف ، لضـعف الاعتمـاد علـي المخـرج . بحيـث لا يهتـز الـوتران الصـوتيان اهتزازاً قوياً ، وحروفه (ت ، ث ، ح ، خ ، س ، ش، ص، ف، ك، ه)

الشدة – وعكسها الرخاوة :

الشـدة تـدل علـي انحبـاس جـري الصـوت عنـد النطـق بـالحرف ، انحباسـاً يعيـق مـرور الـنَّفس تمامـاً . و فـإذا أزيـل الغلـق المحكـم فجـأة أحـدث الـنّفس المحبـوس صـوتاً انفجاريا ، وحروفه (أ ، ب ، ت ، ج ، د ، ط ، ق ، ك)[1] .

1 ـ د/ إبراهيم أنيس – الأصوات اللغوية – صـ: 22.

أمـا الرخـاوة فهـي جريـان الصـوت مـع الحـرف ، لتمـام ضـعفه لعـدم الاعتمـاد علـــي مخرجـــه . وحروفـــه (ث ، ح ، خ ، ذ ، ز ، س ، ش ، ص ، ض ، ظ ، ع ، ف ، هـ ، و ، ي ، ا) . وبـين الشـدة والرخـاوة خمسـة حـروف : ((ر ، غ ، ل ، م ، ن)) .

الاستعلاء – وضده الإستفال:

الاسـتعلاء ارتفـاع اللسـان عنـد النطـق بـالحرف إلـي الحنـك الأعلـى. وحروفـه هـي: (خ، ص، ض، ط، ظ، غ، ق). أمـا الإسـتفال فهـو انحطـاط اللسـان عنـد خـروج الحـرف مـن الحنـك إلـي قـاع الفـك ، وحروفـه :(أ ، ب ، ت ، ث ، ج ، ح ، د ، ذ ، ر ، ز ، س ، ش ، ع ، ف ، ك ، ل ، م ، ن ، هـ ، و ، ي ، ا) والحـرف المسـتفل.. مرقـق عـدا حـرف الـلام ، مـن الاسـم الكـريم لفـظ الجلالـة [الله]، فهـو مـن الحـروف التـي تفخـم أحيانـاً وترقـق ، إن وقـع بعـد سـكون أو فـتح أو ضـم أو فـي بدايـة الكـلام ، وكـذلك لفـظ (اللهم)[1].

الإطباق وعكسه الانفتاح:

و الإطبـاق هـو انحصـار صـوت الحـرف بـين اللسـان والحنـك الأعلـى ، لارتفـاع ظهـر اللسـان إلـي الحنـك الأعلـى حـين يلتصـق وحروفـه: (ص، ض، ط، ظ). أمـا الانفتاح فهو ضد الإطباق، وحروفه كل الحروف عدا حروف الإطباق.

الذلاقة و الإصمات :

1- حسب الرسول أحمد محمد – تفهيم التجويد، بدون. صـ :28

فالذلاقة سرعة النطق بالحرف المذلق ، وتضم حروف الذلاقة : (ل ، ن ، ر) والحروف الشفوية (ق ، ب ، م) وهذه الحروف تتصف بالخفة وسهولة النطق دون تكلفة . أّما الإصمات فهو ما يصعب علي اللسان النطق به، وهو صفة للحروف الهجائية عدا حروف الذلاقة[1]. والصفات التي لا ضد لها سبع هي :

الصفير:

وهو صوت زائد يخرج من الشفتين عند النطق ، حروفه [ص ، س ، ز]

القلقلة:

وهي اضطراب الحرف، وتحركه بحركة عند النطق به ، وهو ساكن حتي يسمع له نبرة قوية ، وحروفها (ب ، ج ، د ، ط ، ق)

اللين:

لغة :ضد الخشونة واصطلاحاً ، جريان الّنفس في يسر دون تكلف علي اللسان، ويقصد بجريان الّنفس خروج الحرف، و حروفه الياء والواو الساكنتان المفتوح ما قبلهما ، والألف لا تكون إلا ساكنة. وما قبلها مفتوح.

التكرار:

لغة: إعادة الشئ مرة أو أكثر ،واصطلاحاً ارتعاد اللسان عند النطق بالحرف وحروفه الراء ، وهي صفة لازمة لها (وهذه الصفة تعرف لتجتنب ، ويكون ذلك بإلصاقظهر اللسان بأعلى الحنك لصقاً محكماً ولفظها مرة واحدة وبسرعة) [2]

الانحراف:

---

1 - سلطان بن عوض دريج – المختصر الوجيز في فن التجويد– ط القطرية الثامنة – 2011 م – 1432هـ صـ : 98.

1- سلطان بن عوض دريج – المختصر الوجيز في فن التجويد– ط القطرية الثامنة – 2011 م – 1432هـ صـ :99

لغـة :الميـل، واصـطلاحاً ميـل، الحـرف بعـد خروجـه إلـي طـرف اللسـان. وهـو صفة الراء واللام.

التفشي:

لغـة :الانتشـار ، واصـطلاحاً انتشـار الهـواء فـي الفـم عنـد النطـق بحرفـه وهـو حرف الشين.

الاستطالة :

لغة: الإمداد ، واصطلاحاً امتداد الصوت من أول اللسان إلي أخره و لها حرف واحد هو حرف الضاد و سميت الضاد مستطيلة لاستطالة مخرجها حتى تتصل بمخرج اللام.

مـن خـلال تتبـع صـفات الحـروف تبـين للـدارس، أن كـل حـرف قـد يتصـف بـأكثر مـن صـفة وعلـي اخـتلاف هـذه الصـفات تكـاد تشـترك فـي أمـرين : شـدة ولـين رغـم تغيـر المصطلح مع اختلاف طفيف لا يرقي أن تتخذ صفة منفصلة .

كمـا يلاحـظ أن هـذه الحـروف الهجائيـة لا تتسـع إلـي مجمـوع الأصـوات العربيـة، لأن الحـرف يمثـل ذاتـه فقـط ؛ لـذلك نجـد أن الحركـة التـي تكـون علـي الحـرف زيـادة فـي الصوت علي اختلاف حركاتها، فهذه الزيادة دلالة في زيادة المعني.

فمـثلا فـي أسـلوب ، النـداء لـو قـال قائـل: يـا زائـراً ثـم أردف قـائلاً يـا زائـرٌ. اختلـف المعنـي تبعـاً لاخـتلاف الحركـة وهـي صـوت. فالجملـة الأولـي دلـت علـي عمـوم الدلالـة علـي اللفـظ، غيـر أن الدلالـة فـي الجملـة الثانيـة تـدل علـي تعيـين وتحديـد المقصـود مـن اللفظ. وكذلك هناك مظهر أخر من مظاهر الدلالة الصوتية .

النبر:

تختلف الدلالة وتتغير باختلاف موقعها من الكلمة.

النغمة الكلامية:

قد يكون للكلمة الواحدة عدة دلالات،لا يفرق بينها إلا اختلاف النغمة في النطق فمثلاً لو قلت : ((تفضل أخرج))، فقد تنطق بها بعدة نغمات ، وهي مع كل نغمة من تلك النغمات تفيد دلالة: خاصة ،فقد يفيد التهكم ، أو السخرية ، أو الدهشة، أو التعظيم ، فتغير النغمة يتبعه تغير في الدلالة .

ثانياً الدلالة الصرفية:

هناك نوع من الدلالات يستمد عن طريق الصيغ وبنيتها. فمثلاً إذا عّبر المتكلم ، بكلمة (سـّباق) بدلاً عن (سابق) في قولنا : (محمد سـّباق إلي فعل الخير). فإن دلالتها بالإجماع تفيد المبالغة في كثرة حدث السبق ،فهي تزيد في دلالتها علي كلمة [سابق] . فالصيغة سبب في ذلك.

ثالثاً الدلالة المعجمية (الاجتماعية):

كل كلمة من كلمات اللغة لها دلالة معجمية أو اجتماعية ، تستقل عما يمكن أن توحيه أصوات هذه الكلمة أو صيغها أو بنيتها من دلالات زائدة علي تلك الدلالات الأساسية الاجتماعية.

فمثلاً كلمة [تْضخ] التي سبق ذكرها ، كلمة تدل (علي تسرب السائل) ، وهي الدلالة الأساسية . ولكن في نظر اللغويين ، قد اكتسبت دلالة العنف والقوة عن طريق تكوينها الصوتي، وطبيعة الأصوات فيها من النص المنطوق به.

وهناك نوعٌ من الدلالات تستمد من الظروف والملابسات أو ما يسمي بسياق الكلام أو الحال ، وربط ذلك بعلاقات خارج النص ، كما يشير إلي ذلك : عبد القاهر الجرجاني (الكلام علي ضربين ، ضرب أنت تصل منه إلي الغرض بدلالة اللفظ وحده ،وذلك إذا قصد أن تخبر عن زيد مثلاً بالخروج عن الحقيقة ، فقلت : خرج زيدٌ ، ... وضربٌ أخر أنت لا تصل منه إلي الغرض بدلالة اللفظ وحده ، ولكن يدلك اللفظ علي معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللغة ، ثم تجد لذلك المعني دلالة ثانية تصل بها إلي الغرض . ومداد هذا الأمر علي الكناية والاستعارة والتمثيل)[1] .

رابعاً الدلالة النحوية:

مع إن لكل كلمة دلالتها الاجتماعية المستقلة والصرفية ، والصوتية نلحظ أنه حين تتركب الجملة من عدة كلمات ،تتخذ كل كلمة موقفاً معيناً ، من هذه الجملة بحيث ترتبط الكلمات ببعضها من بعض، بحسب قوانين لغوية خاصة بالنظام النحوي ، وفيه تؤدي كل كلمة وظيفة معينة .

فنظام الجملة العربية يحتم ترتيباً خاصاً ، لو اختلّ أصبح من العسير أن يفهم المراد منها ، كذلك يقول عبد القاهر الجرجاني : (أن لا نظم في الكلم ، ولا

1- عبد القاهر الجرجاني . دلائل الإعجاز.، ط الثانية ، دار القلم للتراث- الهرم . صـ : 178

ترتيب حتي يعلق بعضها ببعض ، ويبني بعضها علي بعض ، وتجعل هذه بسبب من تلك ... فتعمد إلي اسم فتجعله فاعلاً لفعل أو مفعولاً . أو تعمد إلي اسمين ، فتجعل أحدهما خبراً عن الأخر ، أو أن تتبع الاسم أسماً ، علي أن يكون الثاني صفة للأول أو تأكيدا له أو بدلاً منه،أو تجئ باسم بعد تمام كلامك علي أن يكون حالاً أو تمييزاً أو تعمد إلي كلام هو في أصله لإثبات معني نفي أو استفهام أو تمنياً ، فتدخل عليه الحروف الموضوعة لذلك .. أو أن تريد في فعلين أن تجعل أحدهما شرطاً في الأخر . فتجئ بهما بعد الحرف الموضوع لهذا المعني) [1] .

فهو بذلك يشير إلي الدلالة المستفادة من النحو ، فإن من مجموع تلك الدلالات ، سواءكانت الدلالة تتعلق بالعبارة المنطوقة ، أو تلك الأصوات الصرفية، يفيد منها الباحث لبيان دور الضمير في الربط .

أدوات الربط:

يقسم علماء المعاني الجمل إلي قسمين:

القسم الأول جمل رئيسة :

وهي جمل مستقلة قائمة بنفسها ولم تكن قيداً في جملة أخري ، وهذا النوع لا يحتاج إلي رابط لفظي ، فإنها ترتبط رباطاً معنوياً بما جاورها من الجمل بسبب منها ، أو مفسرة لها، أو مؤكدة وتشمل الجمل الآتية .

أولاً : الجملة المستأنفة:

2- عبد القاهر الجرجاني .دلائل الإعجاز ، ص : 272. بتصرف.

وهـي الجملـة التـي تتصـدر الكـلام سـواءً أن كانـت مسـبوقة بكـلام وقـد أنتهـي، أو لم يسبقها نحو: (الحمد لله).

ثانياً: الجملة الحوارية:

وهـي مـا كانـت فـي حـوار قصصـي أو إجابـة لسـؤال. نحـو قولـه تعـالي : [وَلَقَـدْ جَـاءَتْ رُسُـلُنَا إِبْـرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَـالُوا سَـلَامًا قَـالَ سَـلَامٌ فَمَـا لَبِـثَ أَنْ جَـاءَ بِعِجْـلٍ حَنِيـذٍ][1]. فجملـة قـالوا، وقـال . لا رابطـة لهـا سـوي الموقـف الحـواري وتكثـر هـذه الجمـل فـي القـرآن الكريم) [2] .

ثالثاً: الجملة المعترضة:

وهـي الجملـة التـي تعتـرض كلامـاً تسديداً لـه ، أو تحسيناً لـه. نحـو: زيدٌ - رحمـه الله – كـان محبوبـاً ... فـإن أصـل الكـلام (زيـدٌ كـان محبوبـاً) غيـر أن جملـة (رحمـه الله) جـاءت معترضة لغرض الدعاء ترحماً علي روحه، فإنها جاءت خالية من أدوات الربط اللفظية.

رابعاً: الجملة المفسرة:

وهـي التـي تفسـر كلمـة مفـردة ، أو جملـة سـابقة لهـا ، نحـو قولـه تعـالي : [وَمِـنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَـا عَلَـى قُلُـوبِهِمْ أَكِنَّـةً أَنْ يَفْقَهُـوهُ وَفِـي آذَانِهِـمْ وَقْـرًا وَإِنْ يَـرَوْا كُلَّ آيَـةٍ لَا يُؤْمِنُـوا بِهَـا حَتَّـى إِذَا جَـاءُوكَ يُجَادِلُونَـكَ يَقُـولُ الَّـذِينَ كَفَـرُوا إِنْ هَـذَا إِلَّا أَسَـاطِيرُ الْأَوَّلِـينَ][3] . ومفهـوم الجـدل القـدرة علـي الكـلام والـرد عليـه، وهـذا المفهـوم معـروفٌ مـن دلالـة اللفـظ إلا أن جملـة (يقـول الـذين...) فسـرت صـراحة المقصـود بالجـدل وجـاءت خاليـة مـن أدوات الربط اللفظية .

1- سورة هود - الآية 69 .

2- د. شوقي ضيف –تيسير النحو التعليمي قديماً وحديثاً – صـ: 196 – 197، ط الثانية، دار المعارف، القاهرة، مصر، بتصرف.

3- سورة الأنعام – الآية 25.

أما مثال ما جاءت مفسرة لكلمة ، فهي في أسلوب الاختصاص ، إن التعريف بالضمير غير محدد الدلالة تحديداً مطلقاً ، ولكن علي سبيل العموم ففي جملة (نحن- معشر الأنبياء – لا نورث)، إن كلمة معشر الأنبياء مفعول به لفعل محذوف وجوباً تقديره (أخص) وجيء به لتفسير المقصود بالضمير، فجملة (أخص معشر الأنبياء) جملة جاءت خالية من أدوات الربط اللفظية .

القسم الثاني جمل غير رئيسة:

هي الجملة غير المستقلة بنفسها، بل تكون قيداً في جملة أخري ، وتشمل الجمل الآتية: جملة الخبر: وهي الجملة المتممة للمعني في الجملة الاسمية، ثم جملة المفعول به، وجملة الحال، بالإضافة إلي الجمل التابعة كجملة النعت والعطف، ويلحق بذلك جملة الصلة ، وهي التي تتبع الاسم الموصول، فلا تستقل عنه أبدا. ثم جملة المضاف إليه وهي الجملة التي يضاف إليها ظرف نحو (إذا، حين، حيث)، وكذلك جملة جواب الشرط والقسم.

ومن الملاحظ في الجمل السابقة رغم أنها خاضعة للجملة السابقة ومرتبطة بها رباطاً معنوياُ، إلاّ أن بعضها يحتاج إلي رابط لفظي يربطها بالجملة الخاضعة لها. ذلك أن نظم الكلام يقتضي ترتيب المعاني في النفس ، وأن المعاني لا تؤدي بجملة واحدة بل تحتاج إلي جمل ، فلا بدّ من رابط ،والربط إما أن يكون رباطاً معنوياً ، بأن تكون الجملة مربوطة بسبب من سابقتها ، أو متعلقة بما قبلها ، أو أن

يكـون ربطـاً لفظيـاً بـأداة معينـة مـن أدوات الـربط . فـالربط سـواءً كـان معنويـاً أو لفظيـا فـلا بـدّ أن يخضـع لعلـم النحـو ، ويعمـل علـي قوانينـه كمـا أشـار إلـي ذلـك عبـد القـاهر الجرجـاني فـي كتابـه دلائـل الإعجـاز (والنظـر إلـي الجمـل التـي تسـرد ، فيعـرف موضـع الفصـل فيهـا مـن موضـع الوصـل ثـم يعـرف فيمـا حقـه الوصـل موضـع الـواو مـن موضـع الفـاء ، وموضـع الفـاء مـن موضـع ثـم ، وموضـع (أو) مـن موضـع (أم)، وموضـع (لكن) من موضع (بل)) [1] .

حتـى ينـدرج الكـلام فـي نسـق واحـد يحتـاج إلـي روابـط ذات مزيـة خاصـة ، لموضـع معـين لا يسـتغنى بغيـره فـي ذلـك الموضـع؛ فـإن لكـل رابـط دلالـة معينـة ، وخاصية يتفرد بها عند استعماله ، تزيد الكلام معنًيوترابطاً .

(فالنحـاة يسـمون الحـروف التـي هـي قسٌمـن أقسـام الكلمـة [أدوات الـربط] ، لأن الكلمـة، إمّـا أن تـدل علـي ذات. وإمّـا أن تـدل علـي معنـي مجـرد عـن الـذات (حـدث). وإمّا أن تربط بين الذات والمعني المجرد منها والحرف هو الرابط).

حصـر النحـاة أداة الـربط فـي الحـرف غيـر أن هنـاك أدوات ربـط أسـماء ، وأن كـل أداة تختلـف وظيفتهـا عـن الأخـرى ، فمنهـا مـا يخـتص بـربط كلمـة وأخـري ، ومنهـا مـا يختص بربط جملة وأخرى، ومنها الاثنين معاً ، من ذلك .

أولاً : أدوات العطف:

1- عبد القاهر الجرجاني – دلائل الإعجاز – صـ 66

العطف في اصطلاح علماء النحو، هو أن يدخل الثاني في عمل الأول ، ومشاركته له في الحكم سواءًكان العطف عطف كلمات أو جمل. وعند البلاغيين ما يعرف بالوصل . ومما يلاحظ أن أدوات العطف المستعمل منها كلها حروف وكل حرف يتميز بدلالة خاصة.

فإذا كانت الدلالة المعنوية لكلمة عطف تشير إلي وظيفة هذه الأدوات ، والمتمثلة في ربط كلمة بأخرى أو جملة بأخرى ، ومشاركة ما قبلها في الحكم . فيعني ذلك أن هذه اللفظة يشترك في دلالتها البلاغيون والنحويون واللغويون ، في أنها تقوم بدور الربط بين شيئين دون أن تترك أثرا إعرابياً ، أي أنها لا تعمل في ما قبلها ولا بعدها ، بل تعين غيرها في ذلك .

فإذا قلنا : (جاء محمدٌ وأحمدُ، فالعاملُ في أحمد ليس الواو وإنما هو الفعل (جاء) فأحمد شارك محمد في المجيء ومن ناحية أخري حكم أحمد هو الرفع . فالعامل فيه هو الفعل (جاء) والواو معينة وما يؤكد ذلك قولنا: (رأيتُ محمداً وأحمد . فالعلامة الإعرابية تغيرت لتغير العامل والموقع الإعرابي ، والواو هي نفسها في الجملتين ، فلا أثر لها سوي دورها كرابط ودلالتها الخاصة التي أضافتها للمعني والتركيب .

وكذا نجئ جملة بعد جملة معطوفة بالواو، فإن الأولي إما أن لها محل من الإعراب ، كخبر المبتدأ أو الحال أو الصفة أو المضاف إليه أو المفعول به ، نحو : (الله يعز من يشاء ويذل من يشاء، وأبصرتُ ولداً يلهو ويلعب ، فإن جملة (يذل من يشاء)

جملةٌ معطوفة علي جملة (يعزُ من يشاء) فهي في حكمها ، باعتبارها معطوفة علي جملة خبر مبتدأ ، فلها المحل نفسه .

وكذلك جملة (يلعب) معطوف علي جملة (يلهو) التي في محل نصب نعت .

أو أن تكون الجملة لا محل لها من الإعراب ، نحو: جاء الحق وزهق الباطل، فجملة (زهق الباطل) لا محل لها من الإعراب لأنها معطوفة علي جملة ابتدائية لا محل لها من الإعراب.

فأدوات العطف كرابط تتفق في الوظيفة السابقة ويظل اختلافها في دلالة كل حرف ومعناه الذي يخصه.

واو العطف:

تدل علي مطلق التشريك، ذلك أن اللفظ الذي بعدها أو الجملة قد شارك ما قبلها في الحكم. فإن كانت الجملة الأولي لها محل من الإعراب، وقصد بتشريك الثانية لها في حكم إعرابها عطف عليها بالواو وغيرها ، ليدل العطف علي التشريك المقصود. نحو: أبصرتُ نجماً يلمع ويختفي . وكذلك المفرد فإنه إذا قصد تشريكه لمفرد قبله في حكم إعرابه سواءًكان فاعلاً أو مفعولاً به أو غير ذلك وجب عطفه عليه نحو جاء محمدٌ وأحمدُ (فشرط العطف بالواو حتى يكونَ مقبولاً ، أن يكون بين الجملتين أو المفردين حجة جامعة (أي تناسب) . نحو خالدٌ يكتب ويشعر، لما بين

الكتابة والشعر من التناسب الظاهر، بخلاف خالدٌ يكتب ويمنع)[1] . فلا تناسب بين الكتابة والمنع لذلك لا تصلح الواو لهذا الموضع.

وإن لم يكن للجملة الأولي محلٌ إعرابي، وقصد ربطها بالثانية، فالواو لا تصلح لهذا الموضع كما صلحت في الموضع السابق (وهي المفردات والجمل التي لها محل من الإعراب، لان الاشتراك واضحٌ. أما إفادتها للاشتراك فيما لا محل لها من الإعراب ففيها خفاء ودقة لعدم ظهور المشترك فيه)[2] .

و التشريك في الحكم موجود في جميع حروف العطف ، فإن الواو تقتصر دلالتها عليه ، بينما الحروف الأخرى تزيد علي الواو بأن لها معاني أخري تزيد علي التشريك ، كالترتيب مع التعقيب في الفاء ، والترتيب مع التراخي في ثم ، والتخيير في (أو) وهو تردد الفعل بين شيئين وتجعله لأحد فعند تحقيق هذه المعاني مع قصد التشريك تجعل العطف حسناً .

الفاء العاطفة :

فمثال الفاء نحو: جاء محمدٌ فأحمدُ ، فأحمد ومحمد مشتركان في الحكم وهو المجيء ، غير أن (محمد)مرتب أولاً ثم يليه أحمد مباشرة زمناً ورتبة.

ثم :

نحو جاء محمدُ ثم أحمدُ، فمحمد وأحمد مشتركان في الحكم ولكن يرتب محمد أولاً يليه أحمد بعد فترة من الزمن.

1- د. بدوي طبانة ، معجم البلاغة العربية ، مج2 ، صـ : 652

2- المرجع نفسه ، صـ : 653

ولقد لاحظ الدارس أن حرفي الواو والفاء من الحروف الرابطة للجمل والمفردات، وأنها أكثر وروداً واستخداما في الكلام . قال تعالي :[الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِاللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ *وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ*ذَٰلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ*إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاء حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ *][1].

ولعل ذلك يعود لما يمتاز به هذان الحرفان من خصائص صوتية يسهل معها النطق بها ، مع أداء وظيفة الربط علي أكمل وجه ، فهما من الحروف الجهرية التي يهتز معها الوتران الصوتيان ، كما أنهما يتصفانِ بصفة الرخاوة التي يجري معها الصوت مع الحرف، وعدم الاعتماد علي المخرج ، وعند النطق بهما ينحط اللسان من الحنك إلي قاع الفك لتسهل عملية النطق بطريقة سهلة وسريعة .

بالإضافة إلي ذلك أن الواو والفاء من الحروف المبنية علي الفتح وهي أخف الحركات من حيث الصوت ،تسهيلاً لعملية النطق . ولهذه الأسباب نجد الواو أو الفاء استعملت كأداة ربط لأكثر من معني ، مثل : الواو العاطفة ، الواو المعية، واو المفعول معه ، واو الحال ، الواو الجارة... إلخ ، وكذلك الفاء العاطفة، الفاء السببية ، الفاء الرابطة لجواب الشرط .. إلخ .

أو:

1- سورة محمد – الآيات (1 – 4).

نحو : تزوج فاطمة أو سعاد ، فالأدوات السابقة مشهورة الاستخدام ، تستعمل في العطف سواءًكان العطف عطف مفرد أو جملة ؛ فإن استخدمت في الجمل كانت من باب عطف الجمل ، وإن استخدمت في المفرد كانت من قبيل عطف المفرد ولا يجوز عطف المفرد علي جملة، لأنه يتنافي مع حكم العطف .

وهناك أدوات عطف تنحصر وظيفتها في عطف المفرد دون الجمل، إضافة إلي أنها قليلة الاستخدام في اللغة وأنها تتعلق بحالة المتكلم أو المخاطب وقت التكلم من ذلك:

أم (العاطفة) :

فهي من حروف العطف التي تربط المعطوف بالمعطوف عليه وتشركه في الحكم الإعرابي، نحو : أشاعر أنت أم كاتب؟ فإن كلمة (كاتب) تتبع لكلمة(شاعر) في الحكم الإعرابي ، وهو الرفع باعتبار أن (شاعر) خبر المبتدأ (أنت) بواسطة الأداة (أم) غير أن لها دلالة معينة ووظيفة تؤديها في سياق الكلام ، وهي إفادة طلب التعيين ، فالمتحدث في المثال السابق يعلم النسبة ، وهي أن المخاطب يمارس الكتابة ، لكنه لا يعرف نوع ما يكتبه لذلك طلب التعيين ، فأم تعتبر رابطاً بين المعطوف والمعطوف عليه ولو لاها لانعدمت الدلالة .

لا (العاطفة):

وهي تفيد نفي الحكم عن المعطوف ، أي أنها تنفي عن الثاني ما وجب للأول ، وليس المراد به أنها تنفي عن الثاني أن يكون قد شارك الأول في الفعل بل

أنهـا تنفـي أن يكـون الفعـل الـذي قلـت أنـه كـان مـن الأول قـد كـان مـن الثـاني . نحـو : كتب محمدقصةً لامقالاً .

فـالحكم هـو الكتابـة ، فقـد انتفـت عـن المقـال وهـو ، المعطـوف ولكنـه تبـع كلمـة قصـة فـي الحكـم الإعرابـي . ومزيـة ذلـك إزالـة الشـبهة للمخاطـب إن كانـت الكتابـة للقصـة أم للمقال، فغرض ذلك التحقيق للمخاطب.

بل (العاطفة) :

وهــي مــن أدوات العطــف الرابطــة، وتفيــد إثبــات الحكــم لمــا بعــدها مــع بقــاء الحكـم الـذي قبلهـا منفيـاً ، إن سـبقت بنفـي، نحـو: مـا شـربتُ مـاءًبـل لبنـاً . وإن لـم تسـبق بنفــي، فإنهــا تثبــت الحكــم لمــا بعــدها وإلغــاء الحكــم عــن مــا قبلهــا، وهــو مــا يســمي بالإضراب. نحو: أكلتُ تفاحاً بل عنباً .

ففـي المثـال الأول دلالتهـا تتعلـق بحالـة المخاطـب، وإزالـة الشـك عـن اعتقـاده إن كـان المشـروب لبنـاً أو مـاًء . أمـا فـي المثـال الثـاني فـدلالتها تتعلـق بحالـة المـتكلم، وهـي ما تدل علي نسيانه فنطق بالتفاح ثم أستدرك بكلمة عنب.

حتى (العاطفة):

وتفيـد الغايـة ، وذلـك إذا كـان مـا بعـدها غايـة لمـا قبلهـا فـي صـفة سـواءًأكانـت الصفة حميدة أو ذميمة نحو : تبرع الناسُ بمالهم حتى الفقراء .

لكن (العاطفة):

وهي من حروف العطف بشروط، أن تكون نونها مخففة غير مشددة ، وأن يسبقها نفي أو نهي، فإن توفر الشرطان أفادت الاستدراك نحو: ما التعليمُ حرفة لكن رسالة.

ثانياً: حروف الجر:

من الروابط الحرفية أن يتوسط الحرف بين الفعل والاسم ، ويكون ذلك في حروف الجر التي من خصائصها أن تتعدي بالفعل إلي مفعوله مما لا يتعدى بنفسه إليه . نحو : ذهبتُ إلي السوقِ ، جلستُ علي المقعدِ . فالفعلُ ذهب، فعل ماضي مبني علي السكون لاتصاله بتاء المتكلم ، وتاء المتكلم مبنية في محل رفعٍ فاعل، وكذا (جلستُ). فالجملة أكتمل معناها بوجود الركنين الأساسيين غير أنها ناقصة الدلالة علي المعني الذي يرمي إليه المتكلم، فلا يعرف إلي أين كان الذهاب ؟ وعلي أي شيء كان الجلوسُ ؟ فوصول الفعل إلي مفعوله بواسطة حرف الجر (إلي ، علي) قد قيد المعني ، فأصبحت بمثابة الرابط . بالإضافة إلي ذلك أن حروف الجر تختص بالأسماء وتعمل فيها الجر،أي تترك فيما بعدها أثراً إعرابياً ، سواءًكان الحرف أصلياً أو زائداً . وبذلك تتميز عن حروف العطف في تأثيرها علي الاسم الذي بعدها من حيث الصوت (وهي الكسرة) أو ما ينوبُ عنها وهي أقوى الحركات .

نحـو: جئـتُ مـن المنـزلِ - وسـافرتُ بالطـائرةِ فكـل مـن (المنـزل والطـائرة) اسـمٌ مجـرور وعلامة جره الكسرة بواسطة (من والباء) وهي من حروف الجر الأصلية .

ومــن أمثلــة الحــروف الزائــدة، مــا أنــا بغائــب – ومــا أنــا مــن مهمــلٍ. (فغائــب ومهمــل) أسـماء مرفوعـة وعلامتهـا ضـمة مقـدرة منـع مـن ظهورهـا حركـة حـرف الجـر الزائد. وقد جاءت هذه الحروف رابطة لإفادة التوكيد.

ومثـال إنابـة اليـاء عـن الكسـرة نحـو: مـررتُ با لمسـلَمين، ومـررتُ بالمسـلِمين، ومـررتُ بأبيـك ، فاليـاء صـوتٌ يتناسـب مـع الكسـرة لـذلك تنـوب عنهـا، وقـد أشـار ابـن مالك إلي حروف الجرِ بقوله:

هاك حروف الجرِ وهي من إلي ** حتى، خلا، حاشا، عدا، في،عن، علي مذ ،
منذ ، ربَّ ، اللام ، كي ، واو ، تاء ** والكافُ والباء و لعل و متى[1].

فالمسـتعمل العـام منهـا أربعـة عشـر حرفـاً هـي : الـلام ، التـاء ، البـاء ، الـواو ، الكـاف، مـن ، عـن ، مـذ ، فـي ، علـي ، إلـي ، ربَّ ، منـذ ، حتـى . منهـا مـا وضـع علـي حـرفٍ واحـد ، ومنهـا مـا وضـع علـي حـرفين أو ثلاثـة أحـرف ، وقـد يـأتي علـي أربعـة أحـرف مثـل (حتَّـى) ، ويشـترط فيهـا أن يقـع بعـدها اسـم ، فـإن وقـع بعـدها فعـل فـالمجرور بها هو المصدر المؤول لان المضارع بعدها منصوب بأن مضمرة .

1- بهاء الدين عبد الله بن عقيل ، شرح بن عقيل، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ج2، منشورات المتبة العصرية، بيروت- لبنان، ط الثانية.

أمـا خـلا وحاشـا وعـدا، فإنهـا تسـتعمل حـروف جـر للاسـتثناء بشـرط أن يـأتي الاسم بعـدها مجـروراً ولـم تسـبقها (مـا) نحـو: حضـر الطـلابُ عـدا خالـدٍ. (فعـدا) حـرف جر ، وخالد اسم مجرور بها .

الواو الكائنة بمعني (مع):

مـن الحـروف الرابطـة بمنزلـة حـرف الجـر فـي التوسـط بـين الفعـل والاسـم وإيصـاله إليـه نحـو : لـو تركـت الناقـةَ و فصـيلَها لرضـعت . فكلمـة فصـيلها اسـم منصـوب ، مفعـول معـه ذلـك أنـك لـو عطفـت الفصـيل علـي الناقـة لصـار المعنـي أن رضـاع الفصـيل للناقـة متسـبب عـن مجـرد تركـك إياهمـا ، ولـيس كـذلك ، فيلزمـك أن تجعـل التقـدير علـي العطـف : لـو تركـت الناقـة وتركـت فصـيلها يرضـعها ، تعنـي يـتمكن مـن رضـاعها لرضـعها . فأمـا نصـب هـذا علـي أنـه مفعـول معـه فيصـر بـه المعنـي : لـو تركـت الناقـة مـع فصـيلها لرضـعها وهـو صـحيح مـؤدٍ إلـى المعنـي لان المعيـة يـراد بهـا المعيـة حسـناً ومعنـي)[1] . فـالواو لـم تعمـل فيهـا ذلـك النصـب ولكنهـا أعانـت الفعـل (تـرك) علـي عملـه النصـب . وهـذا مـا تختلـف فيـه هـذه الـواو عـن حـروف الجـر فإنهـا لا أثـر لهـا فـي الاسـم الذي بعدها.

إلا الاستثنائية:

1 - شرح ابن عقيل ، جـ 1 ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ص : 595.

فإنهـا بمنزلـة هـذه الـواو الكائنـة بمعنـي (مـع) فـي التوسـط بـين الفعـل و الاسـم، وعمـل النصـب فـي المسـتثني بواسـطتها وعـونٌ منهـا لـه . فالعامـلُ هـو الفعـل، نحـو حضـر القوُم إلا خالداً)[1] .

الضرب الثاني الذي يتعلق بمجموع الجملة :

والضـرب الثـاني مـن الـروابط ، هـو الـذي يتعلـق بمجمـوع الجملـة كلهـا كتعلـق حـرف النفـي والاسـتفهام والشـرط والجـزاء بمـا يـدخل عليـه، وذلـك أن هـذه المعـاني تتنـاول ما نتناوله بالتقييد ، وبعد أن يسند إلي شيء)[2] .

فلـو قلـت: مـا خـرج خالـدُ. لـم يكـن النفـي الواقـع ، بهـا متنـاولاً الخـروج علـي الإطـلاق بـل الخـروج واقعـاً مـن خالـدٍ ومسـنداً إليـه . فـالربط هنـا بمجمـوع الجملـة. وكـذا قولنـا : هـل خـرج خالـدْ ؟ فلـم يكـن الاسـتفهام عـن الخـروج مطلقـاً ،ولكـن عنـه واقعـاً مـن خالـد. ومثلهـا : إن يـأتني خالـد أكرمـه ،فـإن الإتيـان لـم يكـن شـرطاً مطلقـاً ، بـل الإتيـان من خالد ،وكذلك لم يكن الإكرام علي الإطلاق جزاًءللإتيان بل الإكرام واقع مني .

فـالكلام لا يكـون مـن جـزء واحـد ، فـلا بـدّ مـن مسـند و مسـند إليـه ، فـالحروف كلهـا تعتبـر روابـط ، كـإنَّ وأخواتهـا . نحـو : كـأنَّ خالـداً أسدٌ ، فـإن هـذا التركيـب يقتضـي مشبه ومشبه به .

2- عبد القاهر الجرجاني – دلائل الإعجاز – صـ : 14 .

3- عبد القاهر الجرجاني . دلائل الإعجاز صـ:14.

فـإذا أمعنـا النظـر فـي حـروف العطـف ،وحـروف الجـر وغيرهـا مـن حـروف الطائفـة الثانيـة (النفـي ، الاسـتفهام ، الشـرط ، وأنّ وأخواتهـا ...) نجـد أن الـروابط بهـا علي نحو من طريقتين:

- ❖ طريقـة الـربط فيهـا يكـون بـربط الثـاني بـالأول بإرجائـه إليـه فـي الحكـم لفظـاً ومعنًي، وذلك في حروف العطف.
- ❖ طريقـة الـربط فيهـا يكـون بوصـل الأول بالتـالي بتعديتـه إليـه أو بسـبب منـه أو بتكملة معناه وذلك في حروف الجر، والاستفهام والشرط وغيرها.

فكـل حـرف مـن الحـروف السـابقة يـدل علـي معنـي خـاص بـه يضـاف إلـي المعنـي العـام ، مـع القيـام بـدور الـربط ، غيـر أن الـربط بهـا يكـون علـي نطـاق محـدود لا يتجـاوز الجملـة الواحـدة أو العبـارة ، وأن هـذه الحـروف تتنـوع ويكثـر عـددها دون تكـرار ، ذلك أن نسق الكلام يتطلب ذلك ، لان في تكراره عيباً يحط من بلاغة الكلام .

الروابط العارضة:

هنـاك بعـض الحـروف الرابطـة تـأتي لأسـباب عارضـة غيـر أصـلية جـيء بهـا حتى لا يعتري الجملة أو الكلام خلل معنوي من ذلك :

الفاء الرابطة لجواب الشرط :

إذا لـم يصـلح الجـواب أن يكـون شـرطاً ، وجـب اقترانـه بالفـاء . ذلـك أن أداة ، الشـرط هـي الـرابط بـين الشـرط والجـواب رباطـاً معنويـاً ولفظيـاّ ، فـإذا تعـذر عملهـا فـي الجـواب لسـبب عـارض ، كـأن تكـون جملـة الجـواب أسـمية ، أو جملـة فعليـة فعلهـا جامـد

أو طلبي أو سبقت جملة الجواب بالسين أو سوف أو قد ، أو جاءت جملة الجواب منفية بـ [لن – ما] . فيجب اقتران الجواب بالفاء حتى لا يختل المعني وتسمي هذه الفاء الرابطة لجواب الشرط . نحو قوله تعالى: [وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ] [1] [قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ] [2] . [وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ] [3] فالضمير (هو) في الجملة الأولي جملة الجواب، ضمير مبني في محل رفع مبتدأ ، وقديرٌ خبر للمبتدأ ، والجملة في محل جزم والفاء رابطة لجواب الشرط لا محل لها من الإعراب .

أما في الجملة الثانية فالفعل (أتبع) ، فعل أمر مبني علي حذف النون ، وواو الجماعة مبني في محل رفع فاعل ، والجملة الطلبية في محل جزم ، والفاء رابطة لجواب الشرط لا محل لها من الإعراب .

والجملة الثالثة [لن] أداة نصب ، و [تكفروه] فعل مضارع منصوب وعلامته حذف النون ، وواو الجماعة ، مبنية في محل رفع فاعل ، والهاء ضمير مبني في محل نصب مفعول به والجملة في محل جزم ، والفاء رابطة جواب الشرط لا محل لها من الإعراب . فالفاء لا محل لها سوى ربط جملة الجواب. ويجوز أن تقوم إذا الفجائية مقام الفاء بشرطين وهي أن تكون الجملة غير مسبوقة بأداة نفي ، وأن تكون أداة

1- سورة الأنعام – الآية 17.

2- سورة آل عمران الآية 31.

3- سورة آل عمران الآية 115.

الشرط (إن)[1] .نحو :قوله تعالي: [وَإِذَآ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ رَحۡمَةٗ فَرِحُواْ بِهَاۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ إِذَا هُمۡ يَقۡنَطُونَ][2].

الفاء الرابطة للمبتدأ المفيد للعموم وجملته الخبرية :

إذا كان المبتدأ اسماً مفيداً للعموم مثل (الذي ، كل ، مَن) . كان خبره جملة ، جاز أن تكون الفاء رابطة نحو : الذي يتقن عمله فجزاؤه مؤكد، ونحو : كل مجتهدٍ فله نصيبه . من يتقن عمله فأجره علي الله)[3].

الفاء السببية :

وتسمي فاء الجواب ،وهي التي يكون ما قبلها سبباً لما بعدها ، ويشترط أن يسبقها نفي أو طلب . نحو : أين بيتك فأزورك ، لا تقتل فتسجنَ .[...يَا لَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمۡ فَأَفُوزَ فَوۡزًا عَظِيمًا][4].

فأين في الجملة الأولي: اسم استفهام مبني علي الفتح في محل نصب مفعول فيه، ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر تقديره (كائن). وبيتك مبتدأ مرفوع ، والكاف في محل جر مضاف إليه . فأزورك : الفاء السببية ، وأزورك فعل مضارع منصوب بان مضمرة بعد الفاء السببية وعلامة نصبه الفتحة . والفاعل ضمير مستتر تقديره (أنا) والكاف في محل نصب مفعول به والمصدر المؤول من أن المضمرة وما بعدها معطوف علي الكلام السابق . فإن وقوع المضارع بعدها منصوباً بان مضمرة

1- مجموعة مؤلفين: د.محمد مصطفي رضوان، د. محمد التنوخي د. عبد الله درويش ،التمهيد في النحو والصرف ، منشورات جامعة قاريونس ، بنغازي ، 1973م : صـ:62.

2- سورة الروم: الآية 36.

3- د. شوقي ضيف،تيسير النحو التعليمي قديماً وحديثاً – ط الثانية – دار المعارف – القاهرة. مصر . صـ : 181 .

1- سورة النساء – الآية 73.

فـإن ذلـك يعنـي وظيفـة دلالـة الفـاء العارضـة وهـي ربـط الجملـة التـي بعـدها بسـبب مـن قبلها .

واو المعية :

وهـي التـي تفيـد حصـول مـا قبلهـا مـع مـا بعـدها . فهـي بمعنـي [مـع] وشـرطها شـرط الفـاء السـببية . نحـو: لا تأكـل وتقـرأ. والمعنـي لا يكـن منـك أن تأكـل ، وان تقـرأ فـي وقـت واحـدٍ ،فـالمنع حاصـل بالمعيـة ولـيس لكليهمـا معـاً .نحـو: لا تنـه عـن خلـق وتـأتي بمثله. والمعني لا يكن منك النهي عن خلق والإتيان بمثله في آن واحد.

فـالملاحظ الـربط بهمـا لـيس ربطـاً وظيفيـاً نحويـاً ، وإنمـا ربـط لأداء المعنـي الحاصـل مـن مجمـوع الجملتـين السـابقة واللاحقـة . وكـذلك واو المصـاحبة ، والتـي تعطف اسماً علي مبتدأ. نحو: كلٌّ عاملٍ وعمله .

واو الحال :

إن الحالـة قـد تـأتي مفـردة أو شـبة جملـة ، فـلا تحتـاج إلـي رابـط يربطهـا بصـاحب الحـال. أمـا إن كانـت جملـة فهـي جملـة مكملـة للجملـة قبلهـا ، وصـاحب الحـال جـزء منهـا ، فعنـد ذلـك تحتـاج إلـي رابـط وإلاّ اختـلّ المعنـي الـذي قصـده المـتكلم فـالرابط قـد يكون الواو تارة ، وأخري بغير الواو .

مثال الواو :

لقيت محَمداً والشمسُ طالعةٌ

جئت إلي محمدٍ وعليه ثوبٌ.

إذا كانت الجملة الحالية مكونة من مبتدأ وخبر ، فالغالب في الوصلة ، أن تكون الواو كما في الأمثلة السابقة. (وإن كان المبتدأ من الجملة ضمير ذي الحال، لم يصلح الربط بغير الواو البتة، وذلك قولك :

جاءني زيد وهو راكب ورأيت محمداً وهو جالس ؛ فلو تركت الواو في شيء من ذلك لم يصله)[1].

قد تكون الجملة الحالية مكونة من فعل وفاعل، وأن فعلها مضارع مثبت غير منفي، لم يصلح الواو عندها ، فيأتي الكلام خالٍ منها ، فيكون الرابط عند ذلك الضمير، الذي يأتي الكلام عنه في الباب الثاني.

الموصول الحرفي:

من الروابط الموصول الحرفي ، وهو كل حرف أمكن تأويله مع صلته بمصدر له موقع إعرابي ، والحروف هي : أَن الناصبة للمضارع : نحو: وأن تصوموا خيرٌ لكم، كي الناصبة للمضارع : نحو : أدرس لكي أنجح ، و ما المصدرية : نحو : لا أرافقك ما دمت مسرعاً .

فأدوات الربط السابقة كلها حروف ، ويلاحظ عليها، أن بعضها له وظيفة نحوية، وهي إحداث الأثر الإعرابي في اللفظ الذي بعده ، وبعضها يستخدم كأداة ربط فقط لا عمل لها بل تعين العامل علي عمله.

1- عبد القاهر الجرجاني . دلائل الإعجاز، صـ: 141.

وأن الربط بها أنواع ثلاثة ، إمّا ربط الذي بعدها بالذي قبلها ومشاركته له في الحكم ، كما في حروف العطف. أو بتعدية الذي قبلها إلي ما بعدها ، وذلك في حروف الجر ، أو أن يكون الربط بها يختص بتركيب الجملة، وذلك في أدوات النفي والاستفهام والشرط وغيرها . وإذا أمعنا النظر نجد أن استخدامها كأداة ربط تنحصر وظيفتها في نطاق محدود بحيث لا تتجاوز الجملة الواحدة.

أدوات الربط الاسمية:

من الأدوات الرابطة ما هو أسماء، يقوم بربط أجزاء الكلام، في الجملة الواحدة، أو الجمل المتعددة من ذلك.

أسماء الموصول:

فهي علي أنواعها المختلفة ، سواء كانت للمفرد أو المثني أو الجمع، هي الرابط مذكراً كان أو مؤنثاً ، تقوم بعمل واحد. وما يذكر علي سبيل المثال لا الحصر.

الذي:

(اسم موصول اجتلب ليكون وصلة إلي وصف المعارف بالجمل، نحو: مررت بزيدٍ الذي أبوه منطلق . فقد توصل بالذي إلي إبانة زيد من غيره بالجملة التي هي [أبوه منطلق] ، ولولا الذي لما توصلت إلي ذلك) [1]. ذلك أن هناك معارف التحديد بها غير واضح المعالم ، يعتريه ،نوعٌ من الغموض و لإزالة هذا الغموض يؤتي بالذي .

1- عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز - صـ: 139.

فجملة الصلة بعد اسم الموصول ، ذات مهمة معنوية خالصة . هي بيان وتحديد اسم الموصول الذي بدوره يحدد معالم ما قبله. فمهمة اسم الموصول تتمثل في الربط من ناحية ، ومن ناحية أخري أن الربط به معنوي ، غير لفظي ، لأنه وصف لما قبله، وقد اختص برباط الجمل ، غير المفرد.

ذو:

من الروابط الاسمية ، ذو . اجتلبت ليتوصل بها إلي الوصف بأسماء الأجناس، نحو: مررت برجلٍ ذي مال فقد بينت الرجل من غيره بالمال.. ولولا (ذو) لم يتأت لك ذلك إذ لا نستطيع أن نقول: مررت برجلِ مالٍ)[1] .

يتضح من ذكر الموصولات الحرفية والاسمية ، أن الموصولات الحرفية كثيرة في اللغة العربية ، و أنها تقوم بمهمة الربط ، مع معني يخصها تضفيه علي الجملة أو العبارة ، بينما الموصول الاسمي ، فإنه يقوم بمهمة الربط ، إضافة إلي المعني الذي هو جزء منه ، ومكمل له .وعلي كل فإن الأغراض من سرد هذه الأدوات الرابطة وضع خلفية عن أدوات الربط ، لتكون مدخلاً إلي دور الضمير في الربط .

1- المصدر نفسه – صـ: 139.

الفصل الثاني

المعارف ودرجة تفاوتها في التحديد أو التعيين

مراتب دلالة الاسم:

(النكرة أصل الكلمة ، والمعرفة جاءت بعدها، وهي كلمة لا تدل علي معرف ،وليست ضميراً أواسماً موصولاً أو علماً أو مضافة إلي معرفة أو متصلة (بال) التعريف مثل : شجرة ، رجل ، بحر)[1].

فالاسم في دلالته يمر بثلاث مراحل ،مرحلة العموم ، ومرحلة التخصيص (الحصر)، ومرحلة التعيين أو التحديد ، فكلمة (سور) في قولنا: رأيت سوراً فلا تدل علي معين . فإن دلالتها عامة تصدق علي أي سور ؛ فقد يكون السور لمسجد أو لمدرسة أو لغير ذلك ، وإن أضيفت النكرة إلي نكرة أخري ، نحو : رأيت سور مدرسة فإنها تكتسب بهذه الإضافة تخصيصاً . (حصراً) فالسور ينحصر في سور لمدرسة ، ولا تزال المدرسة غير معرفة. أهي مدرسة الأندلس أم مدرسة المؤتمر؟ لتصبح بتلك الإضافة في مرتبة بين المعرفة والنكرة من حيث دلالتها علي التعيين أو التعريف. فلا ترتفع في تعيين مدلولها إلي درجة المعرفة الخالصة من الإبهام والشيوع ، ولا تنزل في الإبهام والشيوع إلي درجة النكرة الخالصة الخالية من كل تعيين وتحديد.

وإن أضيفت إلي معرفة ،فإنها تكتسب بها نوعاً من التعيين أو التحديد ، وفق درجة المعرفة المضاف إليها ، نحو : رأيت سور المدرسة ، فإن السور قد تعين وتحدد ،فأصبح سوراً لمدرسة محددة في العقل و الواقع، لنا سابق عهد بها ، وذلك لأنها أضيفت إلي معرفة بأل العهدية . فإذا كان التخصيص في عرف النحاة هو تقليل الاشتراك في النكرات ، والتعيين هو رفع احتمال الاشتراك، فإن كلمة (سور)

1- مجموعة مؤلفين – د/ مصطفي محمد رضوان ، د/ محمد النوجي ،د/ عبد الله درويش . التمهيد في النحو والصرف- صـ:143.

السابقة في المثال الأول، تدل على كل سور، واشترك في مدلولها سائر الأسوار. أما في المثال الثاني [سور المدرسة] فإن دلالتها تحتمل مدارس متعددة، كما احتمال كلمة [أحمد] على أشخاص مختلفين منهم التاجر والعالم والشاعر. فيظل التحديد ناقصاً ، ما لم تكن هناك علائق لفظية تزيد المعني تحديداً . كأن توصف النكرة أو المعرفة نحو: رأيتُ سوراً جميلاً . و مررت بسور المدرسة المتفوقة . و جاء احمد الشاعر.

فالنكرة أصل إذ لا يوجد معرفة إلا وله اسم نكرة، ويوجد كثير من النكرات ولا معرفة له ، والمستقل أولي بالأصالة : وأيضاً فالشيء أول وجوده تلزمه الأسماء العامة ، ثم يعرض له بعد ذلك الأسماء الخاصة ، مثل الآدمي إذا ولد ، فإنه يسمي إنساناً أو مولوداً ، ثم يوضع له الاسم : العلم واللقب والكنية)[1].

الوقوف عند النكرة لنتبين بها قوة وضعف المعارف في التحديد والتعريف قياساً بالنكرة .

أولاً النكرة:

لغة:

جاء في المعجم الوسيط [2] .

نَكِر الشيء: جهل .

أنكَر الشيء: جهله.

وفي التنزيل العزيز [وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ][3]

1- شرح الأشموني علي ألفية بن مالك . تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد . جـ1 . ط الثالثة. مكتبة النهضة المصرية . صـ : 96 .

2- مجمع اللغة العربية ،(مجموعة باحثين)- المعجم الوسيط – مادة : نكر .

3- سورة يوسف، الآية: 58.

نَكَّرَ الشيء : غيَّره بحيث لا يعرف ، وقال تعالي :[قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ][1] .

تناكر فلان : تجاهل .

يلاحظ أن روح المعنى في جميع تصاريف اللفظ واحد ،وهو جهل الشيء ؛ أي عدم معرفته ، فيلتقي هذا المعنى مع الدلالة الاصطلاحية لدى علماء النحو .

الدلالة الاصطلاحية للنكرة :

قال ابن مالك في الألفية :-[2]

نكرةٌ قابل ال مؤثرة أو واقع موقع ما قد ذكر

عرّف ابن مالك النكرة بأنها الاسم الذي يقبل (ال) ، أو ما يقع موقع ما يقبل (ال) مثل (ذو) بمعني صاحب أو (ما) بمعني شيء ،ووضع لذلك شرطاً هو التأثير في اللفظ من حيث المعني بتغيير مدلوله ، نحو : جاء رجلٌ ← جاء الرجل، فقد أثرت في اللفظ فجعلته محدداً ومعيناً ، واحترز بذلك عن الأسماء التي تدخلها (ال) ولا تؤثر فيها ، كالعباس فإنه لا تؤثر فيه التعريف ، لأنه معرف قبل دخول (ال) . وإذا كان مفهوم التعريف هو تحديد الشيء بذكر خواصه المميزة ، فإن ابن مالك في التعريف السابق للنكرة اعتمد الناحية اللفظية وأهمل الجانب المعنوي للنكرة ، مما اضطر ابن عقيل للدفاع عنه في شرح ألفيته عندما ذكر [3] . أن هناك قوماً اعترضوا علي تعريف ابن مالك للنكرة بأنه غير جامع لقصوره وعدم شموله ، ذلك أن هناك نكرات لا تقبل (ال) ولا تقع موقع ما يقبل (ال) كالحال والتمييز ومجرور ربّ نحو : جاء زيدٌراكباً ،

1- سورة النمل، الآية: 41.

2- بهاء الدين عبد الله بن عقيل – شرح ابن عقيل – جـ1 . منشورات المكتبة العصرية ، بيروت ، لبنان . ط الثانية، صـ:86.

3- المرجع نفسه ، صـ:77 .

واشـتريت رطـلاً عسـلاً ، وربّ رجـلٍ كـريمٍ خلقـه لقيتـه . فقـد بـين أنهـا تقبـل (ال) مـن حيـث ذاتهـا لا مـن حيـث كونهـا حـالاً أو تميـزاً أو مجـروراً لـربّ . ذلـك أن الحـال والتمييـز ، واسـم لا النافيـة للجـنس والاسـم المجـرور بـ (ربّ) وأفعـل التفضـيل إذا كـان بعـده (مـن) الجـارة . لا تقبـل (ال) بسـبب وضـعها فـي هـذه التراكيـب ، فـإذا انسـلخت عنهـا قبلـت (ال) تقـول الراكـب ، العسـل ، الرجـل . (الأكـرم) فـي جملـة محمـد أكـرم من أحمد .

فـدفاع ابـن عقيـل عـن شـيخه شـغله عـن البحـث ، فقـد ركـز جهـده فـي قبولهـا (ال) أو عـدم قبولهـا لهـا ، وأكثـر مـن الـدفاع ، وإن ظهـر صـدق رأيـه فـي هـذا الإطـار فإنـه لا يزيد علي أنه تناول تعريف النكرة من الناحية اللفظية .

وقـد جـرى علـي هـذا التعريـف عبـد الـرحمن بـن الأنبـاري بقولـه: (علامـة قبولهـا لـدخول الألـف والـلام نحـو: الرجـل و الغـلام وكـذلك دخـول (ربّ) عليهـا نحـو: ربّ رجـلٍ، ربّ غـلامٍ) [1]. فحديثـه عـن النكـرة يشـير إلـي علاماتهـا الدالـة عليهـا، وهنـاك فـرق بـين معني الشيء وعلاماته الظاهرة التي يعرف بها.

ثـم تنـاول أبـو حيـان النكـرة بـالتعريف بقولـه: (هـي الاسـم الموضـوع علـي أن يكـون شـائعاً فـي جنسـه)[2]. يلاحـظ أنـه أشـار إلـي مـدلول النكـرة المعنـوي، ذلـك لان الجـنس هـو الأصـل والأصـل مـا يـدل علـي كثيـر مختلفـين بـالأنواع فهـو أعـم مـن النـوع، فـالحيوان جنس، و الإنسان نوع، فرغم إصابته للمعني إلا أنه قصر عن شموله للنوع.

---

1 - ابن الانباري ، أسرار العربية ، صـ : 75 .

2 - ابوحيان ، همع الهوامع شرح جمع الجوامع ، صـ: 459 .

لذلك جاء في شرح الكافية الشافية بأن النكرة (كل اسم يدل علي غير معين سواء كان شائعاً في جنسه كحيوان أو نوعه * كإنسان [1]. عبارة (علي غير معين) عبارة جامعة لكل من النوع والجنس لأنها دلت علي الشيوع في أفراد لا يختص به واحد دون غيره ، كرجل و امرأة ، فالأول يصح إطلاقه علي كل ذكر بالغ من بني آدم والثاني يصح إطلاقه علي كل أنثي بالغة من بني آدم فالنكرة هي ما لا يفهم منها معين .

ويؤكد ذلك ما جاء في أوضح المسالك بأن النكرة (هي ما شاع في جنس موجود أو مقدر مثال: ما شاع في جنسٍ موجود قولك (رجل) فإنه موضوعٌ للإنسان الذكر البالغ فكل واحد من أفراد هذا الجنس يصدق عليه هذا اللفظ ، ومثال ما شاع في جنسٍ مقدر قولك (شمسٌ ، وبدرٌ وقمرٌ).فإن لفظ شمس موضوعٌ للكوكب النهاري الذي ينسخ ظهوره وجود الليل، وهذا المعني من حقه أن يصدق علي أفراد متعددة علي سبيل البدل، ولكن الواقع أنه لم يوجد له إلا فرد واحد. ولو أنه وجدت أفراد كثيرة من جنسه لصدق علي كل واحد منها ومثله بدر وقمر)[2] . فعدم وجود أفراد له في الخارج جعل صدقه علي متعدد يختلف.

فالنكرة هي ضرب من الأسماء وهي (ما شاع في جنس موجود كرجل أو مقدر كشمس)[3]. فلو قلنا : في الدار رجلُ – تحدثت امرأة، فإن لفظ (رجل و امرأة) لها

---

* النوع : الصنف من كلا شيء تتفق في حقائق .

1 - شرح الكافية الشافية جـ 1 ، صـ: 90.

2 - أبي محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام ، أوضح المسالك لألفية بن مالك – جـ1 - تحقيق د/ محمود مصطفي حلاوي، دار أحياء التراث العربي – بيروت – لبنان – ط 1 1998- 1418هـ - ص : 114.

3 - ابي محمد عبد الله جمال الدين ابن هشام الأنصاري ، شرح قطر الندي وبل الصدي ، تحقيق الفاخوري ، دار الجيل ، بيروت ، ط الأولي ، 1988م ، 1408 هـ ، صـ: 91.

معنـي يدركـه العقـل بمجـرد ذكرهـا فـي الجملـة أو نطقهـا فـي الكـلام، غيـر أن هـذا المعنـي العقلـي، والمـدلول الـذهني المجـرد غيـر معـيِّن ولا محـدد فـي العـالم الـواقعي. عـالم المحسوسـات ، فهـو ينطبـق علـي فـرد واحـد ، ولكنـه فـرد لـه نظـائره تشـابهه فـي حقيقتـه وتماثله في صفاته الأساسية فكأنه فرد واحد متكرر الصور .

وخلاصـة الأمـر أن النكـرة هـي مـا دلـت علـي الشـيوع. وعلامتهـا قبـول(إل – ربّ) ، ويتضح من هذه العلامات أن النكرة نوعان :

- نوع يقبل الـ المفيدة فيه التعريف نحو : رجل

- نـوع يقـع موقـع مـا يقبـل (الـ) المـؤثرة للتعريـف ، وهـو (ذو) مـن الأسـماء الخمسـة ، بمعنى صاحب و(ما) بمعنى شيء ، و(من) بمعنى إنسان نحو :

- جاء ذو مال .

- لا يسرني من معجب بنفسه .

- والحرية أجمل ما في الحياة.

فـإن (ال) لا تـدخل علـي هـذه الأسـماء بعينهـا ، وإنمـا تـدخل علـي مـا تقـوم مقامهـا (صـاحب ، إنسـان ، شـيء) ، ولهـذا فـإن كلمـة (ذو ، مـن ، مـا) نكـرات لأنهـا واقعة موقع ما يقبل (ال)

ثانياً المعرفة:

المعرفة في اللغة [1]. من عَرَفَ الشيء عِرفاناً ومَعْرِفة: أدركه بحاسة من حواسه.

وعُرِف فلان : أصابته العَرْفة ، فهو معروف ، وعُرِفَ الديك : كان له عُرْف فهو أعرف وهي عرفاء .

وعرَّف فلاناً بكذا : وسمه به .

عرَّف فلان الأمر: أعلمه إياه.

اعترف بالشيء : أقرَّ به .

وتعارف القوُم: عرِف بعضهم بعضا .

أتيته متنكراً ثم إستعرفت : عرَّفته من أنا .

والأعراف : الحاجز بين الجنة والنار ، وفي التنزيل [وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ] [2].

بتتبع مدلول هذه اللفظة نجده يتمثل في المعاني التالية : الإدراك الحسي ، أو العلامة أو التحديد ، ثم التثبت وعدم الالتباس أو المعلم والحد ، فإن هذه الدلالات كلها تدور حول معني مشترك واحد ، وهو تحديد الشيء وتعيينه بإحدى علاماته المميزة ، وهو أقرب للمعني الاصطلاحي عند علماء النحو .

وفي اصطلاح علماء النحو يعرفها ابن هشام في أوضح المسالك بقوله : (هي عبارة عن نوعين أحدهما ما لا يقبل (ال) ألبتة ، ولا يقع موقع ما يقبلها نحو : (زيدٌ

1 - مجموعة مؤلفين، المعجم الوسيط ، مادة [عرف] .

2 - الأعراف ، الآية: 46 .

وعمرو) . والثاني ما يقبل (ال) ولكنه غير مؤثرة التعريف نحو: حارث وعباس ، فأن (ال) الداخلة عليها للمح الأصل بها)[1].

تحدث صراحة عن أنواع المعرفة بتقسيمه لها إلي نوعين ، معتمداً في ذلك المعيار اللفظّي في كونها لا تقبل (ال) مقارنة بالنكرة التي تقبل (ال) فهي عنده نوعان :

النوع الأول :ما لا يقبل(ال) أبداً ولا يقع موقع ما يقبلها مثل : زيد ، دعد .

النوع الثاني :ما يقبل (ال) ولا تؤثر فيه التعريف نحو : عباس ، حارث ، وعلة ذلك أنها أعلام منقولة عن شيءٍ سبق استعماله قبل العلمية ، كالأعلام المنقولة عن صفات وعن مصدر.

ويعرفها ابن عقيل بأنها (ما وضع ليستعمل في شيءٍ بعينه كالضمير والعلم)[2]. إشارة إلي أن المعارف تدل بالوضع علي شيءٍ معين مستبعداً بذلك الأسماء الموضوعة، ولا تدل علي معيّن (النكرة).

وفي قطر الندي يتعرض للمعرفة بأقسامها ، دون أن يشير إلي تعريفها في معرض حديثه عن أنواع الاسم (الاسم ضربان نكرة وهو ما شاع في جنسٍ موجود كرجل أو مقدر كشمس ، ومعرفة وهي ستة : الضمير ، وهو ما دل علي متكلم ومخاطب وغائب ...)[3]، فهو يشير ضمنا إلي أنها عكس ، النكرة ويصرف فكره إلي أنواعها مفصلاً كل نوع.

وفي جامع الدروس قسم الاسم إلي نوعين بقوله الاسم نوعان (اسم جنس واسم علم ، اسم الجنس ، هو الذي لا يختص بواحد دون أخر من أفراد جنسه ، كرجل

---

1 - ابن هشام ، أوضح المسالك لألفية ابن مالك صـ : 115.

2 - شرح ابن عقيل جـ1 ، هامش صـ : 88 .

3 - ابن محمد عبد الله جمال الدين ابن هشام ، قطر الندي وبل الصدي ، صـ : 91.

وامـرأة، ومنـه الضـمير ، وأسـماء الإشـارة ، والأسـماء الموصـولة... لأنهـا لا تخـتص بفـرد دون أخـر . ويقابلـه العلـم فهـو يخـتص بواحـدٍ دون غيـره مـن أفـراد جنسـه)[1]. حـاول الشـيخ أن يـأتي بتعريـف أكثـر دقـة للمعرفـة والنكـرة عنـدما قسـم الاسـم إلـي اسـم جـنس وعلـم، فكلـف نفســه مشـقة صــعب عليــه الخــروج عنهــا ، حيــث أنــه جعـل الضــمائر والإشــارة والموصـول، فـي مرتبـة النكـرة ، لأنهـا لا تخـتص بفـرد دون أخـر ، وقابـل العلـم بـذلك ، لأنـه يخـتص بواحـد دون غيـره . والعِلْـم بـأن العلـم قـد يشـترك فيـه أكثـر مـن واحـد ، فكلامـه يؤكـد حقيقـة أن المعـارف تتفـاوت فـي درجـة التحديـد والتعيـين ، وأن التعيـين بهـا لـيس مطلقـاً ، وبـذلك تكـون المعرفـة كـل لفـظٍ وضـعه الواضـع لمعنـي معـين أو هـي اسـمٌ يـدل علــي معــين كخالــد والتعيــين ضــد الشــيوع فــي النكــرة ، فالإبهــام يــزول ويختفــي بتحديــد المـدلول وحصـره فـي واحـدٍ معـين . فمـثلاً لـو قلـت: أنـا فـي المنـزل ، أو محمـد فـي المنـزل، فقـد تحـدد المعنـي فـي المـتكلم أو محمـد فـلا ينصـرف الـذهن إلـي غيرهـا ، ولا يمكـن أن ينسب الوجود لسوى الأسماء المذكورة فتمنع الاشتراك التام في مدلولها .

عدد المعارف :

والمعارف ست وبعضهم عدّها سبعاً بإضافة النداء المقصود جمعها في قولهم: -

إن المعارف سبعة فيها سهل *** أنا صالح، ذا، ما، الفتى، ابني، يا رجلُ[2].

فإنــه قــد رتــب المعــارف ، حيــث وضــع الضــمائر فــي مقــدمتها وأشــار إليهــا بالضـمير (أنـا)، وصـالح إشـارة إلـى العلـم ، وذا إشـارة إلـى أسـماء الإشـارة ، ومـا إشـارة إلـى الموصـول ، والفتـى إشـارة إلـى المعـرف بـال ، وابنـي إشـارة إلـى المضـاف إلـي معرفـة ، ويا رجل إشارة إلى النداء المقصود .

غيـر أن أغلـب النحـاة جعلهـا سـتة مسـتبعدين النـداء ، لأنـه لا يحـدد ويعـين مـدلول لفظـه علـي سـبيل الإطـلاق ، ذلـك أن النـداء ، إمـا أن يكـون نكـرة مقصـودة فيعـرف بالنـداء

---

1 - الشيخ مصطفي الغلاييني ، جامع الدروس العربية ، ضبط وتخريج د.عبد المنعم خليل ابراهيم .ط7 ،جـ1، 2006م – 1427هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان، صـ :83

2 - مجموعة مؤلفين ، التمهيد في النحو والصرف . صـ : 143.

لتضمينه القرينة اللفظية الممثلة في ياء النداء ، أو المعنوية الممثلة في الحضور الواقعي ، نحو : يا عالُم ، يا رجلُ فصارت معرفة بذلك ، أو أن يكون نكرة غير مقصودة فتبقى علي عمومها لانعدام القرينة المعنوية الدالة علي تعيينها ،فلا تُعَرف نحو : يا زائراً ،نزلت أهلاً وحللت سهلاً ، وبذلك تكون المعارف ستة . الضمير، العلم، واسم الإشارة، اسم الموصول، والمعرف بال، والمضاف إلي واحدٍ منها.

يقول ابن مالك في ألفيته :

نكرة قابل ال مؤثرا *** أو واقع موقع ما قد ذكر

وغيره معرفة كهم وذي *** وهند، ابني والغلام والذي[1]

أشار في البيت الثاني إلي المعارف بالأمثلة التي أعتمدها في نظم بيته دون ترتيب وفق درجة تعيينها أو تحديدها للمعنى . فقد أوردها بما يوافق نظمه وعددها ، حيث جاء بالضمير ومثّل له: بـ [هم].ثم اسم الإشارة ومثّل له: بـ [ذي]. ثم العلم نحو: هند. ثم المضاف إلي معرفة . نحو: [ابني] وجاء بعده بالمعرف بال نحو: الغلام ثم انتهى باسم الموصول ومثّل له بـ [الذي].

وما يؤكد عددها ما جاء في قطر الندي [ومعرفة ، وهي ستة . الضمير. وهو ما دل على متكلم أو مخاطب أو غائب... والعلم... والإشارة... و الموصول... ، وذو الأداة... والمضاف إلي معرفة)[2]. فقد بيِّن عددها مع شيء من التفصيل والترتيب حسب درجة تعيينها وتحديدها لمدلولها ، فوضع الضمير أولاً ثم العلم فاسم

---

1 - شرح ابن عقيل . جـ 1 ، صـ: 87.

2 - أبي عبد الله جمال الدين بن هشام ، قطر الندي وبل الصدي ، صـ: 92 - 111.

الإشـارة واسـم الموصـول والمعـرف بـال والمضـاف إلـى واحـدٍ منهـا إضـافة معنويـة * .

غير أنه لم يشر إلي المعيار الذي أتخذه لذلك .

واعـرف هـذه المعـارف . المضـمر علـي الأصـح ، ثـم العلـم، ثـم اسـم الإشـارة، ثـم الموصـول ثـم المحلـي ، وقيـل همـا فـي مرتبـة واحـدة... وأمـا المضـاف فإنـه فـي رتبـة مـا أضـيف إليـه)[1]. فقـد بـّين عـددها مـع شـيء مـن الترتيـب فقـد جـاء بالضـمائر أولاً وهـي مرتبـة بـداخل أنواعهـا المـتكلم فالمخاطـب ثـم الغائـب، ثـم العلـم للمكـان فالإنسـان ثـم الحيـوان . والإشـارة للقريـب فالمتوسـط فالبعيـد . فالموصـول المخـتص فالمشـترك ،ثـم ال العهدية فالجنسية ثم ينتهي بالمضاف إلي واحدة من المعارف السابقة .

أعتمـد فـي ترتيبـه هـذا التعمـيم بصـيغة التفضـيل (أعـرف) دون أن يعطـي تفسـيراً أو تعلـيلاً لـذلك. أّمـا جـامع الـدروس العربيـة فـي صـدد ذكـره العلـم ، فقـد أشـار إلـي شـيء مـن التفسـير وبيـان العلـة لأكثـر المعـارف تحديـداً للمعنـي ، دون أن يعتمـد الترتيـب السـابق ، حيـث قـال [والعلـم يعـيِّن مسـماه بـلا قرينـة وأمـا بقيـة المعـارف ، فالضـمير يعـيِّن مسـماه بقرينـة الـتكلم أو الخطـاب أو الغيبـة ، واسـم الإشـارة يعينـه بواسـطة إشـارة حسـية أو معنويـة واسـم الموصـول يعينـه بواسـطة الجملـة التـي تـذكر بعـده . والمعـرف بـال يعينـه بواسطتها ... والنكرة المضاف إلي معرفة يعينه بواسطة، إضافتها إليها)[2].

*ما تكسبه تعريفاً وتحديدا: جاء غلام – جاء غلام محمد – جاء غلام الرجل.

1 - شرح الأشموني – محقق ،محمد محي الدين عبد الحميد – جـ1 – صـ: 97 .

2 - الشيخ مصطفي الغلاييني – جامع الدروس العربية ضبط و تخريج د. عبد المنعم خليل إبراهيم جـ1 . ص: 84 .

إضافة النكرة إلي معرفة نحو : قولنا تحدث رجلُ ، فإن التحدث غير محصور في فرد بعينه يمكن تحديده ، غير أنه لو قلنا : تحدث أحمد فإن الشيوع والإبهام يزول بسبب كلمة[أحمد] لأنها تدل علي فرد بعينه .

أّما الضمائر، نحو : أنا في المنزل، فإن الشيوع والإبهام يزول بسبب تحديد المدلول وحصره في واحد معين هو المتكلم، فلا ينصرف الذهن إلي غيره. وكذا قولنا :هذا في المنزل . فإن هذه الجملة تكون غير واضحة الدلالة غامضة التحديد دون الاستعانة بالإشارة الحسية و بها يمكن الاهتداء إليها . فقد تحدد المقصود باسم الإشارة. ومثل ذلك إذا قلنا : جاء الذي ... ، فإن هذه الجملة من الإبهام والشيوع ما جعلها غير مفيدة لمعنى ، وذلك بسبب افتقارها لجملة بعدها ، فلو أضيفت إليها هذه الجملة ، فقلت :جاء الذي صدق في القول ، نجد أن الشيوع في لفظ الذي أزيل بهذه الجملة التي تسمي جملة الصلة .

ثم إن جملة السودان يمر به نهرُ، قد يصدق علي لفظ (نهر) أنهر كثيرة منها الفرات ، ودجلة وغير ذلك من الأنهار. لكن هذا الشيوع والغموض يزال بإضافة النكرة (نهر) إلى كلمة (النيل) فتصبح الجملة: السودان يمر به نهر النيل.

وكذلك : اشتريت كتاباً ، فقرأت الكتاب فكلمة [كتاب] كانت في أول أمرها نكرة ثم صارت بعد ذلك معرفة بسبب دخول (ال) عليها و(ال) التي من هذا الطراز وسيلة من وسائل التعيين ، أي أداة من أدوات التعريف ، إذا دخلت علي النكرة التي تقبل إل التعريف جعلتها معرفة .

والملاحظ أن النكرة قاسم مشترك بين المعارف ، و ذلك لأنها الأصل (إذ لا توجد معرفة إلا ولها اسم نكرة. وتوجد كثير من النكرات لا معرفة لها و المستقل أولي بالأصالة... فالشيء أوّل وجوده تلزمه الأسماء العامة ثم يعرض له بعد ذلك الأسماء الخاصة)[1].

الآراء السابقة اجتمعت علي ترتيب المعارف حسب درجة التحديد ، دون تقديم دليل أو تعليل لهذا الترتيب باستثناء بعض الآراء التي تشير من طرف خفي إلي ذلك. لذا يعتمد الدارس ذلك الترتيب والوقوف علي درجة التحديد من خلال كل معرفة ، وبيان المعايير التي جعلت هذه المعرفة أقوى وأدلّ في التحديد من تلك.

المعرفة في دلالة لفظها، ما دل علي التعيين ، والمعارف تختلف في درجة التعيين والتعريف، فبعضها أقوى من بعض ، وهناك أراء للنحاة في شان ترتيبها من حيث القوة . (فأعرفها المضمر علي الأصح، ثم العلم، ثم اسم الإشارة، ثم الموصول، ثم المحلى بال وقيل: هما في مرتبة واحدة وقيل المحلي أعرف من الموصول . أما المضاف فإنه في رتبة ما أضيف إليه... وعند أكثر النحاة أن المضاف إلي الضمير في رتبة العلم)[2].

فأقوى المعارف بعد لفظ الجلالة الضمير ، وهو ضمير المتكلم ثم ضمير المخاطب ، ثم العلم؛ وهو درجات متفاوتة القوة في درجات التعريف . ويلحق بعلم الشخص في درجة التعريف العلم بالغلبة ، ثم ضمير الغائب الخالي من الإبهام ، بأن يتقدمه اسم واحد معرفة أو نكرة ، نحو : حسين رأيته ، رجل كريم لقيته ، فلو تقدمه

---

1 - د/ محي الدين عبد الحميد – شرح الأشموني علي ألفية ابن مالك – جـ1 – ص:95.

2 - المرجع السابق . صـ: 97.

اسمان أو أكثر ، ولم يتعين مرجعه بسبب هذا التعدد وعدم القرينة التي تحدده – نحو: قام محمود وأحمد فصافحته تسرب إليه الإبهام ونقص تمكنه من التعريف. ثم الإشارة لأنّ التعريف بها يتم بالقصد الذي يعّينه المشار إليه. ثم اسم الموصول والمعرف بال وهما في درجة واحدة. أّما المضاف إلي معرفة فإنه في درجة المضاف إليه إلا إذا كان مضافاً إلي ضمير، فإنه يكون في درجة العلم.

من خلال ترتيب المعارف السابقة ، هناك معايير معينة نلحظها من السياق، فقد رتبت المعارف باعتبار القرينة وعدمها في دلالتها وتحديدها للاسم . وجاء علي هذا الأساس الضمير والعلم أولاً ، ثم اسم الإشارة فالموصول، فالمعرف بال لان التعريف بها يتعين بواسطة قرينة لفظية أو معنوية أو حسية.

الأُولَى تقديم العلم علي الضمير ، وفق المعيار السابق ، ذلك أن العلم يعين مسماه مطلقاً دون قرينة لفظية أو معنوية ، ولكن بالنظر إلي الحضور العقلي * والواقعي وهو [عالم المحسوسات العالم الخارجي] فقد جاء بالضمير أولاً . وهذا المعني العقلي المجرد إن انطبق في عالم المحسوسات على فرد بعينه ، كان أكثر تحديداً (بحيث لا يختلط وسط أفراد أخرى تماثله ، نحو: أنا في المدينة، تدل (أنا) علي فرد بعينه. دون كلمة (محمود) في جملة :تكلم محمود . فمحمود يدل على أكثر من واحد تماثل في مدلولها.

إن الضمائر بحسب المتكلم والخطاب ، الحضور الذهني والواقعي ماثل فيها لذلك جيء بضمير المتكلم والمخاطب في المرتبة الأولي [لأنها تفيد معاني خاصة بها مستقلة ، لا يكنى بها عن شيء آخر من الأسماء ، فالكلام من طبيعته وجوهره ، أنه

* - الحضور العقلي أو الذهني هو إدراك العقل لمدلول الكلمة وفهم المراد منها بمجرد سماعها أو كتابتها.

متكلم ، فـ [أنا] المتكلم أصل كل كلام ومنبعه وأقدم منه ، والمتكلم لا يكلم نفسه في الأصل ،بل مخاطباً ف [أنت] المخاطب أصل ثانٍ)[1] .

فالذي يميز الضمير الحضور الذهني والواقعي ، بينما العلم يقتصر علي الحضور الذهني فقط، . لان العلم بالنظر إلي الواقع نجد أن اللفظ فيه يشترك في دلالته مجموعة من الأفراد مما ينتج عن ذلك بعض الإبهام. وما يؤكد ذلك وضع ضمير الغائب من حيث الترتيب بعد العلم . وقبل اسم الإشارة ، لأنه من ناحية يشترك مع العلم في الحضور الذهني ، ومن ناحية أخري يشترك في تعيين وتحديد مدلوله تقدم معرفة أو نكرة مع خلوه من الإبهام.

فإذا كان الحضور الذهني له درجات من حيث القرب أو البعد فذلك الذي وضع ضمير الغائب في موضعه الحقيقي بين الضمائر [المتكلم و المخاطب] وأسماء الإشارة لأنه يشارك أسماء الإشارة في أنه يكني بها عن الأسماء)[2] .

نحو: إذا سئلت أين محمد ؟ يمكنك الإجابة بـ: هو في المنزل، بدلاً عن محمد في المنزل. فكني بالضمير [هو] عن اسم [محمد] ، فالكناية قريبة من الإشارة ومشتقة منها .

ثم يأتي اسم الإشارة ، لأنه يتم تعيين مدلوله بواسطة قرينة حسية أو معنوية، نحو: هذا محمد ، وأنت تشير إليه. ونحو : (تلك الرسل فضلنا بعضهم علي بعض).

---

1 - د. رمضان عبد التواب ، التطور النحوي للغة العربية . ط 1929 مكتبة الخانجي ، القاهرة ، صـ : 80 .

2 - د. رمضان عبد التواب ، التطور النحوي للغة العربية، صـ: 79 بتصرف.

ثم يأتي بعد ذلك اسم الموصول ، لأنه يتم تعيين مدلوله بواسطة قرينه لفظية ، هي جملة الصلة أو شبه جملة الصلة. فالمعرف بال هو في مرتبة واحدة مع الموصول، لأنه يعيِّن مدلوله قرينة لفظية هي [ال] التعريفية ، ثم نجد كل معرفة قد انتظمت بترتيب خاص لأنواعها حسب حضورها الذهني والواقعي من حالة المتكلم.

ونخلص من ذلك أن الاعتبارات التي اتخذت في ترتيب المعارف حسب درجة تحديدها أو تعيينها للاسم تتمثل في عدة أمور:

أولاً : ما يدل علي مدلوله بذاته دون قرينة .

ثانياً : ما يدل علي مدلوله بقرينة معنوية أو حسية أو لفظية .

ثالثاً : الحضور الذهني والواقعي للفظ بحسب التكلم أو الخطاب .

أولاً : الضمير:

الضمير هو أعرف الستة، وهو عبارة عمّا دلّ علي متكلم كأنا أو مخاطب كانت أو غائب كهو)[1]. وفي جامع الدروس العربية هو [ما يكني به عن متكلم أو مخاطب أو غائب فهو قائم مقام ما يكني به عنه مثل: [أنا، و أنت، و هو][2] .

1 - ابن هشام ، شرح قطر الندي وبل الصدي – صـ : 92 .

2 - الشيخ مصطفي الغلاييني . جامع الدروس العربية جـ1– صـ : 88 .

نجـد أن التعريفـات السـابقة ، قـد بينـت أن الضـمير أعـرف الأنـواع، وسـمي ضـميراً مـن قـولهم أضـمرت الشـيء إذا سـترته أو أخفيتـه، أو مـن الضـمور. وهـو الهـزال . لأنـه فـي الغالـب قليـل الحـروف . ويلاحـظ أن الحـروف الموضـوعة لـه غالبهـا مهموسـة وهـي التـاء والكـاف والهـاء والهمـس هـو الصـوت الخفـي ، وهـي جامـدة سـواء دلـت علـي مـتكلم أو مخاطب أو غائب.

وتنقسـم الضـمائر إلـي أقسـام متعـددة لاعتبـارات مختلفـة ،غيـر أننـا نقتصـر فـي هـذا المجال، أقسامها من حيث الدلالة والوضع. فبحسب وضعها تنقسم إلي ثلاثة أقسام:-

المتكلم نحو: أنا، نحن.

المخاطب نحو: أَنتَ، أَنتِ، أَنتما، أَنتم، أَنتنَ

الغائب نحو: هَو، هَي، هما، هْم، هنَ.

وسـمي ضـمير المـتكلم والمخاطـب ضـمائر الحضـور لان صـاحبه لابـدَّ أن يكـون حاضـراً وقـت النطـق . فالضـمائر معـارف غيـر أنهـا ((لا تخـتص بواحـد دون آخـر، فـإنَّ (أنـت) ضـمير للواحـد المخاطـب، ويصـح أن تخاطـب بـه كـل مـن يصـلح للخطـاب . و(هـو) ضـمير للغائـب، ويصـح أن يكنـي بـه كـل مـذكر غائـب. و(أنـا) ضـمير للمـتكلم الواحد ويصح أن يكني به عن نفسه كل متكلم))[1].

ممـا يلاحـظ فـي الضـمائر أنهـا سـواء كانـت لمـتكلم أو مخاطـب أو غائـب، فإنهـا تـرد متصـلة أو منفصـلة بصـيغ متعـددة. غيـر أن روح المعنـي يظـل يلازمهـا فـي كـل

1 - الشيخ مصطفي الغلاييني . جامع الدروس العربية – جـ1 ، صـ : 83.

حالاتها. أي أنها تشارك نظائرها في الدلالة علي المتكلم أو الخطاب أو الغيبة، فكل ضمير منفصل له نظير آخر متصل ، يماثله في معناه. مثل: أنا ويماثله التاء في ((كتبتُ)). ونحن ويماثله [نا] في ((كتبنا)) وهذا ما سيرد تفصيله في الباب الثاني .

أما من حيث التعريف أو التحديد فإن الضمير يعيِّن مسماه بقرينة التكلم أو الخطاب أو الغيبة كما بيِّن سابقاً . (وضمير المتكلم أخصَّ من ضمير المخاطب أي [أعرف منه] وضمير المخاطب أخصَّ من ضمير الغائب)[1] . فقد رتبت الضمائر داخل أنواعها من حيث تحديدها لمدلولها باعتبار الحضور الذهني والواقعي ، فوضع المتكلم في المرتبة الأولي ، فالمخاطب ثم الغائب ، إنّ ضمير المتكلم أعرف من ضمير المخاطب، وضمير المخاطب أعرف من ضمير الغائب . وإنما كان ضمير الغائب أحط مرتبة في التعريف من المتكلم والمخاطب ، لأنه لم يوضع معرفة بذاته بل بسبب مرجعه ، ولهذا لابدّ له من مرجع في الكلام ليفهم معناه. كما يلاحظ أن ضمير المتكلم والخطاب خاصة بالعقلاء، بينما ضمائر الغيبة مشتركة بين العقلاء وغيرهم.

فالتعريف بالإضمار أو الضمير يكون بحسب المقام من تكلم أو خطاب نحو: أنا جلستُ و أنت قمتَ أو غيبة نحو : هو لم يكتب ، بحيث يكون لضمير الغيبة مرجع تقدم ذكره لفظاً نحو : جاء محمد وهو يجري . أو تقديراً نحو [اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِ لتَّقْوَى] أي [العدل] المفهوم من السياق [أعدلوا] . أو حكماً كضمير الشأن . وهو ضمير يذكر قبل الجملة الاسمية أو الفعلية في موقع التعظيم أو التفخيم ، ووظيفته ، أنه كناية عن الجملة التي هي خبر له ومفسرة له نحو : قل : هو الله أحد . و [إنه

1 - الشيخ مصطفي الغلاييني ، جامع الدروس العربية ، صـ : 92 .

لا يفلح الكافرون] . والأصل في الخطاب أن يكون لمعيِّن ، وقد يكون لغير معيِّن . لدلالته علي العموم ليشمل كل مخاطب نحو قوله تعالي:[وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ] فحالة المجرمين متناهية في الظهور حتي لا يختص برؤيتها أحد دون آخر ...)[1].

والضمائر سواء كانت لمتكلم أو مخاطب أو غائب ، لفظها جامد وكلها مبنية بناءً لازماً ، وبسبب بنائها لا تتثني ولا تجمع ، ولا تدخلها العلامة الخاصة بالتثنية أو الجمع سواء كانت الدلالة لمذكر أو مؤنث.

ثانياً: العلم:

العلم هو ما وضع لمسمي معين ، بدون احتياج إلي قرينة خارجة عن ذات لفظه ، نحو: جعفر، محمد، مصر.في قطر الندي هو ما عُلِّق علي شيء بعينه غير متناول ما أشبهه)[2] .

وجاء في جامع الدروس العربية بأنه الذي يختص بواحد دون غيره من أفراد جنسه ، وهو اسم دلّ علي معيّن بحسب وضعه بلا قرينة كخالد وفاطمة ، ومنها أسماء البلاد والأشخاص والدول والقبائل والأنهار والجبال)[3].

---

1 - د. بدوي طبانة – معجم البلاغة العربية – مج 2 . صـ: 536، بتصرف.

2 - ابن هشام ، شرح قطر الندي صـ : 95 .

3 - الشيخ مصطفي الغلاييني . جامع الدروس العربية – جـ1 ، صـ : 84.

يلاحظ في تعريفات العلم السابقة تتفق علي تعريف واحد للعلم وهو ما دلّ علي معيّن بلا قرينة ، وذلك بحسب وضع اللفظ ،أي أنه يعين مسماه تعيناً مطلقاً ، فلا يحتاج إلي قرينة خارجة عن ذات اللفظ ، وهذا ما يميز العلم عن بقية المعارف الأخرى ، فإنها لا تعين مسماها أو مدلولها إلا بقرينة معنوية أو لفظية أو حسية . كما في ضمائر التكلم والخطاب والغيبة، ولفظية كما في جملة الصلة لأسماء الموصول، وال التعريفية للنكرات والإضافة، وحسية كما في أسماء الإشارة. وهذه القرائن لها الفضل في بيان الحضور الذهني أو الواقعي لتحديد المدلول .مما جعل العلم فاقداً لهذه الخاصية ، فلا يزال به شيء من الاشتراك. الذي يقلل من تحديد المسمي وتعيينه . فنحن أمام كثيرين يشتركون في تسمية هذا اللفظ بحسب الاتفاق لا بحسب الوضع ، لان كل من الواضعين ، إنما وضع هذا الاسم لواحد بعينه. فعند إطلاقها في الحال تقلل من التحديد وخاصة في أعلام البشر .

والأعلام ليست محصورة في أمور معينة كالبشر وإنما تشمل أموراً متعددة يشير إليها ابن مالك في ألفيته بقوله :

اسم يعيَّن مسماه مطلقاً علمه كجعفر وخرنقاً

وقَرَن وعدن ولاحق وشذقم وهيلة وواشق)[1].

بدأ بتعريف العلم ، ثم أشار إلي أن الأعلام تشمل أسماء البشر رجالاً ونساء ، ومثّل لذلك بـ جعفر للرجل وأصله النهر الصغير ، وخرنق علم لامرأة. وهي أخت طرفة بن العبد لامه . و أسماء القبائل ومثل لها بقرن ، أسماء البلدان والمدن ومثل

1 - بهاء الدين عبد الله بن عقيل - شرح ابن عقيل – جـ1، ص: 118.

لهـا بـ : عـدن ، أعـلام الحيوانـات ومثـل لهـا بـ لاحـق علـم لفـرس ، وشـذقم علـم لجمـل ، وهيلة علم لشاة وواشق علم لكلب .

فالأمثلـة التـي أوردهـا للعلـم تـدل علـي أن الإنسـان وليـد بيئتـه وعصـره ، فالأمثلـة برهـان علـي سيادتها فـي ذلـك العصـر ولا ينحصـر العلـم فيهـا بـل يتناسـب وروح العصر .

أقسام العلم :

ينقسـم العلـم باعتبـار الوضـع ومعنـاه إلـي ثلاثـة أنـواع:- اسـم ، و كنيـة ولقـب. فالاسـم مـا وضـع ليـدل علـي الـذات ابتـداءً ولـيس بكنيـة ولا لقـب نحـو : محمـد ، عمـر ، عثمـان ، سـعاد. ويعرفـه جـامع الـدروس العربيـة بأنـه الـذي يخـتص بواحـد دون غيـره مـن أفـراد جنسـه ، وهـو اسـم دل علـي معـين بحسـب وضـعه ، بـلا قرينـة كخالـد وفاطمـة، ومنـه أسماء البلاد و الأشخاص والدول والقبائل والأنهار.)[1]

فـإن كـان هنـاك اشـتراك فـي المسـمي بـه –مـثلاً كأحمـد – أشـخاص كثيـرون فاشـتراكهم فـي التسـمية أنمـا كـان بحسـب الاتفـاق والتصـادق ، لا بحسـب الوضـع ، لان كـل واحـد مـن الواضـعين إنمـا وضـع هـذا الاسـم لواحـد بعينـه ، والعلـم يعـيِّن مسـماه بـلا قرينـة . فهـو يختلـف عـن النكـرة فـي كونـه يعـين مسـماه، وعـن بقيـة المعـارف فـي كـون المعارف الأخرى تعّين المسمي بقرينة.

الكنية:

1 - الشيخ مصطفي الغلاييني ، جامع الدروس العربية – صـ : 98.

مـا وضـع ثانيـاً بعـد الاسـم ، وصُـدِّر مـن الأعـلام بـأب أو أم أو ابـن أو أخ أو أخـت الـخ. كمـا جـاء فـي شـرح الأشـموني بأنهـا مـا صـدر بـأب أو ام : كـأبي بكـر وام هـاني والتعريـف السـابق يشـير هنـا ضـمنا بـان الكنيـة اسـم مركـب ، لعـل هـذا التركيـب هـو السـبب الـذي جعـل الكنيـة بعـد الاسـم (العلـم) لأنـه يحـدد مسـماه مطلقـا بـلا قرينـة والكنيـة تحـدد المسـمي بقرينـة لفظيـة هـي التركيـب . ذلـك ان التعريـف بالعلميـة يكـون بإحضـار المسند إليـه يعّينـه فـي ذهـن السـامع ابتـداءً باسـم مختـص بـه نحـو : [الله الصـمد] فـالله علـم للـذات الواجـب الوجـود . الخـالق للعـالم فقولـه ابتـدأ يخـرج الإحضـار فـي الـذهن بشـرط كضـمير الغائـب والمعـرف بـال والموصـول والكنيـة ، وكلمـة مخـتص يخـرج ضـمير المـتكلم والمخاطـب واسـم الإشـارة فالكنيـة تابعـة للعلـم لأنهـا تصـلح للمعنـي الـذي يصـلح لـه العلم)[1].

اللقب :

جـاء فـي شـرح الأشـموني ، هـو مـا أشـعر برفعـة مسـماه و وضـعه : كـزين العابـدين ، وأنـف الناقـة)[2] . أي انـه مـا أشـعر بحسـب وضـعه الأصـلي برفعـة المسـمي مدحاً ، مثل زين العابدين والفاروق أو وضعته ذماً ، مثل :أنف الناقة و الحطيئة .

وقـد وضـع اللقـب فـي المرتبـة الثالثـة ، بعـد الكنيـة وبـذلك إذا اجتمـع الاسـم واللقـب ، وجـب تـأخير اللقـب علـي الاسـم. نحـو: علـي زيـن العابـدين. وزيـد انـف الناقـة. وإن كانـا مضـافين نحـو: عبـد الله زيـن العابـدين ،أو كـان الأول مفـرداً و الثـاني مضـافاً نحـو: زيـد

1 - شرح الأشموني ، علي الفية بن مالك ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد – جـ1 . صـ : 129 .

2 - المرجع السابق ، صـ :129 .

زيـن العابـدين أو العكـس، وجـب إتبـاع الثـاني لـلأول علـى أنـه بـدل أو عطـف بيـان علـي الأرجح)[1].

والعلـم باعتبـار ذاتـه ينقسـم إلـي مفـرد ومركـب، المفـرد نحـو: زيـد ، والمركـب ثلاثـة أنواع:

- ❖ مركـب إضـافة – نحـو: عبـد الله، وحكمـه أن يعـرب حسـب العوامـل الداخلـة عليـه والثاني يجر بالإضافة.
- ❖ مركـب تركيـب مـزج نحـو : بعلبـك ،وحكمـه يعـرب رفعـاً بالضـمة ونصـباً وجـراً بالفتحـة ، كالاسـم الممنـوع مـن الصـرف ، وإن خـتم بويـهِ بنـي علـي الكسـر نحـو : سيبويهِ .
- ❖ ومركـب تركيـب إسـناد ، وهـو ومـا كـان جملـة فـي الأصـل ،نحـو تـأبط شـراً وحكمـه أن العوامل لا تؤثر عليه).[2]

كمـا ينقسـم العلـم باعتبـار تشـخُّص مسـماه وعـدم تشخصـه إلـي قسـمين: علـم شـخص، نحـو: زيـد ، وعلـم جـنس ، نحـو :أسـامة للأسـد و ثعالـة للثعلـب ، فـإن كـلاً مـن هـذه الألفـاظ يصـدق علـي كـل واحـد مـن أفـراد هـذه الأجنـاس ، تقـول لكـل أسـد رأيتـه : هـذا أسامة مقبلاً .

1 - ابن هشام ، شرح قطر الندي - ص : 96.

2 - المرجع السابق: صـ: 95 - 96 بتصرف.

والعلم بأنواعه من الناحية البلاغية ، قد يرد لأغراض متعددة فيكون للتعظيم أو الإهانة أو الكنية عن معني يصلح العلم له. نحو: أبو الفضل قضى بهذا الرأي. (لرجل عالم اسمه أبو الفضل ولذلك يكون قضاؤه مقبولاً ...).

ونحو: أبو جهل و أبو لهب فعل كذا، وتشير بذلك إلي أنه جهنمّي. وقد يكون للتلذذ بذكر الاسم نحو :

بالله يا ظبيات القاع قُلْنَ لنا ليلاي منكنَّ أم ليلي من البشرِ

أو للتبرك نحو: الله الهادي، ومحمد الشفيع أو التفاؤل، نحو: سعد في دارك، أو التشاؤم نحو: السّفاح في دار صديقك.)[1].

ثالثاً اسم الإشارة :

يقول ابن مالك :

بذا لمفرد مذكر أشِرْ بذي وذِه تي تا علي الانثي اقتصر

من الملاحظ أن الناظم أشار إلي أنواعها بذكر العدد ، فلم يتعرض إلي التعريف. ثم أن عددها يفوق ما ذكره ، ولكنه اقتصر نظمه علي المستخدم منها فهي . إما مذكر أو مؤنث. وكل منهما مفرد أو مثني أو جمع.

---

1 - د. بدوي طبانه : معجم البلاغة العربية . ج2 . ص:536 -537.

و ذان تأن للمثني المرتفع وفي سواه ذين وتين أذكر تطع

وأولي أشر لجمع مطلقاً والمد اُولي ولدى البعد أنطقا [1]

وفي شرح الأشموني ورد أنها [ما وضع لمشار إليه][2].

وفي جامع الدروس العربية قد عرف اسم الإشارة (بأنه ما يدل علي معني معين بواسطة إشارة حسية باليد ، ونحوها، إن كان المشار إليه حاضراً ، أو إشارة معنوية إن كان المشار إليه معنًي أو ذاتاً غير حاضرة) [3].

فقد أوضح التعريف السابق ،وزاد تفصيلاً عن سابقه بحيث وضع شرطاً للواسطة الحسية بكون المشار إليه حاضراً ، أو معنوية وأشترط علي ذلك أن يكون المشار إليه ذاتاً غير حاضرة ، أو معني من المعاني نحو : قوله تعالي :[تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ] . ونحو : النجاح ذلك أمنية الطالب

ونحو: ذا رأي أبادر بتحقيقه.

فأسم الإشارة يعين مسماه بواسطة إشارة حسية . والمشار إليه، يكون مفرداً أو مثني أو جمعاً مذكراً أو مؤنثاً . فهي تعين المسمي لا من تلقاء نفسها وإنما بواسطة وهذه الواسطة هي الإشارة الحسية التي لها وجود مادي كأن يشار إلي الاسم بالأيدي ونحوها. فمثلاً ترى عصفوراً . فتقول وأنت تشير إليه ((ذا جميلُ)) فكلمة [ذا] تتضمن أمرين معاً المعني المراد منها وهو جسم العصفور. الإشارة إلي ذلك الجسم في الوقت نفسه لا ينفصل أحدهما عن الأخر فهما متلازمان أبداً ثم بّين أن المشار إليه قد يكون مفرداً أو مثني أو جمعاً .

---

1 - بهاء الدين بن عبد الله بن عقيل ، شرح ابن عقيل – جـ1 . صـ : 13**1** .

2 - شرح الأشموني ، بتحقيق محمد محي الدين علي الفية بن مالك – جـ1 : صـ : 148.

3 - الشيخ مصطفي الغلاييني ، جامع الدروس العربية ، جـ1 ، صـ : 93 .

ممـا سـبق نجـد أن الإشـارة تنقسـم بحسـب المشـار إليـه إلـي قسـمين :- قسـم يجـب أن يلاحـظ فيـه المشـار إليـه ، مـن ناحيـة أنـه مفـرد أو مثنـي أو جمـع مـع مراعـاة التذكير والتأنيث والعقل *.

وقسـم يجـب أن يلاحـظ فيـه المشـار إليـه ، ولكـن مـن ناحيـة قربـه وبعـده أو توسـطه بـين القريب والبعيد.

فالنحـاة يكـادون يجمعـون أن الإشـارة تـؤدى بألفـاظ معينـة ، يخـص المفـرد والمثنـى والجمـع سـواء كـان مـذكراً أو مؤنثـاً فيشـار إلـي المفـردة المؤنثـة بـ ذي و ذِهـ ْ بالسـكون وذهِ بكسرة الهاء و تي و تا وتْه بسكون الهاء ، وتِه بكسر الهاء ، وذات.

ويلاحـظ كثـرة أسـماء الإشـارة للمفـردة المؤنثـة ، غيـر أن المسـتعمل منهـا ((ذي ، ذِهـ)) ولعـل السـبب فـي كثرتهـا ((أن اللهجـات العربيـة القديمـة ، كانـت تتخـالف تخالفـاً بيِّنـاً فـي أسـماء الإشـارة . فجمـع النحويـون كـل مـا وجـد منهـا فـي سـائر اللهجـات ، علـي اختلافها وأودعوه كتبهم بغير تفريق بين لهجاتها)[1].

ويشـار إلـي المفـرد المـذكر بـ ذا نحـو: ذا كتـاب، وقـد يكـون المفـرد حكمـاً كـأن ينزل المؤنث منزله المذكر كقوله تعالي: [فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي...] [2].

أّمـا المثنـي المـذكر ، فيشـار إليـه فـي حالـة الرفـع بـ ذان نحـو : أنـا الثريـا و ذان الشـيب والهـرم . وفـي حـالتي النصـب والجـر بـ [تـين] نحـو: رأيـتُ تـين ، ومـررتُ بتـين وكـذلك يشـار إلـى المثنـي فـي حالـة الرفـع بـ [تـان] نحـو : تـان مهـذبتان ، وفـي حـالتّي النصب والجر بـ[تين] نحو : رأيت تين ، ومررت بتين.

---

* - العاقل من له قدرة علي الفهم والتعلم والحكم بأصل طبيعته، ولو فقد هذه القدرة لسبب عارض.

1 - د. رمضان عبد التواب – التطور النحوي – صـ : 83 .

2 - سورة النعام، الآية: 36.

بينما يشار إلي الجمع مذكراً كان أو مؤنثاً عاقلاً أو غير عاقل بـ أُلي. فقد يمد ويقال أولاءِ، ويكثر استعمالها في العاقل قال تعالي:أ[أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ] [1]. وقد ترد لغير العاقل ، قال تعالي: [...إِنَّ السَّمْعَ وَالبَصَرَ وَالفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا][2] .

ومن أسماء الإشارة ما هو خاص بالمكان، فيشار إلي المكان القريب بـ هنا، والمتوسط بـ هناك والبعيد بـ هنالك وثَمَّ.

والتعريف بالإشارة يكون لتمييز المسند إليه أكمل تمييز، وتحديده نحو: هذا محمد خدمك أجلّ خدمة.

وقد يخرج استخدامها إلي أغراض بلاغية زائدة علي الوظيفة الأساسية لاسم الإشارة منها:

- بيان حال المشار إليه في القرب أو البعد أو التوسط نحو: هذا أو ذلك أو ذاك علىَّ، فإن بيان ذلك زائداً علي الأصل المراد. وهو الحكم علي المسند إليه ، الذي يمكن عن تعّبر عنه بما يقتضي تصوره علي أي وجه كان)[3]. وهو ما يعبر عنه علماء النحو بمراتب المشار إليه وهي ثلاث مراتب قريبة ومتوسطة وبعيدة . فللقريب بما ليس فيه كاف ولا لام نحو: أكرم هذا الرجلٌ ، وأحترم هذه المرأة. وللمتوسط بالكاف وحدها . نحو: اركب ذاك الحصان. وللبعيد ، باللام والكاف معاً نحو : خذ ذالك القلم)[4].

---

1 - سورة لقمان ، الآية : 5 .

2 - الإسراء، الآية 36.

3 - د. بدوي طبانة . معجم البلاغة العربية – مج 1 . صـ : 539 .

4 - الشيخ مصطفي الغلاييني ، جامع الدروس العربية ، جـ1 ، صـ : 97 .

ويستفاد كذلك من القرب أو البعد في التحقير أو التعظيم ، فمن أمثلة التحقير بالقرب قوله تعالي :أَ[هَـذَا الَّـذِي يَـذْكُرُ آلِهَـتَكُمْ] و بالبعد نحو: ذلك اللعين فعل كذا. ، و للتعظيم بالبعد قوله تعالي: [ذَلِكَ الكِتَـابُ لَا رَيْـبَ فِيـهِ هُـدًى لِّلْمُتَّقِـينَ][1]. تنزيلاً لبعد درجته ورفعه محله منزلة بعد المسافة.

كما انه يكون للتنبيه* علي أن المشار إليه الموصوف بأوصاف . جديرة بما يرد بعد اسم الإشارة من مدح أو ذم فمثال المدح قوله تعالي :[الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ]2 . في (أولئك) إشارة إلي (الذين) الموصوفين بما ذكر من صفات . للتنبيه علي أنهم مستحقون للهدي والفلاح .

ومثال الثاني الذم : نحو : قولك الذين يعرفون أصحابهم في السّراء ، وينكرونهم في الضّراء ولا يحبون لهم ما يحبون لأنفسهم ، أولئك لا يستحقون أن يحمدوا.

رابعاً اسم الموصول:

اسم الموصول هو [ما يدل علي معين بواسطة جملة تذكر بعده تسمي هذه الجملة صلة الموصول)[3].

ويعرفه آخر بأن [الموصول الاسمي هو ما افتقر إلي الوصل بجملة خبرية اسمية أو فعلية أو شبه جملة][4].

---

1 - البقرة الآية : 2.

* - فقد سبق أسماء الإشارة كثير [ها] التي هي للتنبيه فيقال [هذا – هذه، هاتان، هؤلاء].

2 - البقرة الآيات (3 ، 5).

3 - الشيخ مصطفي الغلاييني ، جامع الدروس العربية ، صـ : 99 .

4 - مجموعة مؤلفين ، التمهيد في النحو والصرف . صـ : 156 .

فكـلا التعـريفين اشـتركا فـي أن اسـم الموصـول ، يعـين الاسـم ويحـدده بواسـطة قرينـة لفظيـة هـي جملـة أو شـبه جملـة الصـلة. غيـر أن التعريـف الأول لـم يحـدد الجملـة ولـم يسـمِها، كمـا وضـحها التعريـف الثـاني ، حيـث حـدد نـوع الجملـة بالخبريـة إشـارة إلـي أن جملـة الصـلة لا تكـون إنشـائية ، كمـا أشـار بقولـه (الموصـول الاسـمي) إلـي أن هنـاك مـن الموصـولات مـا هـو حرفـي وهـو كـل حـرف أمكـن تأويلـه مـع صـلته بمصـدر لـه موقـع إعرابـي ،مثـل: أن الناصـبة نحـو : أن تصـوموا خيـرٌ لكـم . وكـي الناصـبة ، نحـو : أدرس لكي أنجح ، وما المصدرية . نحو: بما نسوا يوم الحساب.

وقد اجتمعت كتب النحو علي أن الأسماء الموصولة نوعان:

- نـوع خـاص ويقصـد بهـا اسـماء الموصـول العامـة التـي تفـرد وتثنـي وتجمـع وتـذكر وتؤنـث حسـب مقتضـي الكـلام . كالـذي ، للمفـرد المـذكر ، نحـو : يفلـح الـذي يجتهـد . واللـذان واللـذين للمثنـي المـذكر. نحـو: يفلـح اللـذان يجتهـدان ورأيـت اللـذين يجتهدان. والذين للجمع العاقل المذكر . نحو: يفلح الذين يجتهدون.

والتـي للمفـردة المؤنثـة. نحـو: تفلـح التـي تجتهـد . واللتـان واللتـين للمثنـي المؤنـث، نحـو: تفلـح اللتـان تجتهـدان ورأيـت اللتـين تجتهـدان . واللّائـي واللّاتـي واللّـواتي للجمـع المؤنـث. نحـو: تفلـح اللـواتي يجتهـدنَ.)[1]. وتسـتعمل الأُلـي للجمـع مطلقـاً ، سـواء كـان مـذكراً أو مؤنثـاً عـاقلاً أو غيـر عاقـل ، نحـو : قـد يفلـح الأُلـي يجتهـدون ، وتفلح الأُلي يجتهدنَ ، وأقرأ من الكتب الأُلي تنفع .

- **نوع مشترك**:

---

1 - أنظر: جامع الدروس العربية ، صـ : 99 ، التمهيد في النحو والصرف صـ : 156 .

هـو اسـم الموصـول ، الـذي يكـون بلفـظ واحـد للجميـع فيشـترك فيهـا المفـرد والمثنـي والجمـع ،مـذكراً كـان أم مؤنثـا وهـي: [مَـنْ، ومـا، ذا، أيَّ، ذو) غيـر أن مَـنْ تكـون للعاقـل. نحـو: نجـح مَنْ أجتهـد، و نجحتْ مَنْ اجتهدت، ونجـح مَنْ اجتهدا، ونجحـت مَنْ اجتهـدتا، و نجـح مَنْ اجتهـدوا، ونجحـت مَنْ اجتهـدن. أمـا (مـا) فهـي لغيـر العاقـل، نحـو: أركـب مـا شـئت مـن الخيـل وأقـرأ مـن الكتـب مـا يفيـدك . أمـا (ذا و أي و ذو) فتكـون للعاقـل و غيـره، نحـو: مَـن ذا فـتح الشـام ؟ و مـاذا فـتح أبـو عبيـدة؟ وأكـرم أيهمـا أكثـر اجتهادا، وأركب من الخيل أيها هو أقوي، وأكرم ذو اجتهد و أكرم ذو اجتهدنَّ.

والتعريـف بـه يكـون بصـلته وذلـك لان المخاطـب لـيس لـه علـم بـالأحوال المختصة بالاسم سوى صلته، نحو: جاء الذي كان معنا في المنزل وذاك هو الأصل.

وقد يخرج إلي أغراض بلاغية تفهم منه، منها زيادة تقرير الغرض المسوق له الكلام أو تقرير المسند أو المسند إليه، نحو: قوله تعالي: [وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ...] فقوله (التي هو في بيتها) أدل علي طهارة يوسف مما لو ذكر الاسم ، لأنه إذا كان في بيتها ولم يمكنها من غرضها كان ذلك غاية في نزاهته ، وقيل لتقرير المراودة فيه ، وقيل لتقرير المسند إليه لإمكان وقوع الإبهام في امرأة العزيز . وقد يكون للتهويل والتفخيم . نحو: قوله تعالي: فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ] وقد يكون للإيماء إلي نوع الخبر، كما في قوله تعالي: [..إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ] ففي ذكر الموصول إشارة إلي أن الخبر المبني عليه من جنس العقاب . وربما جاء للتعريض بتعظيم شأن الخبر. نحو : قول الفرزدق :

إن الذي سمك السماء بني لنا بيتاً دعائمه أعزٌ وأطول

فقولـه [إن الـذي سـمك السـماء]إيمـاء إلـي أن الخبـر مـن جـنس الرفعـة وفيـه تعـريض بتعظيم بيته)[1].

خامساً: المعرف بال :

قال ابن مالك :

ال حرف تعريف أو اللام فقط فنمط عرفت قل فيه النمط)[2]

المعـرف بـال يـدل علـي المسـمي بواسـطة قرينـة لفظيـة ، وهـي ال التعريفيـة ، غيـر أن ابـن مالـك يشـير فـي بيتـه إلـي الخـلاف حـول (ال) وهـي القرينـة نفسـها. فهنـاك رأي يقـول بـأن المعـرَّف هـو (ال) وقـال بـه الخليـل فـالهمزة عنـده همـزة قطـع . ورأي أخـر قـال: إن المعـرَّف هـو الـلام وحـدها. وقـال بـه: سـيبويه فـالهمزة عنـده همـزة وصـل مهمتهـا التوصـل للنطـق بالسـاكن) . فـالخلاف لا يـؤثر فـي دلالتهـا علـي تحديـد المعنـى أو المدلول عليه . وهي أنواع لإفادة التعريف .

(أل) العهدية :

ونعنـي بهـا التـي تـدخل علـي اسـم كـان مدلولـه نكـرة مبهمـة لا تـدل علـي معـين معهـود وعنـد دخولهـا دل الاسـم علـي معـين هـو الـذي سـبق ذكـره ودار الحـديث عنـه. نحـو: لقيـتُ رجـلاً فأكرمـتُ الرجـلَ. وقولـه تعـالي[إِنَّـا أَرْسَـلْنَا إِلَـيْكُمْ رَسُـولًا شَـاهِدًا عَلَـيْكُمْ كَمَـا أَرْسَـلْنَا إِلَـى فِرْعَـوْنَ رَسُـولًا فَعَصَـى فِرْعَـوْنُ الرَّسُـولَ فَأَخَـذْنَاهُ أَخْـذًا وَبِـيلًا][3]. إن كلمـة [رجـل ، رسـول] كانـت فـي أول أمرهـا نكـرة ، ثـم صـارت بعـد ذلـك معرفـة بسـبب دخـول [ال]

---

1 - د. بدوي طبانه ، معجم البلاغة العربية – مج 2 . صـ: 527، بتصرف.

2 - بهاء الدين عبد الله بن عقيل - شرح ابن عقيل ، جـ1 . صـ : 177.

3 - المزمل . الآية (15 – 16) .

عليها فهي وسيلة من وسائل التعيين . فالعهدية وظيفتها الربط بين النكرتين ربطاً معنوياًيجعل معني الثانية فرداً محدداً محصوراً فيما دخلت عليه وحده .وهذا :التحديد والحصر ، هو الذي جعل الثانية معرفة لأنها صارت معهودة عهداً ذكرياً أو ذهنياً أو حضورياً فمثال الحضور الذهني . نحو : هل كتبت المحاضرة . (المحاضرة) معروفة في الذهن ، ومثال الأخري [الحالة] ، البرد شديد الليلة . فالليلة معروفة حضورياً بحسب الحالة .

(ال) الجنس:

من ناحية دلالتها للمعنى وأفادتها للتعريف أنواع:

- الأولي ما تدخل علي اسم الجنس فتجعله يفيد الشمول والإحاطة . بجميع أفراده إفادة حقيقية لا مجاز فيها ، ولا مبالغة بحيث يصح أن يحل محلها لفظ [كل] نحو: النهرُ عذبٌ، والنباتُ حيٌّ.
- الثانية ما تدخل على واحد من الجنس ، فتجعله يفيد الإحاطة والشمول ولا بجميع الأفراد ولكن بصفة واحدة من الصفات الشائعة بين تلك الأفراد علي سبيل المجاز والمبالغة . نحو : أنت الرجل علماً . وصالح هو الإنسان لطفاً ، (فأنت) تحيط بصفة العلم إحاطة شاملة لم تتهيأ نيلاً للرجال كلهم مجتمعين، كذلك (صالح) من ناحية اللطف والأدب فهو فيه بمنزلة الناس كلهم؛ نال منه ما نالوه مجتمعين . وحكم التعريف فيه لفظاً ومعني.
- الثالثة التي لا تفيد إحاطة ولا شمول ، وإنما تفيد أن الجنس يراد منه حقيقته القائمة في الذهن . نحو : الحديد أصلب من الذهب والرجل أقوي من المرأة أي

أن حقيقة الرجل وجنسه من حيث عنصره المتميز – لا من حيث أفراده أقوى من حقيقة المرأة وجنسها من حيث عنصرها المتميز – لا من حيث أفرادها – وكذلك القول في الحديد أصلب من الذهب . فالتعريف بال يكون للإشارة إلي معهود ، لتقدم ذكره صريحاً أو كناية نحو قوله تعالي :[ربّ إني وضعتها أنثي والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى] فالأنثى إشارة لما تقدم ذكره صريحاً في قول امرأة عمران . و الذكر إشارة لما تقدم ذكره ضمناً في قولها :[ربِّ إني نذرتُ لك ما في بطني محرراً] لان التحرير إنّما كان للذكور دون الإناث)[1]. قد يكون للإشارة إلى معهود باعتبار العهد الذهني و ذلك عند قيام القرينة على أن المراد إنما هو الحقيقة في فرد منها لا في جميع أفرادها نحو: أدخل السوق.

وقد يكون للإشارة إلي استغراق الجنس، والفرق أن هذه للإشارة إلي حصة من الحقيقة وتلك للإشارة إلي الحقيقة من غير نظر إلي الأفراد.

سادساً: المضاف إلي معرفة:

المضاف إلي معرفة فإنه في درجة المضاف إليه ، إلا إذا كان مضافاً للضمير فإنه يكون في درجة العلم كما سبق ذكره.

والتعريف بالإضافة يلجأ إليه ، لأنه أخصر طريق إلي إحضار مدلول اللفظ إلي ذهن السامع . نحو : كتابي ، هو أخصر من [الكتاب الذي هو لي] وقد تعطي معنى لتعظيم شان المضاف أو المضاف إليه نحو: خادم الملك عندي . وكتاب الملك

1 - د. بدوي طبانة – معجم البلاغة العربية – مج2 – صـ: 539 .

وصل إلي، أو لتحفيزه. نحو: ابن الخادم يأكل معك. أو للاستغناء عن تفصيل متعذّر أو متعسِّر نحو: أهل العلم اتفقوا علي كذا. وأهل القرية حضروا، أو أن هناك مانع يمنع من التفصيل كتقديم فرد علي فرد . قد يتألم له المتأخر. نحو: علماء البلد حضروا.

وسياق النكرات والمعارف علي هذا النحو يدل على صلتها الوثيقة بالضمائر. فالعلاقة متبادلة بينها، فقد تكون لها مرجع ترجع إليه. في حالة ضمير الغائب أو الإنابة عنها في بعض المواضيع لأسباب بلاغية في كل المعارف والكنية بها وإحلالها محلها لإفادة المعني. أو تهيئة الموقف ببدء الحوار خاصة في حالة ضمير المتكلم أو المخاطب لذا جاء التعرف علي النكرة والمعرفة.

الباب الثاني

الضمير و دوره في إثارة انتباه السامع أو المتلقي

الفصل الأول:

أنواع الضمائر ودرجتها من حيث التحديد والتعيين
(المتكلم المخاطب الغائب)

الفصل الثاني:

اتصال الضمير بالأسماء والحروف ودلالتها
وإثارة انتباه السامع (المتكلم ،المخاطب،الغائب)

الفصل الأول

أنواع الضمائر ودرجتها من حيث التحديد والتعيين

(المتكلم المخاطب الغائب)

الضمير لغة:

جاء في المعجم الوسيط ،

ضَمِر : ضموراً هُزِل وقل لحمه .

أضمرت المرأة : حَمَلَتْ

أضمر الشيء : أخفاه .

يقال أضمر في نفسه أمراً : عزم عليه بقلبه أخفاه)

أنضمر الوجه :انضمت جلدته هزلاً .

الضامر القليل اللحم الرقيق ومنه قوله تعالي﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ... ﴾[1] .

الضمَّار : الغائب .

دين ضِمار : ليس له أجل معلوم.

الضمير: الخفُي أو المخفُي.

الضمير المضمر: ما تضمره في نفسك ويصعب الوقوف عليه)[2].

استعملت لفظة ضَمِر من خلال ما سبق في دلالات ومعاني متعددة.منها صغر الحجم، والاختفاء و عدم الظهور، والغياب، وعدم الوضوح، والستر.وبإمعان النظر في المعاني السابقة نجدها تدور حول معني واحد. وهو إخفاء الشيء .

فإذا كان الضمير في المعني الاصطلاحي (ما يكني به عن متكلم أو مخاطب أو غائب. فهو قائم مقام ما يكني به عنه مثل: أنا، أنت، هو)[3]. فالكناية مصطلح ينعت به علماء الكوفة الضمير ، فيسمونه الكناية والمكني. والكناية في اللغة عدم الظهور والاستتار . والمكني المستتر، ويعبر به عن الظاهر لأن اللبس معه مأمون.

---

1 - سورة الحج، الآية:27.

2 - مجمع اللغة العربية ، مجموعة مؤلفين . المعجم الوسيط –جـ 1 ، مادة (ضَمِرْ).

3 - الشيخ مصطفي الغلاييني . جامع الدروس العربية – صـ : 88 .

أمـا مصـطلح ضـمير فهـو مصـطلح بصـري، والضـمير فـي اللغـة مـن الإضـمار وهـو الإخفـاء،فالمصـطلحان سـواء كـان بصـرياً أو كوفيـاً ، فـإن دلالتـه واحـدة ويلتقيـان فـي معني عام هو الستر والإخفاء سواء كان المعني لغوياً أو اصطلاحياً .

فالضـمير لفـظ مشـاع عـام، فمـثلاً الطفـل يسـمع أبـاه يقـول (أنـا)، ويسـمع أمـه تقـول (أنـا)، ويسـمع الخـادم يقـول (أنـا)، فـلا يـدري أي هـؤلاءِ (أنـا) الحقيقـي؟! . فالضـمير موضوع للدلالة علي أحد ثلاثة متكلم ومخاطب وغائب.

يقول ابن مالك:

فما لذي غيبة أو حضور كأنت ، وهو سَمِّ بالضمير[1] .

أشـار ابـن مالـك إلـي المعنـي الاصـطلاحي للضـمير ، بأنـه لفـظ دل علـي غيبـة أو حضـور، نحـو: هـو وأنـت . فهـو يعتمـد الوجـود المـادي لصـاحب الضـمير أو مـا يـدل عليـه وقـت النطـق بـاللفظ، فدلالـة اللفـظ أو مـا يـدل عليـه . إمَّـا حاضـرٌ ماثـلٌ أمامنـا أو غائـب، فالحاضـر يجمـع بـين ضـمائر المـتكلم والمخاطـب لأن كـلاً منهمـا موجـود، وذلـك مـا بيّنـه ابـن عقيـل فـي شـرحه للألفيـة بقولـه : (الضـمير مـا دلّ عليـه غيبـة كهـو أو حضـور وهـو قسـمان، أحـدهما ضـمير المخاطـب، نحـو: أنـت والثـاني ضـمير المـتكلم. نحـو: أنـا. ويؤكـد ذلـك مـا سـبق ذكـره فـي جـامع الـدروس العربيـة الضـمير، مـا يكنـي بـه عـن مـتكلم أو مخاطـب أو غائـب، فهـو قـائم مقـام مـا يكنـي بـه عنـه مثـل: أنـا وأنـت وهو)[2].

---

1 - بهاء الدين عبد الله بن عقيل ، شرح - ابن عقيل . جـ1 . صـ: 88.

2 - الشيخ مصطفي الغلاييني ، جامع الدروس العربية :صـ: 88.

وقد زاد في المعنى الاصطلاحي ما جاء في النحو الوافي بأنّ الضمير (اسم جامد يدل علي متكلم أو مخاطب أو غائب، والمتكلم مثل: أنا و نحن والمخاطب مثل: أنت، و الغائب مثل هو)[1].

فقد وصفه بالجمود إشارة إلي ما يميز الضمير ، بأن بناء اللفظ غير مشتق من ناحية . فاللفظ ثابت علي صورة واحدة متكررة، مع ثبات معناه ودلالته وهي ميزه ينفرد بها الضمير كرابط عن سائر الروابط الأخرى. لأنها ذات صورة واحدة مختلفة الدلالة والوظيفة.

ومن ناحية أخري ، يتميز الضمير بأنه من الأسماء المبنية، فلا يتأثر لفظه بالعوامل المختلفة،لأن لفظه يثبت علي حركة إعرابية واحدة.

فبناء الضمير من ناحية وجموده من ناحية أخري يدلل علي أن الضمير ثابت غير متغير في لفظه، ذلك ما يجعله أكثر تناسباً للحضور الذهني، فقد يتكرر اللفظ مع ثبات مدلوله في ذاكرة العقل، فهي سمة عامة في الضمائر، بأنواعها، وتظل هناك خصوصيات لكل ضمير.

وبسبب بنائه لا يثني ولا يجمع، فلا تدخله العلامة الخاصة بالتثنية أو الجمع، وإنّما يدل بذاته و تكوين صيغته، علي المفرد المذكر أو المؤنث (أنا، أنت ، هو ، أنتِ هي) وعلي المثني المذكر والمؤنث بنوعيه فلا ضمير يختص بأحدهما دون الأخر نحو: [أنتما، هما] أو علي الجمع المذكر (هم، نحن، أنتم) أو المؤنث (هن، أنتن، نحن)[2].

---

1 - د. عباس حسن ، النحو الوافي- ط3 – دار المعارف بمصر : جـ1. صـ : 217 بتصرف.

2 - المرجع السابق صـ:218.بتصرف.

وقد أشار كثيرٌ من النحاة إلي أن أسباب بناء الضمائر، لشبهها بالحروف شبهاً وضعياً ، ذلك أن أكثرها ، قد وضع علي حرف واحدٍ أو حرفين وهي الغالبة وما كان علي أكثر من حرفين اجري مجري الأغلبية. ومن جهة أخري أنها تشبه الحروف ، من حيث الجمود بحيث أن الضمائر لا تتصرف فلا تثني ولا تصغر)[1] . بالإضافة إلي ذلك أن الضمائر تشبه الحروف في الافتقار إلي شيء يكمل معناها فلا يتم معناها إلا بانضمامها إلي شيء آخر.

وكذلك تستغني بنفسها عن الإعراب ، فالضمير [أنا] يستوي لفظه في حالة الرفع أو النصب أو الجر فهو غير متأثر بموقعه الإعرابي في الجملة ، وإن كان المعني يختلف من حالة إلي حالة.

فإن هذه السمات التي ميزت الضمير ، تجعله ينسجم مع أغراضه التي تتمثل في الأتي، وأهمها الاختصار والبعد عن التكرار، نحو: قابلتُ المشرف، وتحدثت مع المشرف في أمر الرسالة.ثم غادرت مكتب المشرف. ووعدت المشرف بزيارة قريبة]. فتكرار كلمة المشرف أضافت علي التركيب نوعاً من التعقيد والركاكة، والتي تثير غضب السامع في إدراك المعني ، وتجعله في شعور بعدم الراحة، بعكس قولنا : قابلت المشرف وتحدثت معه في أمر الرسالة ، ثم غادرت مكتبه، و وعدته بزيارة قريبة، فقد أغني الضمير عن التطويل والتكرار.

1 - بهاء الدين عبد الله بن عقيل ، شرح ابن عقيل – جـ1 ، صـ : 92.

كما أن الضمائر تزيل الالتباس عن كثير من الأسماء الظاهرة. فمثال : ذلك(خالد قابلت خالداً) قد يفهم السامع أن (خالداً) الثانية غير الأولي لكن لو قلنا: خالد قابلته، فإن الضمير الهاء قد خصص (خالد) بأنه المذكور في أول الجملة وبذلك يزول الالتباس .

أقسام الضمائر:

تنقسم الضمائر لاعتبارات كثيرة ومتعددة، وكل اعتبار يزيد من فهمنا للضمير، وليس تعقيداً له نفصلها في الآتي:

أولاً : من حيث الوضع ومدلوله:

تنقسم الضمائر من حيث الوضع ومدلوله إلى ثلاثة أقسام:-

- ضمائر المتكلم نحو: أنا، نحن.
- ضمائر المخاطب نحو: أنت، أنتِ، أنتما، أنتم، أنتنْ.
- ضمائر الغائب نحو: هو، هي، هما، هنْ، همْ.

الضمائر		
الحضور		الغياب
متكلم	مخاطب	
أنا	أنت	هو

نحن	أنتِ	هي
	أنتما	هما
	أنتم	هم
	أنتنْ	هن

فالضمائر سواء كانت للمتكلم أو المخاطب أو الغائب ، يلاحظ فيها كثرة ألفاظها مع اختصاص كل ضمير بوظيفة معينة . فضمائر المتكلم تنحصر في ضميرين. (أنا) ويختص بالفرد ،سواء كان مذكراً أو مؤنثاً ، أّما الضمير(نحن) فمشترك بين المثني والجمع ، ولعل قلة هذين الضميرين، يعود لقرب حضوره وقت النطق به، من ذهن المخاطب وقربه من السامع. فالإنسان يتحدث عن نفسه فيقول (أنا). والأصل في كتابته إتيان ألف في آخره. وأكثر القبائل يثبت الألف عند الوقف ، وبحذفها عند الوصل. ومنهم من يحذفها عند الوقف ويأتي بهاء السكت الساكنة بدلاً عنها ويقول[أنه] وهناك أقوال كثير][1].

وقد أدي هذا الخلاف إلي البحث في أصل الضمير[أنا] ، أهو ثلاثي أم ثنائي فالألف زائدة؟

فرأي البصريين ، أن أصل الضمير هو الهمزة والنون ، فالألف عندهم زائدة للوقف ، وقد تزاد عليه التاء فيصبح [أنت] ، وما بعد التاء علامات دالة علي التثنية والجمع سواء كان الجمع للمذكر أو المؤنث.

---

1 - د. عباس حسن ، النحو الوافي – جـ1، 217.

أما الكوفيون فيرون أن الأصل هو[أنا] ، فالألف عندهم من أصل اللفظ.

و(نحن) ضمير يعبر به المتكلم المعظم نفسه،سواء كان مذكراً أو مؤنثاً ، وكذلك يعبر به عن المثني، وهو مبني علي الضم في محل رفع، وبناؤه علي الضم تفادياً لالتقاء الساكنين، الحاء والنون الأخيرة في [نَحْنُ]. غير أن هناك ما يفيد (أن الحرف الأول أصله كسرة لا فتحة وإبدال الكسرة بالفتحة فيها لتشابه الحركة للحرف الحلقي)[1].

فضمائر المتكلم محصورة في [أنا] للفرد، و[نحن]للجمع والمثني كما بُيِّن، ولا علاقة بينهما إلا علاقة التكلم. والمعروف أن هناك علاقة بين المفرد و الجمع في غير هذا الموضوع . فهما مختلفان ، فلو عبّرنا عن المفرد بـ [أنا] والجمع بصيغة [نحن] فالنسبة بينهما ليست نسبة جمع إلي مفرده . لان الجمع له أفراد متساوية ومتشابه نحو : طالب ← طلاب فلا تشابه بين [أنا و نحن] وقد أشار إلي ذلك الدكتور رمضان عبد التواب بقوله : [المتكلم المجموع، أي (نحن) ليس بمتكون من أفراد متساوية... فكلمة نحن لم تكن عبارة عن [أنا و أنا و أنا]، بل [أنا وأنت] أو [أنا وأنت وهو] [2].

فاختلاف الضمير عن العام المتعارف عليه في اللغة له ، أثره في دلالة الضمير، فمادة الفرد لا علاقة لها بالجمع، كما أن الجمع لا علاقة له بالفرد. فكلٌ منهما يعبر به عن المتكلم منفصلاً عن غيره ولعل هذا الاختلاف هو نتيجة إلي

1 - د. رمضان عبد التواب – التطور النحوي للغة العربية ، صـ : 77.

2 - د. رمضان عبد التواب – التطور النحوي للغة العربية ، صـ : 77.

التعريف بالضمير الذي لا يحتمل لبساً ، وذلك أن الضمير أعرف المعارف وضمير المتكلم أعرف الضمائر فالمتكلم لا إنابة فيه.

ومن ناحية الدلالة الصوتية، فإن الصوت هو جوهر ، الكلام وهو المعبِّر عنه بكل موقف من المواقف ليكوِّن الكلمة . فالضمير [أنا] المكوَّن من حرف الهمزة والنون، فكلاهما يتميز بصفة الجهر، وهو انحباس النفس عند النطق ، فالقوة المنبعثة عنهما تتناسب مع الألف في آخر الضمير للإطلاق ، فلولاها لحدث انفجار، نتيجة لهذا الانحباس . فالجهر من ناحية دال علي القوة ، ومن ناحية أُخري أن إطلاق الألف دلالة علي وصول هذا الصوت إلي أبعد مجال ينتهي عنده . بالإضافة إلي ذلك أن الهمزة حرف يتميز بصفة الشدة ، وهي انحباس جريان النفس عند النطق بالحرف انحباساً يعيق مرور النفس تماما ، فان ذلك يتطلب أن يأتي بعدها حرف له خصائص وصفات تتناسب وتنسجم مع صفة الهمزة ، فكان حرف النون الذي يتميز بالإستفال وسرعة النطق به وهو ما يعرف بالذلاقة والنون من حر وفه .

فإن الحروف التي تكون بنيته [أنا] يظهر عليها الانسجام الصوتي والموسيقي، الذي يبدأ بالقوة ثم يتدرج إلي التلاشي فهذا التدرج له أثر في سمع المخاطب وشدُّ انتباه السامع و الاستئناس به.

أّما ضمير المتكلم [نحن] ؛ فإن تكوينه الصوتي ، يبدأ بحرف صفته الجهر . وينتهي بحرف صفته الجهر فكان لا بدّ من الفصل بينهما بحرف مغاير ، ومباين لتلك الصفة ، وهو حرف الحاء الذي يتميز بصفة الهمس . لتسهل عملية تسرب

الصـوت، فـإذا علمنـا أن النـون تصـنف ضـمن الحـروف التـي تقـع بـين الشـدة والرخـاوة. فإن هذه الصفة ، تجعل منها وسيلة لتوزيع الصوت بطريقة دائرية.

فـإن الدلالـة الصـوتية لضـمائر المـتكلم تتناسـب مـع دلالتهـا الوضـعية، حيـث أن الضـمير الـدال علـي الفـرد ، يمتـاز بقـوة الصـوت عنـد بـدء النطـق ، ثـم يتـدرج إلـى السـهولة وهو يمر بمراحله الأخيرة لتناسب (الفرد).

أّمـا الدلالـة الصـوتية لضـمير المتكلمـين (نحـن) فـإن، اللفـظ يـدل علـي أكثـر مـن واحـد دلالـة وضـعية، وانّ قـوة انفجـار الصـوت المتمثلـة فـي حـرف النـون، فـي الأطـراف تتلاشـي تدريجاً في وسطه فكأنما ذلك يشير إلي الجماعة.

ضمائر الخطاب:

وهـي خمسـة[أنـتَ، أنـتِ، أنتمـا، أنـتم، أنـتنْ] و [أنـتَ] يلاحـظ فـي بنيـة هـذا الضـمير ، أنـه يتكـون مـن ثلاثـة أحـرف. الهمـزة ، والنـون ، التـاء . وكـان للنحـاة رأي فـي ذلـك ، فعلمـاء البصـرة يـرون أن الضـمير هـو [أَنْ] وقـد زيـدت فيـه التـاء لبيـان الخطـاب، فالتاء عندهم زائدة.

(ويـرى آخـرون أن الضـمير هـو [التـاء] وقـد دعمـت بـ [أَنْ])[1]. فالرأيـان عمـدا إلـي فصـل بنيـة اللفـظ دون مبـرر واضـح، فهمـا يتفقـان فـي دلالـة اللفـظ علـي معنـي الحضـور الخطـابي غيـر أنهـم يختلفـون فـي مصـدر هـذه الدلالـة . أهـي فـي (التـاء) أم فـي (أن) التي أشار إليها بعض النحاة أنها ترادف الإشارة في دلالتها)[2].

---

1 - أنظر صـ : 5 من هذا البحث.

2 - د. رمضان عبد التواب – التطور النحوي ، صـ : 80.

فبإمعان النظر نجد أن المقطعين يتضافران في الدلالة على الإشارة من ناحية والخطاب من ناحية أخرى . فبنية الضمير تتكون من اللفظ أجمع . وتبقى حركة الفتحة أو الكسرة صوت دال علي التفريق بين المفرد المذكر والمفرد المؤنث. فإن كانت حركة البناء فتحة. كانت الدلالة على المفرد المذكر. وإن بنيت على الكسرة كانت الدلالة على المفرد المؤنث. والذي يؤكد ذلك مجيء الضمير مسنداً إلي الفعل – (كتبتَ – كتبتِ) .

أّما الضمائر [أنتما ، أنتم ، أنتنْ] . فقد سبق الحديث أن الضمائر مبنية وجامدة لشبهها بالحروف ، وذلك يعني بأنها لا تثنى ولا تجمع ولا تصغر ، فإن هذه الصيغ (صيغ وضعت من أول أمرها علي هذا الوجه دلالة علي المثنى والجمع)[1] فهو يشير إلي أن بنية هذه الضمائر تدل بذاتها علي المثنى والجمع . فلا علامة طارئة كما هو الحال في المفرد. وما يؤكد ذلك مجي الضمير متصلاً [كتبتما – كتبتم – كتبتن] .

فالملاحظ في ضمائر الخطاب أجمع أنها تتكون من مقطعين [أَنْ، تَ] (أَنْ ، تم) (أَنْ، تما)[أَنْ ، تن) ، وأن المقطع الأول تتفق فيه جميع ضمائر الخطاب. ويتضمن معني الإشارة كما بين ذلك د. رمضان عبد التواب . أما المقطع الثاني فالتناسب فيه واضح بين المفرد والجمع والمثنى ، فالجمع مشتق من المفرد بزيادة ميم في المذكر ، ونون مشددة مفتوحة في المؤنث، بينما المثنى فهو من المجموع بزيادة ألف ، فهذا التناسب له دلالة صوتية عامة في ضمائر الخطاب فهي تبدأ بالهمزة

1 - بهاء الدين عبد الله بن عقيل ، ابن عقيل – جـ1 ، صـ : 92.

والنـون ذات الصـوت القـوي الشـديد . ثـم يبـدأ بالتلاشـي ذلـك أن التـاء مـن حـروف الهمس.

فـإن ضـمائر الحضـور المتمثلـة فـي المـتكلم والخطـاب ، دلا لتهـا الصـوتية متحـدة، تبـدأ بصـوت قـوي ثـم يتـدرج إلـي الضـعف إن كانـت للمفـرد ، أو يزيـد فـي القـوه إن كـان الضـمير دالاً علـي المثنـى أو الجمـع ، ممـا يجعلـه ثابـت الأثـر فـي أذن السـامع ، وذاكرة نبهة في سياق الكلام .

ضمائر الغياب:

أمـا ضـمير الغائـب فلـه صـيغ كثيـرة فـي اللغـة العربيـة .فمـا كـان ضـميراً بـارزاً صـيغته مبنيـة علـي حـرف الهـاء ،متصـلاً كـان أو منفصـلاً سـواء كـان فـي محـل رفـع أو نصب أو جر)[1].

نحو: قوله تعالي: [هُوَالَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْض جَمِيعًا][2] .

نحو: قوله تعالي: [وَاشْكُرُوا للهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ] [3].

نحو: قوله تعالي: [لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ][4]

والملاحـظ فـي حـرف الهـاء ، أنـه مـن حـروف الهمـس ، ولـه دلالـة صـوتية معينـة فهـو يشـعر بجريـان الـنفس عنـد النطـق بـالحرف ، لضـعف الاعتمـاد علـي المخـرج بحيـث لا يهتـز الـوتران الصـوتيان ، فيبـدأ الصـوت منخفضـاً مـع شـيء مـن الرخـاوة حتـى يصـل حـرف الـواو والیـاء اللـذان يتصـفان بـالجهر فـي ذاتهمـا ، بالإضـافة إلـي الصـوت القـوي النـاتج مـن حركـة البنـاء علـي الفـتح فـي ضـمير الغائـب والغائبـة [هـَو ، هـَي] للدلالـة

1 - د. محمد حسنين صبره . مرجع الضمير في القرآن ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة . 2001م – صـ : 9 .

2 - البقرة. الآية: 29.

3 - البقرة. الآية: 127.

4 - البقرة. الآية: 255.

علـى معنـى الإشـارة . وكـذلك حـرف المـيم فـي المثنـى وجمـع المـذكر[هَمـا ، هـْم] فـإن صفتهما الجهر ، يضاف إلي ذلك حرف النون في جمع الإناث [هنَّ] .

فـإذا أمعنـا النظـر نجـد أن ضـمائر الغيـاب كلهـا مبنيـة علـي الفـتح الـذي يتضـمن معنى الإشارة عدا ضمير جماعة الذكور فإنه يبني علي السكون.

فـإذا قورنـت الدلالـة الصـوتية ، بـين ضـمائر الحضـور المتمثلـة فـي [المـتكلم ، و المخاطـب] وضـمائر الغيـاب، نجـد أن ضـمائر الحضـور تبـدأ بـالجهر ، وتنتهـي إلـي المـد . أو تبـدأ بـالجهر وتنتهـي إليـه ، مـع تضـمن معنـي الإشـارة فـي أولـه ، بينمـا ضـمائر الغيـاب تبـدأ بـالهمس ، وتنتهـي إلـي الجهـر مـع تضـمن معنـي الإشـارة فـي آخـر الضـمير. وتعليـل ذلـك يعـود لبعـد وقـرب المخاطـب والغائـب ممـا جعـل أحـد النحـاة يقـرر [أن ضـمائر الغائـب موضـعها الحقيقـي بـين الضـمائر وأسـماء الإشـارة ، مـن حيـث تحديـد المعنـي وتعينـه . فهـي تشـارك الضـمائر فـي الانقسـام إلـي منفصـلة ومتصـلة، مرفوعـة ومجـرورة ومنصـوبة ، وتشـارك أسـماء الإشـارة فـي أنـه يكنـى بهـا عـن الأسـماء ، نحـو: إذا سـئلت أيـن زيـد؟ تجيـب ، هـَو فـي الـدار. بـدلاً عـن زيـد فـي الـدار. فكنـي بالضـمير عـن الاسـم الظـاهر . الكنايـة قريبـة مـن الإشـارة ومشـتقة منهـا ... [هـو] العربيـة معناهـا(ذلـك) فـي كثيـر مـن الحـالات)[1]. وذلـك مـا يؤكـد أن للدلالـة الصـوتية للضـمير لهـا أثـر فـي ذهـن السامع ، وهذه الخاصية يتميز بها الضمير عن سائر الروابط الأخرى.

تقسيم الضمير حسب ظهوره في الكلام وعدمه:

يقول ابن مالك:

---

1 - د. رمضان عبد التواب : التطور النحوي للغة العربية . صـ : 79.

ومن ضمير الرفع ما يستتر كأفعل أوافق نغتبط إذ تشكر[1]

فـي البيـت ذكـر ابـن مالـك الضـمائر المسـتترة صـراحة، وأشـار ضـمناً إلـي الضمير البارز في قوله: [ومن ضمائر الرفع]. فالضمير بالاعتبار السابق نوعان:

أولاً : المستتر:

وهـو مـا ليسـت لـه صـورة فـي اللفـظ ، خفـي فـلا يظهـر فـي النطـق والكتابـة . وقـد ذكـر ابـن عقيـل فـي شـرحه لألفيـة ابـن مالـك (لا يمكـن النطـق بـه ويسـتعيرون لـه الضـمير المنفصـل بغـرض التقريـب كقـولهم ضـمير مسـتتر تقـديره كـذا ولـيس هـو الضـمير المستتر علي وجه التحقيق نحو: (نكرم ،[نحن])[2].

والضـمير المسـتتر فـي حكـم الضـمير الموجـود فـي اللفـظ. فـلا يسـمى محـذوفاً ، لأنـه موجـود. دون أن تظهـر صـورته . فالمحـذوف كـان ملفوظـاً بـه ثـم تـرك وأهمـل. ويلاحـظ فـي الضـمير المسـتتر أنـه لا يكـون إلا مـن ضـمائر الرفـع : فهـو فـي محـل رفـع دائمـاً ، وأشـار إلـي ذلـك ابـن عقيـل بقولـه [أن الاسـتتار يخـتص بالفاعـل ، الـذي هـو عمـدة فـي الكـلام، وأمـا الحـذف فيكـون فـي الفضـلات ، كمـا فـي المفعـول بـه نحـو : جـاء الذي أكرمتُ][3].

والمستتر ينقسم الي نوعين:

❖ **واجب الاستتار:**

وهـو مـا لا يحـل محلـه الاسـم الظـاهر، ولا ضـمير منفصـل. نحـو:[أكتـبُ] فالفعـل المضـارع السـابق فاعلـه ضـمير مسـتتر تقـديره [أنـا] ، فـلا يصـح أن نقـول [أكتـب محمـد]

---

1 - بهاء الدين عبد الله بن عقيل ، شرح ابن عقيل – جـ1 . صـ: 95.

2 - المرجع السابق ، صـ: 95.

3 - المرجع نفسه . صـ:95.

أو [أكتب أنا] علي اعتبار [أنا] فاعلاً لأكتب . وانما هي توكيد للضمير المستتر الذي يشبهها في اللفظ والمعني ، ومواضعه أربعة كما أشار الي ذلك ابن مالك في بيته السابق .

- أن يكون فاعلاً لفعل الأمر المخاطب به الواحد المذكر نحو: [أفَعل]، أكرْم الضيف. وفاعلها ضمير مستتر تقديره [أنت].
- أن يكون فاعلاً للفعل المضارع المبدوء بتاء الخطاب ، نحو: تشكر: أنت تشكر ربك علي النعم . والفاعل ضمير مستتر تقديره [أنت] .

- أن يكون فاعلاً للفعل المضارع المبدوء بهمزة التكلم [أوافق] نحو:أنا أكرم الضيف (والفاعل ضمير مستتر تقديره أنا).

- أن يكون فاعلاً للفعل المضارع المبدوء بالنون (نغتبط) نحو: نحن نكرم الضيف. فالفاعل ضمير مستتر تقديره (نحن).

ومن المواضع التي أضافها بعض النحاة .(فاعل الأفعال التي تفيد الاستثناء [خلا ، حاشا ، عدا] نحو: حضر القوم خلا واحداً ، حاشا واحداً ، عدا واحداً وتقديره [هو] وكذلك الفاعل لفعل التعجب الماضي نحونا أجملَ الربيعَ ! ، وأَجمل فعل ماضي جامد وفاعله ضمير مستتر وجوباً تقديره [هو] يعود لما. بالإضافة إلي ذلك ، فاعل اسم فعل المضارع وفاعل اسم فعل الأمر ، نحو: * أفٍّ من الكذب بمعنى (أتضجر) اسم فعل مضارع .* آمين بمعنى (أستجب) اسم فعل أمر. * صه بمعنى (اسكت) اسم فعل أمر.

وكذلك فاعل المصدر النائب عن فعل الأمر. نحو: قياماً للزائر (قياماً) مصدر فاعله ضمير مستتر وجوباً تقديره [أنت] لأنه بمعنى فعل الأمر، قم) .

❖ **جائز الاستتار:**

يكون الضمير جائز الاستتار إذا أمكن أن يحل محله الاسم الظاهر.

نحو: زيد يقوم و يقوم زيد . هند تقوم و تقوم هند . محمد قائم و قائم محمد

فإن مواضع الاستتار جوازاً تنحصر في كل فعل اسند إلي ضمير الغائب أو الغائبة ، أو ما كان بمعناه ، ولا يعرب إلا فاعلاً أو نائباً لفاعل، أو اسماً لفعل ناسخ أو مرفوعاً لأحد المشتقات كاسم الفاعل . واسم المفعول والصفة المشبهة . فمثال الاسم للفعل الناسخ ، قوله تعالي: [وَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا][1] ، فاسم أصبح ضمير مستتر تقديره [هو] وكذلك: علّي نافع ، أو مُكَرَّم أو فَرِحٌ .

يلاحظ أن الضمائر واجبة الاستتار تنحصر في المضارع وفعل الأمر، أو ما في حكمها كاسم فعل المضارع واسم فعل الأمر، والمصدر النائب عن فعل الأمر. فالمضارع يصلح للزمنين الحال والاستقبال . أما الأمر فدلالة زمنه الاستقبال الخالص، فالأمر لا يتم إلا بين المتكلم والسامع. [الآمر والمأمور] ، فإن زمن الحدث فيه يبدأ بزمن المتكلم ، وينتهي بزمن التنفيذ عند المأمور. فالضمير المستتر للخطاب أكثر تناسباً للمقام . فلو تم إحلال الاسم الظاهر أو الضمير الظاهر ، محله لأحدث

1- الكهف : 46.

خلطاً ،وتشويشاً في الكلام، إذ لا يصح الكلام في جملة ، [إني أفكر حين تذهب عني] فلا يجوز قولنا: أفكر محمد ، أو تذهب خالد ، فلذلك وجب استتار الضمير ، ويرد ذلك كثيراً في الحوار العادي ، أو في أسلوب القصص . قال تعالي: من سورة الكهف (فوجدا عبدا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْماً *قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً *قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً * وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْراً قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ صَابِراً وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْراً *)[1] .

أما الضمائر جائزة الاستتار ، فهي ضمير الغائب المفرد والغائبة المفردة ، لان المكنى به عن ،الضمير ليس ماثلاً أمامنا ، وان الحدث يشغل الحيز الزمني في الماضي وجزءاً من زمن الحال وذلك لأنهما يستتران في الفعل الماضي والمضارع ، وإن كان الفاعل للغائب ،أو الغائبة أو فاعلاً لاسم فعل ماضي ، ويشترط في ذلك أن يكون للضمير مرجع يعود إليه . وهذا المرجع الذي جعل ضمائر الغياب تتناسب وتصلح لأسلوب القصص .

فالاستتار سواء كان واجباً أو جائزاً ، فانه يتميز بها الضمير عن سائر الروابط الأخرى ،ففضلاً عن أداء وظيفة الربط ،فانه يشارك في روح المعنى يتأثر بغيره ويؤثر فيه.

ثانياً الضمير البارز:

الضمير البارز ما كانت له صورة في اللفظ حقيقة نطقاً وكتابة . نحو : ضربته – قرأته. أبي ، عليها.

---

1 - الكهف ، الآيات : 65/ 69.

أو حكماً كالضمير المتصل المحذوف من اللفظ جوازاً نحو: جاء الذي ضربتُ، فالأصل فيه جاء الذي ضربته ، فحذفت الهاء من اللفظ وهي علي نية الذكر وذلك لأنّ جملة الصلة (ضربتُ) . لابد لها من رابط يربطها باسم الموصول . وقد يكون نطق الضمير ، غير ميسور مع ظهوره ، لوقوع ساكن بعد الضمير الساكن ، فيستدل على إظهار الضمير بمد الصوت بالحركة قبله في ألف الاثنين ، وواو الجماعة وياء المخاطبة نحو: أكتبا الدرس ، أكتبوا الدرس ،أكتبي الدرس . فإنها ظاهرة في اللفظ دون النطق . الضمائر البارزة وتنقسم إلي قسمين :

- الضمائر البارزة المنفصلة.
- الضمائر البارزة المتصلة.

والضمير المتصل هو الأصل ،متى أمكن اتصال الضمير لا يُعْدِلَ إلي انفصاله ،وذلك لاتصال المتصل غالباً ، نحو: قمتُ وأكرمتُ فلا يقال: قام أنا ، ولا أكرمتُ إياك ، لان التاء أخصر من أنا ، والكاف أخصر من إياك.

فلا يصح العدول عن الوصل إلي المنفصل إلا لدواع وأسباب يجب فيها فصل الضمير، وتشمل ضمائر النصب المنفصل، وضمائر الرفع المنفصلة، وأشهر المواضيع لفصل الضمير هي:

أولاً: إرادة الحصر: وذلك إذا وقع الضمير بعد إلا أو إنما أو تقدم الضمير علي عامله. نحو: لا يدافع عن أحساب القوم إلا أنا وقوله تعالي: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا

إِلَّا إِيَّـاهُ][1]. ومثـال تقـدم الضـمير علـي عاملـه نحـو: قولـه تعـالي : [إِيَّـاكَ نَعْبُـدُ وَإِيَّـاكَ نَسْتَعِينُ][2] .

ثانيـاً: قـد يكـون عامـل الضـمير مضـمراً ، وذلـك مـع إن الشـرطية أو إذا الفجائيـة نحـو: أنْ أنت لم ينفعك علمك فانتسب. وتقديره [إنْ لم ينفعك].

ثالثـاً: أن يكـون عامـل الضـمير معنويـاً ، إذا وقـع الضـمير مبتـدأ . نحـو: أنـا متـأدب ، وهو يجتهد في دروسه، ويدخل في ذلك ضمير الشأن[3]. نحو: هي الحياة بذل وعطاُء.

رابعاً: إذا حذف عامله في أسلوب التحذير بأي . نحو: إياك والكذب.

خامسـاً: أن يكـون الضـمير معمـولاً لحـرف نفـي، نحـو: مـا أنـا مهمـلاً فـي دروسـي ، ومـا أنا بطارد المؤمنين .

سادسـاً: أن يفصـل بـين الضـمير و عاملـه بمعمـول آخـر ، أو بمتبـوع نحـو: يخرجـون الرسول وإياكم.

سـابعاً: أن يقـع الضـمير بعـد واو المعيـة . نحـو: فرحـتُ تكـونُ وإياهـا متحـابين، سـرت وإياك.

ثامناً: أن يقع الضمير بعد أّما نحو : أّما أنا فشاعُر.)[4].

وهـذه الضـمائر موزعـة بـين ضـمائر الرفـع والنصـب ، والجـدول الآتيـة تبـين ذلـك. فالضـمائر المنفصـلة بحسـب موقعهـا تنقسـم إلـي قسـمين ضـمائر الرفـع المنفصـلة ،

---

1 - الإسراء: 23.

2 - الفاتحة:5

3 - كل ضمير للغائب أو الغائبة وقعت بعده جملة اسمية فسرت معناه

4 - بهاء الدين عبد الله بن عقيل ، بن عقيل : جـ1 . ص : 100 / 101.

وضمائر النصب المنفصلة ، وقد أشار إليها ابن مالك في ألفيته في معرض الحديث عن المتصل بقوله:

وذو اتصال منه ما لا يبتدأ ولا يلي إلا اختياراً أبدأ

فكل ضمير أبتدئ به فهو منفصل أو ولي إلا دون الاختيار ، والضمير الذي تتوفر فيه هذه الشروط أثنا عشر ضميراً .

1) ضمائر الرفع المنفصلة:

وهي التي لا تقع إلا موقع الرفع ، كالفاعل والمبتدأ ونحوه، وهي المتكلم (أنا) وحده، ونحن للمتكلم المعظم نفسه أو معه غيره.

2) المخاطب (أنت) :

هو الأصل للمفرد المذكر. ثم الفروع أنتِ للمخاطبة وأنتما للمذكر والمؤنث المثنى . و أنتم لجماعة الذكور المخاطبين . وأنتن لجماعة الإناث المخاطبات .

3) الغائب :

خمسة أولها (هو) للمفرد المذكر الغائب، والفروع (هي) للغائبة المفردة المؤنثة، و(هما) للمثنى الغائب والغائبة، و(هم) لجماعة الذكور الغائبين، و(هن) لجماعة الإناث الغائبات.

الجدول التالي يبين الموقع الإعرابي لضمير المتكلم المفرد (أنا) ، علي سبيل المثال لا الحصر. ويجري علي حكمه بقية الضمائر [نحن، أنت، أنتِ، أنتم، أنتن – هو، هي، هما، هم، هن] فيثبت لها الحكم والموقع.

الضمير	أمثلة لموقع الضمير	إعراب الجملة	بيان موقع ضمير الرفع
أنا	**أنا سودانيٌ**	أنا: مبنية في محل رفع مبتدأ. سوداني: خبر مبتدأ مرفوع وعلامة رفعة الضمة الظاهرة علي آخره.	مبتدأ
	ما تكلم إلاّ أنا	ما: نافية، لا محل لها من الإعراب، تكلم: فعل ماضي مبني علي الفتح، إلا: أداة حصر لا محل لها من الإعراب أنا: ضمير مبني في محل رفع فاعل	فاعل
	لَمْ يُكافأْ إلا إنا	لَم: أداة جزم ، يكافأ: فعل مضارع مبني للمجهول، مجزوم وعلامة جزمه السكون. إلا: أداة حصر لا محل لها من الإعراب أنا: مبنية في محل رفع نائب فاعل	نائب فاعل
	لَمْ يكن في المدرسة إلا أنا	شبه الجملة [في المدرسة] في محل نصب خبر يكن – أنا مبنية في محل رفع اسم كان.	اسم كان
	تقدم صديقي وأنا للعمل	صديقي: فاعل وعلامته الضمة المقدرة منع من ظهورها حركة ياء المتكلم، والياء في محل جر مضاف إليه	معطوف

		الـواو: عطـف. أنـا: معطـوف علـي مرفوع في محل رفع	
	لازمته أنا	لازم: فعـل ماضـي مبنـي علـي السـكون لاتصـاله بتـاء الفاعـل ، والتاء في محل رفع – فاعل . والهـاء: مبنـي فـي محـل نصـب مفعـول به أنا: توكيد لتاء الفاعل	توكيد
	مـا حضـر إلا اثنان أنا وخالد	ما:نافية لا محل لها من الإعراب حضـر: فعـل ماضـي مبنـي علـي الفتح إلا: أداة حصـر لا محـل لهـا مـن الإعراب اثنان: فاعل مرفوع وعلامته الألف. أنا: بدل مبني في محل رفع	بدل

فالضـمائر المنفصـلة للرفـع ، يلاحـظ أنهـا تقـع موقـع المبتـدأ أو مـا فـي حكمـه [اسـم كان] أو موضع الفاعل أو نائب الفاعل ، أو تابع لذلك كالعطف والتوكيد والبدل.

2) ضمائر النصب المنفصلة:

قال ابن مالك :

(وذو انتصاب في انفصال جُعِلا يإّ اي والتفريع ليس مشكلا)[1].

بشـير إلـي أن ضـمائر النصـب المنفصـلة اثنـا عشـر ضـميراً وكـلٌ واحـد منهمـا مبـدوء بكلمـة إيـا ، والأصـل فيهـا للمـتكلم وحـده (إّيـاي) ، وإّيانـا للمـتكلم المشـارك أو المعظـم نفسـه ، وإيـاك للمخاطـب المفـرد ، وإيـاكِ للمخاطبـة المفـردة ، وإياكمـا للمثنـى

1 - بهاء الدين عبد الله بن عقيل ، شرح بن عقيل – جـ1 . ص: 98.

المخاطب مذكراً أو مؤنثاً . وإياكم لجمع الذكور المخاطبين ، وإياكن لجمع الإناث المخاطبات . وإياّه للمفرد الغائب ، وفروعه إياها للمفردة الغائبة ، وإياهما للمثنى الغائب بنوعيه ، وإياهم لجمع الذكور الغائبين ، وإياهن لجمع الإناث الغائبات.

وقد اختلف علماء النحو حول اللواحق التي بعد (إيّا) إلي أقوال كثيرة.

أنها حروف تبين الحال وتوضح المراد من (إيّا)متكلماً أو مخاطباً أو غائباً مفرداً أو مثنى أو جمعا ، مثل اللواحق في أنت وأنتما و انتم وهذا مذهب سيبويه والفارسي و الاخفش. وذهب الخليل والمازني واختاره ابن مالك أن هذه اللواحق أسماء وإنها ضمائر أضيفت إليها [إيا]

وذهب الفراء، أن [إيّا] ليست ضميراً وإنما هي حرف عماد ، جيء به توصيلاً للضمير، والضمير هو اللواحق ليكون دعامة يعتمد عليها لتمييز هذه اللواحق عن الضمائر المتصلة.

وقال الزجاج أن الضمائر ، هي اللواحق موافقاً في ذلك للفراء ، ثم خالفه في [إيا] ، أنها اسم ظاهر مضافاً إلي الكاف والياء والهاء .

قال ابن درستويه .إن هذا اسم ليس ظاهراً ولا مضمراً وإنما هو بين الاثنين.

وقال الكوفيون أن المجموع من إيا واللواحق ضمير واحد)[1] .

فالآراء السابقة على اختلافها، كلٌ رأي منها يمثل جزءاً من الحقيقة ، ذلك أن اللفظتين كليهما له أثر في الأخر، ومكمل له. فالبحث عن التفريق بين اللفظتين لا فائدة منه. فإن (إيّا) دون اللواحق لا تعني شيئا. فقد اكتسبت بها دلالة المتكلم

1 - بهاء الدين عبد بن عقيل ، شرح شرح ابن عقيل . ج1، ص: 98، الهامش.

والمخاطب والغائب، فمعرفة الضمير والاهتداء إليه تتم من خلال هذه اللواحق. ولو كان لفظ (إيا) لا أثر له في الكلمة لصارت هذه الضمائر وضمائر الرفع في صورة واحدة ، فالموقع الإعرابي له أثر في هذه الإضافات ، فكأنما هي للتفريق بين موقع الضمائر من الإعراب . وما يؤكد ذلك أن الضمير (إياي) والفروع لا تخرج عن موضع النصب .

والجدول التالي يوضح ذلك علي سبيل المثال لا الحصر:

الضمير	أمثلة لموقع الضمير	إعراب الجملة	بيان موقع الضمير
إيّاي	*إيّ اي تشكر	إيّاي: مفعول به مقدم تشكر: فعل مضارع مرفوع والفاعل ضمير مستتر تقديره (أنت)	مفعول به
	* ما قابل المشرفون إلا إيّاي	ما: نافية لا محل لها من الإعراب، قابل: فعل ماضي مبني علي الفتح، والمشرفون: فاعل مرفوع وعلامته الواو، إلا: أداة حصر لا محل لها. إيّاي: مفعول به	مفعول به بعد الإ
	لم يكن الحاضر إلا	لم : أداة جزم . يكن فعل مضارع مجزوم / الحاضر اسم كان . إلا : أداة	خبر كان

	إياي	حصر لا محل لها . إياي: مبنية في محل نصب خبر	
	إنك وإياي علي خطأ	إنّ: حرف ناسخ. الكاف: في محل نصب اسم إنّ. أو: أداة عطف. إيّاي: معطوف علي منصوب . اسم إنّ	معطوف
	إيّاي إيّاي تعني؟	إيّاي: مبنية في محل نصب مفعول به. إيّاي: توكيد.	توكيد
	لم يقابل خالد إلا اثنين إيّاي وفاطمة	إلا: أداة حصر لا محل لها . اثنين: مفعول به منصوب وعلامته الياء، إيّاي: بدل من اثنين	بدل

يلاحظ في ضمائر النصب المنفصلة أنها تقع موقع المفعول به في حالتين:

- الأولى: أن يتقدم علي عامله.
- أما الثانية: فيقع بعد إلا أو وقع خبراً لكان ،أو تابعاً بالعطف أو التوكيد أو البدل.

وما تشترك فيه ضمائر الرفع المنفصلة وضمائر النصب المنفصلة الموقع الإعرابي بالتبعية ، فإن كلا الضميرين ، يقع موقع البدل والتوكيد والعطف ، سوى موقع النعت وذلك لخصائص النعت التي تعود إلى أصل اللفظ ، التي تتنافى مع الضمير وهي صفة الاشتقاق، والوصف والتغيير بينما الضمير يتميز لفظه بالجمود والثبات التي تناسب العقل في بقاء الصورة في الذهن.

ثانياً: الضمائر المتصلة:

الضـمير المتصـل: هـو الـذي يقـع فـي آخـر الكلمـة غالبـاً ، سـواء كانـت الكلمـة اسـماً أو فعـلاً أو حرفـاً فـلا يمكـن أن يـأتي فـي صـدرها. وذلـك لا ن الضـمير معمـول ومـا اتصـل بـه عامـل ، فالعامـل يتقـدم المعمـول فـي العـرف النحـوي، فـإن تقـدم الضـمير خـرج إلـي موقـع آخـر ، غيـر الموقـع الـذي حـوِّل عنـه ، ولتغّير المعنـى ، فالعلاقـة بـين الضـمير وعاملـه علاقـة دلاليـة ، وصـرفية فإنـه إذا تقدم ، خـرج عـن تلـك الدلالـة إلـى أخـرى جديـدة، وحكـم إعرابـي غيـر الـذي كـان مـن قبـل بالإضـافة إلـي عـدم إمكانيـة النطـق بـه واسـتقلاليته عن عامله لذلك قال ابن مالك:

ذو اتصال منه ما لا يبتدا ولا يلي إلا إختيارا أبدا

كالياء والكاف من ابني أكرمك والياء والهاء من سليه ما ملك[1]

فهـو يشـير إلـي شـروط الاتصـال ومـا يتصـل بـه الضـمير أمـا شـروطه كـالاّ يفصـل بينـه ومـا دخـل عليـه بحـاجز ، كحـروف العطـف وإلا الاسـتثنائية فـي الاختيـار، نحـو: رأيتـك رأيـت إلا ك، ورأيـت محمـد و ك ، فـإن (حـروف العطـف وإلا) حـروف ،تـربط مـا بعـدها بالعامـل الـذي قبلهـا و تشـركه فـي الحكـم كمـا سـبق ذكـره. وهـذا مـا يتنـافى مـع الضـمائر كـرابط . فـالربط بهـا ممـزوج بـالمعنى فـي دقـة ، الدلالـة وفـق اللفـظ الـذي تـدخل عليه،حرفاً كان أو اسماً أو فعلاً .

- **الضمائر التي تتصل بالأفعال:**

1 - بها الدين عبد الله بن عقيل ,شرح ابن عقيل . جـ1. صـ : 88 الهامش.

مـن الضـمائر التـي تتصـل بالأفعـالَ وهـي تـاء الفاعـل المتحركـة ، ودلالتهـا تعتمـد علـي حركتهـا . للمـتكلم وهـي التـاء المبنيـة علـي الضـم نحـو:كتبـتُ – والمخاطـب وهـي التـاء المبنيـة علـي الفـتح نحـو: كتبـتَ. والمخاطبـة وهـي التـاء المبنيـة علـي الكسـرة نحـو: كتبـتِ. وألـف الاثنـين، و واو الجماعـة ويـاء المخاطبـة ، ونـون الإنـاث نحـو: الطالبـان كتَبـا –الطـلاب كتبُـوا – الطالبـات كتـبْنَ – أنـت تكتبـين أو اكتبـي. فـلا تقـع هـذه الضـمائر إلا موضع الرفع سواء كانت مسندة إلي فعل ماضي أو مضارع أو أمر .

وهنالـك ضـمائر تتصـل بالأفعـال لا تصـلح إلا لموضـع النصـب فقـط ، وهـي ثلاثة ضمائر ياء المتكلم والكاف والهاء . نحو: ضربني –ضربتُك –وضربتُه.

وهنـاك ضـمير يصـلح للموضـعين ، وهـو متصـل بالأفعـال وهـو الضـمير [نـا] نحـو: كتبنـا – ضـربنا فـالملاحظ فـي الضـمائر السـابقة المتصـلة بالأفعـال أنهـا لا تقـع سـابقة للعامـل ولا تتـأخر عنـه ،وهـي مفصـولة عنـه بـإلاّ أو أداة عطـف، فاتصـال الضـمير بعاملـه الفعـل تظهـر حقـائق هـي ، أن دلالـة الضـمير ظلـت علـي حالهـا حسـب الوضـع ، سـواء كـان غائبـاً أو حاضـراً [للمـتكلم أو المخاطـب] . وأنـه قـد يتغيـر العامـل بينمـا يظـل الضمير علي صورته.

إذا قـورن الضـمير المتصـل بالمنفصـل فـي حالـة الرفـع ،فـإن هنـاك تغييـراً طـرأ عليـه ، وعلـي عاملـه ، فقـد تغيـرت صـورة اللفـظ فـي الضـمير متـأثرا بعاملـه الفعـل ، بـأن تخلص حجم الضمير إلي الصغر لحد الاختصار . نحو: كتبا – شرَبا – ناما.

أمـا عاملـه وهـو الفعـل فقـد أثـر الضـمير عليـه ، بـأن جعـل حركـة الفعـل ثابتـة البنـاء تتغيـر وفـق تغيـر الضـمير المسـند،فـإن كـان الضـمير متحركـاً بنـي الفعـل علـي حركـة السـكون ، وإن كـان الضمير سـاكناً بـُنـي الفعـل علـي حركـة تناسـب الضـمير فـي الغالـب. ذلـك مـا جعـل الإتيـان بنـون الوقايـة ضـرورة ملحـة لتقـي ، الفعـل وتـدل علـي أن الفعـل يتـأثر بالضـمير. فنـون الوقايـة هـي نـون تلـي الفعـل أو الحـرف لتقـي الفعـل مـن حركـة الكسـر الناتجـة عـن إسـناد الفعـل إلـي يـاء المـتكلم. لان الكسـر لـيس مـن علامـات الفعـل. وإنمـا هـي علامـة يخـتص بهـا الاسـم. أمـا دخولهـا علـي الحـرف فيكـون تفاديـاً لالتقاء الساكنين نحو: أكرَمني محمد، و يكرُمني محمد، و أكرْمني ، منِّي لك سلام.

واتصـال الضـمير بالفعـل يلاحـظ انـه ينحصـر فـي الضـمائر التـي تقـع موقـع الرفـع والنصـب فقـط. أمـا الضـمائر التـي تقـع موقـع الرفـع فـلا يجتمـع ضـميران فـي فعـل واحـد وذلك للعرف النحوي . أن لكل فعل فاعل أو نائب عنه.

أمـا الضـمائر التـي تقـع موقـع النصـب . فقـد يكـون للفعـل مفعـول واحـد أو يجتمـع للفعـل أكثـر مـن مفعـول وعنـد ذلـك لابـدّ مـن ترتيـب الضـمير حسـب خصوصـية الضـمير وقربـه مـن الـذهن . ودرجـة التحديـد والتعـين ، التـي تميـز كـل ضـمير . كمـا سـبق[إن ضـمير المـتكلم أخـص مـن ضـمير المخاطـب وضـمير المخاطـب أخـص مـن ضـمير الغياب] .

فـإن أجتمـع ضـميران منصـوبان احـدهما أخـص مـن الأخـر فـإن كانـا متصـلين وجب تقديم الأخص. نحو:الكتاب أعرتُكه . الكتاب أعرتَنيه.

فقد قدم الكاف والتاء علي الهاء ، وذلك لان الكاف للخطاب والياء للمتكلم ، فهما أخص من الهاء التي للغياب . وإن فصل احد الضميرين يجوز تقديم الأخص أو غيره . نحو:الكتاب أعرتك إياه أو الكتاب أعرته إياك .

ويلاحظ أن اللبس يقع عند اتصال الضمير ، لذلك تكون الاستعانة والاعتماد علي درجة التعيين والتعريف للضمير ، وقربه أو بعده من ذهن السامع: أما في حالة الانفصال . انفصال احد الضميرين فينتهي الغموض واللبس ،فلا يُعَمل بالرتبة. ذلك يؤكد أن الضمير المنفصل أقرب إلي ذهن السامع من حيث الإشارة والانتباه . والتركيز ، مما جعل ابن عقيل يقرر بأنه [إذا اجتمع ضميران ، وكانا منصوبين واتحدا في الرتبة كأن يكونا لمتكلمين أو مخاطبين أو غائبين فإنه يلزم الفصل في احدهما . نحو: أعطيتك إياك، فإن كانا غائبين و وأختلف لفظهما فقد يتصلان فلا لبس عندها. نحو: الزيدان الدرهم اعطيتهماه)[1].

ضمائر الفصل والشأن :

هناك ضمائر خاصة تختلف عن الضمير العام ، وذلك لأن لها أحكام خاصة تنفرد بها ، أي أن مجيئها مقيد بشروط معينة لها أغراض بلاغية ولغوية، بالإضافة إلى أنّها محصورة في ضمائر بعينها وبأحكام خاصة ، من ذلك :

أولاً : ضمير الفصل :

وهو الذي يفصل بين ركني الجملة الاسمية ، لتقوية وتوكيد مضمونها . وله أحكامٌ خاصة.

---

1 - بهاء الدين عبد الله بن عقيل ، شرح ابن عقيل . جـ 1 ، صـ: 107.

نوعه:

وهـو مـن ضـمائر الرفـع المنفصـلة (أنـا ، نحـن ، أنـت ، أنـتِ ، أنتمـا ، أنـتم ، أنـتنْ ، هـو ، هـي ، همـا ، هـمْ ، هـنْ) وكلهـا تصـلح لأداء الوظيفـة سـواءًكانـت مفـردة أو مثنـى أو مجموعـة . فمـثلا فـي جملـة : الشـجاع النـاطق بـالحق يبغـي رضـا الله ، فـنحن أمام معنيين:

المعنـي الأول:الشـجاعُ يبغـي رضـا الله . فتكـون جملـة يبغـي رضـا الله ركنـاً أساسـيا لأنهـا خبـر مبتـدأ ولا يكتمـل المعنـى إلا بهـا ومـا عـداه زيـادة تخـدم المعنـى الأصـلي وتكملـه فتعرب كلمة الناطق [صفة].

المعنـي الثـاني: الشـجاع النـاطق بـالحق . فكأننـا نعرفـه بأنـه النـاطق بـالحق ، فتكـون كلمـة النـاطق هـي الأساسـية التـي يتوقـف عليهـا المعنـى المطلـوب ، لأنهـا خبـر لا يـتم المعنـى بـدونها ، ومـا بعـدها هـو زيـادة وتكملـة تخـدم المعنـى الأصـلي ، مـن غيـر أن يتوقـف وجوده عليها ويمكن الاستغناء عنها .

فـالأمران جـائزان علـى الـرغم مـن الفـارق المعنـوي بينهمـا ، ولا سـبيل إلـي تفضـيل احـدهما علـى الأخـر لعـدم وجـود قرينـة . لكـن إذا قلنـا:الشـجاعُ هـو النـاطق بـالحق يبغـي رضـا الله، فـإن الأمـر يتغيـر بسـبب وجـود الضـمير [هـو] فيتعـين المعنـى الثـاني وحـده ، ويمتنع الأول ويزول احتماله الذي كان قبل الضمير .

فالضـمير هـو وأشـباهه يسـمى ضـمير الفصـل ، لأنـه يفصـل فـي الأمـر حـين الشـك واختفـاء القرينـة فيرفـع الإبهـام ويزيـل اللـبس ، بسـبب دلالتـه علـى أنّ الاسـم بعـده

هو الخبر و أنّ ما قبله مبتدأ أو ما أصله المبتدأ ، وليست صفة أو بدل ولا غيرها من التوابع والمكملات التي ليست أصيلة في المعنى .

أغراضه:

أّنه يدل على أنّ الاسم السابق مستغنٍ عن الصفة والبدل وغيرها من التوابع لا عن الخبر. كما أّنه يفيد في الكلام معنى الحصر والتخصيص بلاغياً .

و كذلك يقوي الاسم السابق له ويؤكد معناه والغالب في الاسم أن يكون ضميراً نحو قوله تعالي :[... وَكُنَّا نَحْنُ الوَارِثِينَ]1. [كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ]2. فإن توسط ضمير الفصل (نحن ،أنت) بين الضمير (نا) والوارثين أو التاء والرقيب مع أن كلمة الرقيب والوارثين منصوبة لأنها خبر كان ولا يصح أن تكون صفة للتاء أو الضمير (نا) لأنّ الضمير لا يوصف .

فيجوز أن يدخل عليه الناسخ الفعلي والحرفي نحو : المؤمن كان هو الأول في الإخلاص يرضي ربه ، أن المؤمن هو الأول في الإخلاص فالملاحظ انه دائما يقع بين معرفتين .

سبب التسمية :

إذا كان البصريون يسمونه (ضمير الفصل) فالكوفيون يسمونه بأسماء أخرى ترد أحيانا في كتب النحو ، فبعضهم يسميه [عماداً] لأّنه يعتمد عليه في الاهتداء إلي الفائدة وبيان أن الثاني خبرا لا تابعا ولا مكملا لمعني أخر .

شروط ضمير الفصل:

---

1) سورة القصص : الآية 58.

2) سورة المائدة ، الآية 117.

يشترط فيه ستة شروط[1] ، اثنان فيه مباشرة واثنان في الاسم الذي قبله واثنان فيما بعده .

1/ أن يكون أحد ضمائر الرفع المنفصلة .

2/ أن يكون مطابقاً للاسم الذي قبله في المعنى [التكلم ، الخطاب ، الغيبة] وفي الأفراد والتثنية والجمع والتذكير والتأنيث .

نحو: العلم هو الكفيل بالرقي يصعد بالفرد أعلى الدرجات .

الأخلاق هي الحارسة من الزلل تصون المرء من الخطل .

العلماء هم الأبطال يحتملون في سبيل العلم ما لا يحتمله سواهم .

شروط الاسم الذي قبله :

1/ أن يكون معرفة [مبتدأ أو ما أصله مبتدأ]. نحو : الوالد هو العامل علي خير أسرته يراقبها .

كان الله هو المنتقم من الطغاة لا يهملهم .

إن الصناعة هي العماد الأقوى في العصر الحديث تنمو عندنا .

وسبب اشتراط هذا الشرط أن اللبس يكثر بين الصفة والخبر لتشابههما في المعنى إذ إن الخبر صفة في المعنى بالرغم من اختلافهما في الوظيفة والإعراب وأن يكون الخبر أساسياً في الجملة دون الصفة .

---

1) د. عباس حسن – النحو الوافي – ج1 – ص : 245- بتصرف.

فالإتيـان بالضـمير يزيـل اللـبس الواقـع علـى الكلمـة ويجعلهـا خبـرا وليسـت صـفة ، لان الصفة والموصوف لا يفصل بينهما فاصل .

شروط الاسم الذي بعده :

1/ أن يكون خبرا لمبتدأ أو ما أصله مبتدأ .

2/ أن يكـون معرفـة أو مـا قاربهـا فـي التعريـف كأفعـل التفضـيل المجـرد مـن (ال) والإضـافة وبعـده [مـن] .و لابـدّ أن يتوسـط بـين معـرفتين. نحـو: العـالُم هـو العامـل بعلمـه ينفع نفسه وغيره.

النيل هو أسرع من غيره لداعي المروءة يلبي من ينادي .

ثانياً ضمير الشأن:

هـو ضـمير يـذكر قبـل الجملـة الاسـمية أو الفعليـة فـي مواقـع التعظـيم أو التفخـيم . تفسر دلالته وتوضح المراد منه، ومعناها معناه .

ذلـك أن العـرب الفصـحاء إذا أرادوا أن يـذكروا جملـة (اسـمية أو فعليـة) تشـتمل علـى معنـى مهـّم أو غـرض فخـم ، يسـتحق توجيـه الأسـماع والنفـوس إليـه لـم يـذكروها مباشـرة ، وإنمـا يقـدمون لهـا بضـمير يسـبقها ليكـون الضـمير بمـا فيـه مـن إبهـام وتركيـز مثيـرا للشـوق والتطلـع إلـي مـا يزيـل إبهامـه ، فتـاتي الجملـة بعـده والـنفس متشـوقة لهـا مقبلـة عليها في حرصٍ ورغبة .

سبب التسمية :

البصـــريون يســـمونه ضـــمير الشـــأن فمعنـــاه (الشـــأن أو الأمـــر أو الحـــديث أو القصـة) وإنمـا يسـمونه بالشـأن لأنّـه يرمـز للشـأن أي الحـال التـي يـراد الكـلام منهـا والتـي سـيدور الحـديث فيهـا بعـده مباشـرة. أمّـا الكوفيـون يسـمونه الضـمير المجهـول لأنـه لـم يسـبقه المرجـع الـذي يعـود إليـه، فتقـدم الضـمير لـيس إلا تمهيـدا لهـذه الجملـة الهامـة لكنـه يتضـمن معناهـا تمامـا ومدلولـه هـو مـدلولها وهـو بمثابـة رمـز لهـا أو إشـارة توجـه إليهـا فهـو كناية عن الجملة .

أنواعه:

هـو نـوع واحـد للغائـب المـذكر و المؤنـث فللمـذكر [هـو] وللمؤنـث [هـي ، هـا] فهـو مفـرد للمـذكر أو المؤنـث، فـلا يثنـى ولا يجمـع نحـو :ﷻ[قُـلْ هُـوَ اللهُ أَحَـدٌ][1] و هـو الزمان غدارٌ، و هي الحياة بذلٌ .

فـأراد بالضـمير أن يـدل علـي أهميتـه ويوجـه الـنفس إليـه بإثـارة الشـوق والتطلـع إلـي مـا يجـيء بعـده ، و هـي الجملـة التـي تزيـل غمـوض الضـمير وتفسـره فهـو رمـز لهـا أو كناية عنها، وهي مفسرة للرمز المبينة لمدلول الكناية.

أحواله :

1) سورة الإخلاص: الآية 1 .

أن يكـون منفصـلا ، نحـو قولـه تعـالي : [قُـلْ هُـوَ اللهُ أَحَـدٌ][1] ، أو أن يكـون متصـلا بالناسـخ الحرفـي نحـو : قولـه تعـالي : [...إِنَّـهُ لَا يُفْلِـحُ الكَـافِرُونَ][2] . أو أن يـأتي مقـدرا مـع لـيس باعتبـاره اسـما لهـا نحـو : لـيس يصـح إلا الصـحيح ، فاسـم لـيس ضـمير الشـأن مقـدر . وكـذلك يـأتي مـع أنْ المخففـة مـن الثقيلـة نحـو : آمنـتُ أن سـيأتي النصر .

أحكامه :

مما سبق نجد أن إحكامه تخالف أحكام القواعد و الأصول العامة للضمير .

1/ لابدّ أن يكون مبتدأ أو أصله مبتدأ ثم دخل عليه الناسخ .

2/ أن تكون صيغته للمفرد فلا تأتي بصيغة المثنى و لا الجمع مطلقا .

3/ لابدّ له من جمله تفسّره وتوضح مدلوله وتكون له خبرٌ

4/ أن تكـون الجملـة المفسّـرة لـه متـأخرة عنـه وجوبـا ويكـون مرجعهـا مرجعـه يعـود علـي مضمونها .

5/ أن يكون له تابع كالعطف والتوكيد والبدل والصفة

إعرابه :

ضـمير الشـأن المنفصـل يعـرب مبتـدأ وتعـرب الجملـة التاليـة لـه خبـرا عنـه مـن غير رابط لاتحادهما في المعنى نحو قول الشاعر :

هو الدهر ميلادٌ فشغلٌ فمأتم فذكّر كما أبقى الصدى ذاهبُ الصوتِ

---

1) سورة الإخلاص: الآية 1 .

2) سورة المؤمنون : الآية 117.

أمـا الضـمير المتصـل فالغالـبُ فيـه أن يتصـل بـأن فيعـرب اسـما لهـا، ومـا بعـده خبرا لها نحو: إنه الزهر ساحرٌ ، وإنها الرياحينُ رائعة .

أمثلة لإعراب ضمير الشأن:

قال تعالى: [قُـلْ هُـوَ اللهُ أَحَـدٌ][1] . هـو : مبتـدأ أول ، اسـم الجلالـة مبتـدأ ثـانٍ ، وأحـدٌ خبـره ، والجملة [الله احد في محل رفع خبر المبتدأ الأول .

قال تعالي: [إِنَّهَا لَا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى القُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُور][2] .

إنّ، حـرف توكيـد ونصـب. الهـاء ضـمير الشـأن فـي محـل نصـب اسـم إن وجملـة [لا تعمى الأبصار] جملة في محل رفع خبر إن .

الفصل الثاني

اتصال الضمير بالأسماء والحروف ودلالتها

1) سورة الإخلاص: الآية 1 .

2) سورة الحج ، الآية 46.

وإثارة انتباه السامع (المتكلم ،المخاطب،الغائب)

اتصال الضمير بالأسماء ودلالته:

قال ابن هشام في شرح قطر الندى وبل الصدى [والمضاف إلي واحد من المعارف ، هو بحسب ما يضاف إليه إلاّ المضاف إلي الضمير فكالعلم][1]. ابن هشام يؤكد بقوله حقيقة هي ، أن كل اسم معرف بالإضافة ، من حيث التعريف والتحديد كرتبة الذي أضيف إليه . فالمضاف إلي ما فيه (ال) في رتبة المعرف بال . فمثلاً كلمة (الغرفة) في نحو : أضاء مصباح الغرفة ، فإن لم تذكر كلمة الغرفة لكانت الجملة تحتاج إلي زيادة لفظية تتبعها زيادة معنوية ، تزيل التعميم والإطلاق الناتج عن كلمة مصباح إذ لا ندري ، أهو مصباح الغرفة أم الطريق ، أم المصنع . فلما جاء بالقيد أزال قصر الفهم على واحد منها ، فأفادت التقييد بأن جعل العام محصوراً ومخصصاً في معنى بعينه .

1) أبي محمد عبد الله جمال الدين ابن هشام الأنصاري ، قطر الندي ، تحقيقي الفاخوري ، د. فاء الباني ، ط الأولي ، 1988م دار الجيل ، بيروت ، ص : 112 .

كما أن المضاف إلي العلم في رتبة العلم ، نحو : غلام محمدٍ ، فهو في رتبة العلم (محمد). وغلام هذا في رتبة اسم الإشارة ، وكذا في بقية المعارف .

ويستثنى من ذلك المضاف إلي الضمير ، وذلك في كون الاسم المضاف إلي الضمير برتبة العلم، لأنّ الاسم المضاف إلي الضمير يوصف به العلم ، فلو كان في رتبة المضمر ، لكانت الصفة أعرف من الموصوف ، وذلك لا يجوز في العرف النحوي .

نحو: مررت بخالدٍ صاحبكَ . فالضمير بإضافته قلل من تحديد المعنى وتعريفه علماً بأنه أقوى المعارف . فأنا مثلاً كانت تدل علي المتكلم ، بتحديد شخص بعينه في عالم المحسوسات بحيث لا يختلط وسط أفراد أخرى تماثله . وبإضافته دل على أكثر من واحد نحو: غلامي .

وقد أشير إلي ذلك عند الحديث عن المعارف ، في نحو : (أنا في المدرسة) تدل علي فرد بعينه دون جملة تكلم محمود ، فمحمود يدل علي أكثر من واحد تماثل في مدلولها فالملاحظ أن الضمير بإضافته قد أثر فيه معنوياً من حيث تحديد الرتبة، فقد نزلت به إلى رتبة العلم من ناحية ، ومن ناحية أخرى أن دلالته دائما تنحصر في معنى الملكية ، وذلك يعود إلى دلالة حرف الجر المقدر عند الإضافة .

واختلف في الجار للمضاف إليه ، فقيل: هو مجرور بحرف جر مقدر (اللام، من ، في) . وقيل: هو مجرور بالمضاف ثم الإضافة بمعني اللام عند جميع النحويين ، وزعم بعضهم أنها تكون أيضا بمعني (من) ، أو (في) . وضابط ذلك

أنــه إن لــم يصــح إلا تقــدير (مــن) أو (فــي) فالإضــافة بمعنــي مــا تعــين تقــديره ، وإلا فالإضافة بمعني اللام .

ويــرجح الــدارس الــرأي الأول لأن الــذين قــالوا بــه علــي يقــين مــن أمــرهم ، وأن الإقنــاع العقلــي يتفــق معهــم ويســندهم ، إذ أن أصــحاب الــرأي الثــاني لا دليــل لهــم ، بــل نــراهم يعــودون مــرة أخــرى ويركنــون إلــي حــرف الجــر فــي شــيء مــن عــدم الثبــات وبــذلك يؤكدون الرأي الأول .

فيتعــين تقــدير (مــن) إن كــان المضــاف إليــه جنســا للمضــاف ، نحــو : هــذا ثــوب خزٌ ، والتقدير هذا ثوبٌ من خزٌ ، أي يدل علي أن المضاف بعض المضاف إليه .

ويتعــين تقــدير (فــي) إن كــان المضــاف إليــه ظرفــا واقعــا فيــه المضــاف ، نحــو قولــه تعــالي : [.... بَــلْ مَكْــرُ اللَّيْــلِ وَالنَّهَــارِ ...][1]. (وتقــديره مكــرٌ فــي الليــل والنهــار) أي يــدل على أن المضاف إليه يحوي المضاف كعلاقة الظرف بالمظروف .

وإن لــم يتعــين تقــدير (مــن) أو (فــي) فالإضــافة بمعنــي الــلام نحــو : هــذا غــلامُ زيــدٍ والتقــدير (غــلامٌ لزيــدٍ) . فإنهــا تــدل علــي ملكيــة المضــاف إليــه للمضــاف أو اختصاصــه به)[2].

والملاحــظ أن حــرف الجــر المقــدر عنــد إضــافة الضــمائر إلــي الأســماء ، هــو (الــلام علــي الإطــلاق فإنهــا دالــه علــي معنــى الملكيــة فتقــع فــي أذن الســامع بــلا مشــقة أو عنــاء ، ذلــك أن الــلام حــرف عــام فــي الإضــافة لأن تقــديره غيــر مشــروط بشــرط كمــا هــو

---

1) سبأ الآية : 33.

2) بهاء الدينس عبد الله بن عقيل ، شرح ابن عقيل ، جـ 2 ،ص : 45.

الحال في حرف الجر (من، في) ذلك من الناحية المعنوية . أّما من الناحية اللفظية فيلاحظ ، أن عامل الضمير يتغير ، بينما الضمير يبقى على صورةٍ واحدة مع الأسماء فلو أضيفت كلمة (غلام ، سور) إلي الضمير نجد أن صورة الضمير واحدة غير متغيرة في الكلمتين .

والجدول التالي يوضح ذلك .

الضمير	نوعه	الكلمة المضافة	
		غلام	سور
أنا نحنُ	متكلم	غلامي غلامنا	سوري سورنا
أنتَ أنتِ أنتما أنتم أنتنْ	مخاطب	غلامكَ غلامكِ غلامكما غلامكم غلامكنْ	سوركَ سوركِ سوركما سوركم سوركنْ
هو هي هما هم هنْ	غائب	غلامه غلامها غلامهما غلامهم غلامهن	سوره سورها سورهما سورهم سورهن

فيلاحظ في اتصال الضمير بالأسماء أن المضاف لا يتأثر باتصال الضمير، كما هو الحال في اتصال الضمير بالأفعال ، فالمضاف يعرب حسب موقعه من

الإعـراب . فـالمؤثر هـو الموقـع الإعرابـي فـي سـياق الجملـة، لأداء وظيفـة معنويـة معينـة، لأن المضـاف معـرب والضـمير مبنـي ، والمعـرب هـو الأصـل والمبنـي هـو الفـرع ذلـك مـا جعـل صـورة الضـمير ثابتـة غيـر متغيـرة ، مـع كـل اسـم يضـاف إليـه ، بينمـا المضـاف تتغيـر صـورته وفـق المعنـى المـراد فـي السـياق ، وهـذه الميـزة جعلـت السـامع فـي حالـة تركيز وجذب للانتباه حتى يظل المعنى مستقرا في الذهن.

اتصال الضمير بالحروف ودلالته :

الحـرف مـا لا يقبـل شـيئا مـن علامـات الاسـم والفعـل كـدخول (ال) والتنـوين وتـاء التأنيـث وغيرهـا مـن الناحيـة اللفظيـة . وقـد عرفـه علمـاء النحـو بقـولهم : مـا لـم يـدل علـي معني في نفسه ، بل في غيره وتنقسم الحروف إلي قسمين :

حرف مختص :

وهـو مـا قيـد دخولـه علـى الأسـماء أو الأفعـال ومـا اخـتص بالأسـماء كحـروف الجر وإن وأخواتها ... الخ ، والتي تختص بدخولها علي الأفعال مثل (لم) لم يكتب .

حرف غير مختص :

وهـو الـذي يـدخل علـي الأسـماء والأفعـال نحـو : (هـل ، هـل زيـدٌ قـائمٌ؟، وهـل قـام زيدٌ ؟)[1].

1) بهاء الدين عبد الله بن عقيل ، شرح بن عقيل ، جـ1 ،ص24 بتصرف.

ومـا يعنينـا فـي هـذا البحـث الحـروف المختصـة بـدخولها علـى الأسـماء ، ذلـك أن الحـروف كثيـرةٌ فـي كـلام العـرب ، فـإن الضـمائر غالبـا مـا تتصـل بـالحروف الناسـخة وحـروف الجـر ، وعلـة ذلـك لأنهـا تفيـد معنـى خـاص بهـا ، يتحـد مـع معنـى الضـمير ، وقـد لـوحظ أن الضـمائر لا تتصـل بحـروف العطـف مطلقـا لان حـروف العطـف بمـا تحملـه مـن معـاني تقـوم بوظيفـة ربـط اللاحـق بالسـابق ، أي أنهـا تـدخل مـا بعـدها فـي حكـم مـا قبلهـا ، وقـد أغنـى الضـمير عـن ذلـك ، فـلا نـرى لـه اتصـالا بهـا ، وعلـة أخـرى فـي كـون الضـمائر تـدخل علـى حـروف الجـر والنواسـخ الحرفيـة فـي كونهـا مختصـة بـدخولها علـى الأسـماء فـي الجملـة الاسـمية ، وأن العمـل بهـا قـائمٌ دون واسـطة باعتبارهـا عوامـل منفصـلة بـذاتها ليسـت كـالحروف الأخـرى التـي تعـين عوامـل أخـرى علـى العمـل ، وأنهـا ضـمنت معنـى يخصـها يختلـف بـاختلاف الحـرف لا يؤديـه غيـره ، ثـم أنهـا لا تتـأثر بالضـمير لفظيـاً ولا تـؤثر فيـه ، فـإن بناءهـا يظـل علـى حالـه فـاللفظ ثابـت والمعنـى متغيـر نحو :

الضمير	حرف الجر	الحرف الناسخ
	علي	إنَّ
أنا	علّي	إنَّـي
نحنُ	علينا	ـّنا
أنتَ	عليكَ	ـّك
أنت	عليكِ	ـّكِ
أنتما	عليكما	ّإنكما
انتم	عليكم	ّإنكم
أنتن	عليكنْ	ـّكن

هو	عليه	ـّه
هي	عليها	إنّها
هما	عليهما	إنّهما
هم	عليهم	إنّهم
هنْ	عليهنْ	ـّهنْ

وكـذا صـورتها فـي جميـع حـروف الجـر و النواسـخ ومـا ذكـر علـى سـبيل المثـال لا الحصر .

وقـد أشـار إلـى ذلـك ابـن مالـك عنـدما تحـدث عـن الضـمائر التـي تصـلح للرفـع والجر والنصب فذكر الضمير (نا) و (الياء) فقال :

للرفع والنصب وجرٍ (نا) صلح كأعرف بنا فإننا نلنا المنح [1]

ففـي جملـة (أعـرف بنـا) إشـارة إلـي الضـمير المتصـل المجـرور بحـرف الجـر . و(وإننـا) إشـارة إلـي الضـمير المنصـوب بالناسـخ الحرفـي (أنّ وأخواتهـا) و (اليـاء) نحـو: (مـر بـي) وأشـار إلـي الضـمير هـم أنـه يصـلح للحـالات الـثلاث غيـر أنـه فـي حالـة الرفع يرد منفصلاً نحو : (لهم، إنّهم) (هم نائمون) .

فالضـمائر السـابقة تسـتخدم متصـلة فبعضـها يصـلح للـثلاث حـالات كالضـمير (نـا) والمعنـى واللفـظ واحـد غيـر متغيـر . أمـا اليـاء فإنهـا لـو اسـتخدمت متصـلة بـالحروف فإنها للمتكلم ، (مر بي) و(إنّي) .

إثارة انتباه السامع (المتكلم ، المخاطب ، الغائب ومرجعيته):

[1]) بهاء الدين عبد الله بن عقيل ، شرح بن عقيل . جـ 1 . ص : 93 .

تـأتي إثـارة انتبـاه السـامع مـن عـدة نـواحي بعضـها يتعلـق ببنيـة الضـمير ، والأخـر يعود إلى التركيب والسياق.

مواضع الإثارة المرتبطة بالضمير :

إن الضـمائر مـن المعـارف التـي تعـّين مسـماها بالقرينـة المعنويـة ، المتمثلـة فـي الـتكلم والخطـاب والغيبـة ، فهـي تقـوم مقـام مـا يكنـى بهـا كـ (أنـا ، أنـت ، هـو) . غيـر أن ضـمير المـتكلم أخّـص مـن ضـمير المخاطـب ، أي اعـرف منـه لحضـوره الـذهني كمـا سـبق ذكـره ، وضـمير المخاطـب أخـص مـن ضـمائر الغائـب التـي تحتـاج إلـى مرجـع أو عائد .

فالضـمائر مـن حيـث معناهـا تـدل علـي التركيـز وإثـارة انتبـاه السـامع بأنواعهـا الثلاثـة (مـتكلم ، مخاطـب ، غائـب) ذلـك أنهـا تتضـمن معنـي الإشـارة والإشـارة أبلـغ وأدلّ على التركيز سواءًكانت للسامع أو المتكلم ، فهي تلفت ذهن السامع في اتجاه معين.

أمـا ضـمائر المـتكلم والمخاطـب فإنهـا تفيـد معـاني خاصـة بهـا ، فـلا يكنـى بهـا عـن شـيء أخـر ، فـالكلام جـوهرة مـتكلم وهـو الأصـل ، و(أنـا) أصـل كـل كـلام ، والمـتكلم لا يكلم نفسه بل يخاطب غيره فـ (أنت) المخاطب أصل ثانٍ .

إن الـذي تخـتص بـه الضـمائر مـن البنـاء والجمـود أمـرٌ مثيـر و جالـب للانتبـاه ، ذلـك أن بنيتهـا تثبـت علـي حالـة واحـدة غيـر متغيـرة ، أنهـا لا تتـأثر ظاهريـاً بالعوامـل المختلفـة ، وأن معناهـا لا يـتم إلا بانضـمامه إلـي لفـظٍ أخـر ، كـل ذلـك جعلهـا مؤهلـة لأغراض تجعل منها الأداة الأهم لشد انتباه السامع.

ويلاحظ في ضمائر الغائب أنها منتشرة في كلام العرب بعكس ضمائر الحضور . فإنها يشترط في استخدامها عائد أو مرجع ، وذلك ما جعلها أكثر انتشارا وربما كانت رابطة لعائد ضمير من ضمائر الحضور(المتكلم أو المخاطب) لذلك لابدّ من معرفة ضمائر الغياب في السياق ومرجعيتها . وأكثر ضمائر الغياب انتشارا الضمير المبني علي الهاء .متصلا أو منفصلا مثال: المفرد المذكر : نحو قوله تعالي : [هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْض...][1] . ومثال المتصل قوله تعالي : [..لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ...][2] .

مثال المفرد المؤنث : مثال المنفصل قوله تعالي :قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ ...][3] . ومثال المتصل قوله تعالي : [..إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ ...][4] .

مثال المثني المذكر : مثال المنفصل قوله تعالي: [...وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللهَ ...][5] .

ومثال المتصل قوله تعالي : [فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ ...][6] .

مثال الجمع المذكر : مثال المنفصل: قوله تعالي: [هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللهِ وَاللهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ][7]. ومثال المنفصل قوله تعالي :[الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ][8] .

مثال جمع المؤنث: مثال المنفصل والمتصل: قوله تعالى:[..هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ ..] [1].

---

1) البقرة ، الآية : 29.
2) البقرة ، الآية : 255.
3) البقرة ، الآية : 68.
4) البقرة ، الآية : 69.
5) الأحقاف ، الآية : 17.
6) الأعراف : 20 .
7) آل عمران : 163.
8) محمد : الآية 1.

فالضمائر المبنية على الهاء كثيرة ما جعل احد النحاة يقول (إن ضمير الغائب المبني على الهاء واضح الدلالة على الغياب ، وإن كل آية تشتمل علي ضمائر الغيبة التي ليست مبنية على الهاء غالبا ما يكون فيها ضمير غائب مبني علي الهاء وذلك دلالة على كثرتها . نحو قوله تعالى: [وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ][2] .

وكذلك نحو قوله تعالى : [إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ][3] .

فسر الهاء في إثارة انتباه السامع ، لما تمتاز به من خصائص صوتية تجعل المستمع في حالة من التركيز والرجوع بالذاكرة إلي الوراء والربط .

وهناك ضمائر غياب بارزة لم تكن مبنية على الهاء ، مثل ألف الاثنين وواو الجماعة ونون الإناث المسندة إلى الفعل الماضي والمضارع ، قال تعالى : [فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى][4] .

والنون في قوله تعالى : [... إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ][5].

وكذلك يأتي مستترا في الماضي والمضارع إذا كان مسندا لغائب أو غائبة ، نحو قوله تعالى : [وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللهِ ...][1] .

---

1) البقرة : 187.

2 البقرة : 130 .

3 البقرة :160 .

4 طه : 121.

5 البقرة : 228.

وقوله تعالي :تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ][2] .

مرجع ضمير الغائب :

مرجع ضمير الغائب له صور متعددة تكثر في القرآن الكريم .

أولاً : المرجع المحدد :

ما كان كلمة واحدة يرجع إليها الضمير وهو نوعان :

صريح : وهو المرجع الواضح الذي يهتدي إليه كل إنسان ، فلا يحتاج إلي إعمال فكر ولا طول نظر نحو قوله تعالى :قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ][3] . فالضمير (هو) مرجعه لفظ الجلالة الله ، ونحو قوله تعالى : [... فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا ...][4] . فالضمير الهاء مرجعه كلمة الأرض وهذا النوع الغالب في القرآن الكريم .

غير صريح: و هو المرجع المفهوم من سياق الكلام ، ويحتاج إلي إعمال فكر وطول نظر وله صورٌ عديدٌ هي :

أن يعود الضمير علي غير مذكور ، ونجده في التركيب ، وتشير إليه كلمة أو أكثر ، ويكثر ذلك عندما يكون المعنى المفهوم هو (القرآن ، الكفار مشركو مكة ، أو تبليغ الرسالة) نحو قوله تعالى:وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ *فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ *أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثاً وَهُمْ شَاهِدُونَ*

---

1 البقرة : 114.

2 البقرة : 134.

3 البقرة : 139 .

4 البقرة : 61.

أَلَا إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ * وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ][1]. فالضمير في متعناهم يعود على (مِئَةِ أَلْفٍ) وهم قوم يونس غير أن الضمير في (استفتهم ، لهم ، هم ، إنهم ، إفكهم) يعود على مشركي مكة وقد فُهِمْ ذلك من خطاب النبي صلى الله عليه وسلم.

ومن أمثلة مرجع الضمير إلي كلمة التبليغ نحو قوله تعالى: [إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ *إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ *فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ *وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ*][2] . فالضمير في (عليه) يعود علي التبليغ ، وليس مذكورا في الكلام صراحة ، وإنما هو مفهوم من قوله تعالى : (إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ) ومن أمره لهم بتقوى الله)[3] .

ومن مرجع الضمير غير الصريح أن يتقدم فعل أو شبهه ، نحو قوله تعالى: [وَإِن تَنتَهُواْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ...][4]. فالضمير (هو) يعود على الانتهاء المفهوم من الفعل انتهوا.

أن يعود الضمير على بعض ما تقدم ، ومن أمثلته قوله تعالى : [وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ][5] . فالوالدان عام في المؤمنين والمشركين وقد عاد الضمير في (تطيعهما) علي المشركين فقط ،

وقد يعود الضمير على لفظ يراد بهذا اللفظ غيره ، نحو قوله تعالى: [وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ *ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ *][6] . فالإنسان

---

1 الصافات الآيات : (147 – 152) .

2 هود الآية (124 – 127).

3 مرجع الضمير ص: 19 .

4 الأنفال : 19 .

5 العنكبوت : 8

6 المؤمنون : (12 – 13)

المراد به آدم عليه السلام ، لأنه هو الذي خلق من سلالة من طين ، فالضمير في جعلناه بحسب الظاهر مرجعه إلي الإنسان عامة لأنه هو الذي جُعل في قرار مكين.

وقد يعود ضمير الغائب علي المخاطب بالكاف أو نحوها كقوله تعالي: [أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ][1] . فالضمير في ينبئهم يعود علي المخاطبين بالضمير (أنتم).

ومن المرجع غير الصريح عودة الضمير على مضاف محذوف ، نحو قوله تعالى: [وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ][2] . فالضميران في (أهلكناها، جاءها) يعودان علي لفظ (قرية) لان لفظها مفرد مؤنث ، أما الضمير (هم) فغير مطابق للفظها لأنه عائد علي مضاف محذوف (فجاء أهلها أو هم) .

وقد يعود الضمير علي معني من المعاني ، وضابط مرجعه ، أدلة معنوية ولفظية ترشد القارئ وإن عدم ذكر المرجع والتصريح به فيه إيجاز واختصار ، وهو مقصد من مقاصد إعجاز القرآن.

ثانيا: المرجع غير المحدد:

---

1 النور : 64.

2 الأعراف : 4.

أشار إليه د. محمد حسين صبرة[1] في كتابه "مرجع الضمير" ، هو أن يسبق ضمير الغائب مرجعان أو أكثر ، ويجوز أن يرجع الضمير إلي كل واحد منهما مع ترجيح أحدهما . نحو قوله تعالى: [اللهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا...][2] . إن الضمير في (ترونها) عائد على السموات أي تشاهدون السموات . وقد يعود الضمير على عمد أي بغير عمدٍ مرتبة .

فرغم تعدد المراجع إلا أن ضمير الغائب يظل دالاً على المعنى دون خلط ومرجع الضمير تحكمه قواعد معينة لا يخرج عن إطارها وتتمثل في الأتي .

أن يعود ضمير الغائب علي اقرب مذكور إذا تعددت المراجع ليزول إبهامه . نحو قوله تعالى: [.... وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ ...][3] .

وقد يعود علي الأبعد إن كان هناك دليل أو برهان نحو قوله تعالي : [وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا ....][4] . فالضمير في إليها يعود علي التجارة وهو الأبعد لمطابقة الضمير لمرجعه .

ومن قاعدة عودة الضمير الترتيب بين الضمير ومرجعه ، وهي أن يعود الضمير علي متقدم لفظا ورتبه ، نحو قوله تعالي : [وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ][5] .

وكذلك المطابقة بين الضمير ومرجعه في النوع والعدد ، وهي الحالة التي يرد ضمير الغائب عليها في الغالب نحو قوله تعال: إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ ...][1]. وقوله تعالى : [وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا ...][2] .

---

1 - د. محمد حسين صبرة – مرجع الضمير – ص:25 بتصرف.

2 الرعد :2 .

3 الأنعام 141.

4 الجمعة : 11.

5 البقرة :60 .

حالات اختلاف الضمير عن مرجعه :

قد تختلف مطابقة الضمير لمرجعه ، ويرجع ذلك إلي سببين :

الأول حمل الضمير على المعنى ، نحو قوله تعالى: [يَحْلِفُونَ بِاللهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ][3] . فهناك مرجعان للضمير في (يرضوه) هما الله ورسوله ، فكان الأجدر أن يثنى مذكرا ، ولكنه أتي به مفردا نظرا إلي المعني ، فالضمير عائد إلي الرسول فقط . إما لان رضا رسول الله رضا الله ، لان الدائرة الإيمانية واحدة أو لان الله تعالي ذكر مع الرسول تعظ يما وتشريفا والَمْعْني هو الرسول)[4] .

والثاني يرجع إلي طبيعة اللغة ، تجاه بعض الألفاظ من حيث المطابقة وعدمها . فمثلا كلمة (أمة) ورد فيها مرجع الضمير مغايرا فمرة راعى فيها اللفظ فجاء الضمير مفردا مؤنثا نحو قوله تعالى:[إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ][5] ، ومرة أخري راعى فيها المعني فجاء فيها الضمير بصيغة جمع المذكر نحو قوله تعالي : [وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الخَيْرِ ...][6] .

ومثل ذلك ، الضمير العائد علي المعرف بال الجنسية ، فقد يعود الضمير عليه بصيغة الجمع مثل كلمة الإنسان في قوله تعالى: [وَلَا يَذْكُرُ الإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ

---

1 يوسف :4 .

2 يوسف :30 .

3 التوبة : 62

4 مرجع الضمير ، ص : 44.

5 فاطر : 24.

6 آل عمران :104.

مِـن قَبْـلُ وَلَـمْ يَـكُ شَـيْئاً *فَوَرَبِّـكَ لَنَحْشُـرَنَّهُمْ ...] [1]. فعـاد الضـمير فـي (نحشـرنهم) جمعـا مراعيا فيه معناه.

وكـذلك اسـم الموصـول (الـذي)، فقـد يـراد بـه الجـنس فيعـود الضـمير عليـه بصـيغة الجمـع نحـو قولـه تعـالى: [وَالَّذِي جَـاءَ بِـالصِّـدْقِ وَصَـدَّقَ بِـهِ أُولَئِـكَ هُـمُ الْمُتَّقُـونَ][2] . فالضمير (هم) عائد على الذي لأنها بمعنى (الذين) .

وكـذلك لفـظ السـموات والأرض، إن كلمـة السـموات إذا عطفـت عليهـا كلمـة الأرض قـد يعـود الضـمير عليهمـا بصـيغة المثنـى . كمـا لـو كانـت كلمـة السـموات مفـردة مـع كلمـة الأرض ، فيكـون معناهـا مفـردة علـى التأويـل بجماعـة أو طائفـة ويكـون لفظهـا جمعـا . فمثـال مـا اعتبـر فيهـا معناهـا قولـه تعـالى: [... وَلِلَّهِ مُلْـكُ السَّـمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَـا بَيْنَهُمَـا يَخْلُـقُ مَـا يَشَـاءُ وَاللَّهُ عَلَـى كُـلِّ شَـيْءٍ قَـدِيرٌ][3]. واعتبـر لفظهـا المجمـوع مـع كلمـة الأرض فعـاد الضـمير إليهـا بصـيغة جمـع المؤنـث فـي قولـه تعـالى: [لِلَّهِ مُلْـكُ السَّـمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَـا فِـيهِنَّ وَهُـوَ عَلَـى كُـلِّ شَـيْءٍ قَـدِيرٌ][4] . ومراعـاة المعنـى أكثـر مـن مراعـاة اللفظ .

ومهمـا يكـن مـن أمـر فـإن هـذه الخصـائص والميـزات جعلـت الضـمير ينسـجم مـع أي موقف من المواقف بمرونة تجعل السامع مشدودا لفهم المعنى .

إن اخـتلاف المراجـع كسـر للملـل وربـط لـذهن السـامع بـالمعنى وتركيـزه ، وبعدمـه لا يفهم للسياق معنى .

---

1 مريم : (67 – 68).

2 الزمر :33 .

3 المائدة :17.

4 المائدة :120.

تعـدد المراجــع وانســجام الضــمير إظهــار لــدور الضــمير كــرابط معنــوي يخــدم التركيـب فضـمير الغائـب بمـا يخـتص بـه مـن صـفات صـوتية ومرجـع يعـود عليـه جعلـت منـه أهميـة ينفـرد بهـا عـن ضـمائر الحضـور التـي ينحصـر دورهـا فـي الـتكلم والاسـتماع ، بينمـا ضـمائر الغيـاب تقـوم بـدور الحكايـة أو الكـلام المنقـول والمعنـي المحمـول لـذلك تنتشـر فـي ثنايـا الكـلام و هـي أنيسـة للسـامع والمـتكلم. ذلـك مـا جعـل ترتيـب الضـمائر ضـرورة ملحـة الأخـص فـالأخص ، فكـل ضـمير يصـلح لموضـع مـن التركيـب فـالمتكلم والمخاطـب أقـرب للأذهـان والحـال ، لـذلك تصـلح فـي الـربط للهيئـة والحـال الماثـل . فلـو ابتعـدت كانـت مصـدر خلـط للمعنـي . بينمـا ضـمائر الغيـاب تصـلح لـربط السـياق عامـة لبعـدها عـن الحـال ، والمرجـع الـذي يعـود إليـه الضـمير ، ذلـك مـا جعـل علمـاء النحـو يجّوزون نحو :

الدرهم سألتُكه .

الدرهم سألتَنيه .

فلمـا كانـت ضـمائر الحضـور يمثلهـا المـتكلم والمخاطـب أجـازوا تقـديم أيٍّ منهـا المتكلم أو المخاطب ، بينما يمنع تقديم ضمير الغائب في وجود المتكلم أو المخاطب.

مواضع الإثارة المرتبطة بالتركيب :

أولا: الحذف :

قـد يحـذف الضـمير مـن السـياق مـع إمكـان ذكـره وذهـب كثيـرٌ مـن المفسـرين إلـي تعليـل الغـرض مـن حـذف الضـمير كـل مـذهب ، غيـر أنـه بمجمـوع الآراء تكتمـل الصـورة

لأنّ كلّ رأي يمثل جزءاً من الحقيقة لأنّ كلّ حذف مرتبطٌ بسياق تركيبه . فمثلا قوله تعالى : [وَالضُّحَى *وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى * مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى]**[1].**

فقد أوردت الدكتورة عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ مجموعة أراء لمفسرين عن حذف الضمير في قوله (قلى) فمنها انه اكتفاء يفهم السامع لمعناه ، إذ قد تقدم قوله تعالى: (مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ) فيعرف بذلك أن المخاطب به هو نبي الله محمد (صلى الله عليه وسلم) .

وتعليل أخر أن الحذف للاختصار ثم أضافت، أن بعضهم رأى أن الحذف لرعاية الفواصل من الناحية اللفظية. وقد ردت هذا الرأي بقولها أن الحذف لغرض رعاية الفاصلة ليس من المقبول أن يقوم البيان القرآني علي اعتبار لفظي محض، وإنما الحذف لمقتضى معنوي بلاغي يقويه الأداء اللفظي دون أن يكون الملحظ الشكلي هو الأصل ، ولو كان البيان القرآني يتعلق بذلك لما عدل عن رعاية الفاصلة في أخر السورة [فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ*وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ*][2] . ورأت أن الحذف لدلالة ما قبله علي المحذوف ، وتقتضيه حساسية معنوية مرهفة ، بالغة الدقة في اللطف والإيناس ، وهو تحاشي خطابه تعالى لحبيبه المصطفي في مقام الإيناس ما قلاك لما في القلى من الطرد والإبعاد وشدة البغض . أما التوديع فلا شيء فيه من ذلك ، بل لعل الحس اللغوي فيه يؤذن بالفراق علي كره مع رجاء العودة واللقاء)[3].

فالآراء السابقة كلها صحيحة ويضاف إليها عنصر إثارة انتباه السامع ليرى تلك المعاني تجاه الله لنبيه الكريم .

---

1 الضحى : (1- 3) .

2 الضحى : (9 – 10) .

3 د. عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ ، التفسير البياني للقرآن الكريم ، جـ1 ، دار المعارف ، كتب الدراسات الأدبية ، ص : 35 .

ثانياً: ذكر الضمير :

وهو ما يعرف بالذكر أي تكرار الضمير ويكثر ذلك في القرآن الكريم وخاصة سورة محمد، فإن الضمير يتكرر فيها كثيرا ذلك لترسيخ اليقين والإقناع النفسي لأداة المعنى .

وقد أشار إلي ذلك د. عبد الله الطيب بقوله : إذا كان التكرار هو إعادة الوحدة التي بدأت بها علي نظام مخصوص ، لهذا التنوع فإنه يستبدل الوحدة بعد فترة بوحدة أخري متباينة لها شيئا يسيرا تعيد هذا النسخ فيما بعد فيكون الحاصل وحدة زخرفية قوام الوحدة فيها هو التكرار وقوام الانسجام* فيها التنوع وانطواؤه في سجل التكرار فيتضح من ذلك أن سر الانسجام كله إنما هو في التكرار والتنوع)[1].

فتكرار الضمير وعدد مرات تكراره له دلالات ترتبط بالنص والمستمع إليه . فالدلالة المرتبطة بالنص هي الوحدة الجاذبة المحكمة ، بينما الدلالة المرتبطة بالمستمع ، فإن غرض التكرار الأساسي هو الخطابة ، وهي أن يعمد المتحدث إلي تقوية ناحية الإنشاء (العواطف) كالتعجب ، والحنين ، والاستغراب وهي معاني الغالب فيها إثارة انتباه السامع .

وهناك ميزة اختصاره للتركيب والبعد به عن التكرار أمرٌ يبعد الملل عن النفس وأنس لها . فمثلا قولنا : قرأت كتاب النحو ، واستفدتُ من كتاب النحو ، ثم رددت كتاب النحو إلي المكتبة . فلو قلنا : قرأتُ كتاب النحو ،وأستفدتُ منه ثم رددتهُ إلي المكتبة لكان الكلام أروع وأريح للنفس يشد انتباهها .

* الانسجام هو العنصر الذي يجمع بين الوحدة والتباين .

1 د. عبد الله الطيب ، المرشد إلي فهم أشعار العرب جـ 2 ، ص : 37.

ذلك أن (حد الإيجاز أن يكون اللفظ مقتصدا فيه اقتصادا ، لا يخل بالغرض ، ولا تنفعه الزيادة، ومهما يكن من تعبير أوجز فيه صانعه ، واستوفي الغرض ، إلا كان جَوْسَه حسن الوقع في النفس ، إذا النفوس يعجبها وقع اللفظ القصير إن كان يحوي الفكرة الطويلة ، والمعني الضخم)[1] .

كما أن من أغراضها إزالة الالتباس عن كثيرٍ من الأسماء الظاهرة في التركيب أو عن معانٍ في جمل بعينها فجملة : خالد قابلته ، أوضح وأظهر من جملة خالد قابلتُ خالداً ، ذلك أن الجملة الأولي لا لبس فيها بفعل الضمير.

وكذا الحال في ضمير الفصل ، فإنه يؤتى به للفصل بين معنيين يحتمل أحدهما عند الشك واختفاء القرينة ، يؤتي به ليفصل بين ركني الجملة الاسمية لتقوية وتوكيد مضمونها، و يزيل التباسها كما سبق ذكره.

فإزالة الالتباس غرضٌ من أغراض الضمير لدعم اليقين وطرد الشك، وذلك أدعى للإقناع الذهني .

قد يأتي الضمير في التركيب مضمرا غير ظاهر ، سواء كان للمتكلم أو المخاطب أو الغائب،والغالب فيه أن يكون هناك مرجعاً عائداً إليه .

وقد يكون الإضمار ابتداء قبل الذكر كما هو شرط الفخامة والدلالة علي عظم الشأن ، نحو قوله تعالى: [..وَٱسْتَوَتْ عَلَى الجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّـالِمِينَ][2] . فقد أضمر السفينة قبل الذكر ويكثر ذلك في ضمير الشأن ، وهو ضميرٌ يذكر قبل

1 المرجع السابق ، جـ2 ، ص :29 .

2 هود : 44.

الجملة الاسمية أو الفعلية في مواضع التعظيم أو التفخيم تفسر دلالته وتوضح المراد منه ومعناها معناه .

ذلك أن العرب الفصحاء إذا أرادوا ذكر جملة تشتمل على معنى مهم أو غرض فخم يستحق توجيه الإسماع والنفوس إليه لم يذكروها مباشر ة وإنما يقدمون لها بضمير يسبقها ليكون الضمير بما فيه من إبهام وتركيز مثيرا للشوق والتطلع إلي ما يزيل إبهامه ، فتاتي الجملة بعده والنفس متشوقة لها مقبله عليها ، في حرص ورغبة .

وكل ما سبق معينات متوفرة في الضمائر تساعد في إثارة انتباه السامع .

الباب الثالث
الجانب التحليلي

الفصل الأول :
سورة محمد

الفصل الثاني :
دور الضمير في بناء القصة القرآنية والتطبيق عليها سورة يوسف

الفصل الأول

سورة محمد

محور السورة:

سورة محمد من السور المدنية ، التي تعنى بالأحكام الشرعية ، والمحور العام الذي تدور حوله السورة الجهاد في سبيل الله ، وما يتصل به من معانٍ كأحكام القتال والأسرى والمنافقين ، فقد ورد في تفسير فتح البيان أنها تسمي سورة القتال ، وسورة الذين كفروا ، وهي مدنية)[1].

بدأت السورة بإعلان الحرب علي الكفار ، أعداء الله والرسول بصفاتهم المعروفة ؛ في وقوفهم في وجه الدعوة ، ثم أمرت المؤمنين بقتال الكافرين حتى تظهر

1) أبو الطيب صديق بن حسن بن علي الحسين القنوجي البخاري ، فتح البيان في مقاصد القرآن – جـ 13– دار أحياء التراث الاسلامي – قطر ، ص : 45

الأرض من رجسهم ، ووضعت شروطاً لنصرة الله، ثم ضربت الأمثال لكفار مكة بأمثال الطغاة المتجبرين من الأمم السابقة . ثم تحدثت السورة بإسهاب عن صفات المنافقين باعتبارهم الخطر الداهم علي الإسلام والمسلمين ؛ ليحذر الناس مكرهم وخبثهم، وقد ختمت السورة بدعوة المؤمنين إلي الجهاد لأنه طريق العزة والكرامة.

جانب من التحليل اللغوي:

قال تعالى[إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ][1] . جاء في صفوة التفاسير، الذين جحدوا بآيات الله ، وأعرضوا عن الإسلام ، ومنعوا الناس عن الدخول في دين الله أبطل أعمالهم)[2].

وفي فتح البيان، أن الذين كفروا ، هم كفار قريش كفروا بالله وصدوا أنفسهم وغيرهم عن دين الإسلام ، وقيل هم أهل الكتاب أو عام في كل من كفر وصدَّ) [3]

وفي تفسير آخر الذين جحدوا توحيد الله ، وعبدوا غيره وصدوا من أراد عبادته والإقرار بوحدانيته وتصديق نبيه محمد (صلى الله عليه و سلم) ، عن الذي أراد من الإسلام والإقرار والتصديق) [4].

من الملاحظ اختلاف اجتهادات المفسرين في الوصول إلي المراد من اسم الموصول [الذين] ، فجاءت اجتهاداتهم متباينة، وذلك سر إعجاز القرآن ، إن التعبير باسم الموصول عام الدلالة تتحدد دلالته بصلته التي تتمثل في الجملة الفعلية بعده ،

---

1) سورة محمد الآية : 1.

2) محمد علي الصابوني ، صفوة التفاسير – جـ3 ،ط التاسعة ، دار الصابوني القاهرة ، ص : 206،

3) أبي الطيب صديق بن حسن – فتح البيان في مقاصد القرآن – ص : 47.

4) أبي جعفر جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن مج13، دار الفكر – بيروت ، لبنان، ص: 38

ذلك أن اسم الموصول [اجتلب ليكون وصلة إلي وصف المعارف بالجمل . فيتوصل باسم الموصول إلي بيان الاسم من غيره بالجملة التي بعده. فلولا اسم الموصول لم يتوصل إلي ذلك)[1].

فجملة الصلة في مقام النكرة ، وأشار إلي ذلك عبد القاهر الجرجاني بقوله : (إن الجمل نكرات كلها بدلالة أنها تستفاد وإنما يستفاد المجهول دون المعلوم)[2]. فإن اسم الموصول فيه شيء من دلالة العموم ، لذلك جاز وصفه بجملة الصلة التي بدورها تساعد في مرونة توافقها مع أي معني ولا يتأتى ذلك إلا بأمر قد جرى من قبل فتخصص عند السامع بقصة ، فأجتلب اسم الموصول ليربط .

فالبداية باسم الموصول ، تبقى جملة الصلة هي المعنى الموضح الداعم لتلقي المستمع ، فاسم الموصول ذو دلالة مثيرة لانتباه المتلقي ، ثم تأتي جملة الصلة الركن الأساسي في بيانه ، غير أن هذه الجملة لا تدل علي ذلك بمعزل عن الضمير الرابط العائد علي اسم الموصول ، فالضمير رابط أساسي في تحديد المعنى ، بل أنه يمثل العمود الفقري في الكلام . لان سياق الكلام يتوقف عليه، مع تنوعه في انتشار دون إحداث لبس أو خلل. فهو رابط في كل جملة لها علاقة بالمعنى بوظائف مختلفة، كجملة الصلة وجملة الخبر وجملة جواب الشرط.. الخ.

فإذا أمعنا النظر في الروابط المستخدمة في الآية السابقة نجدها الضمير، والواو العاطفة وحرف الجر[عن] . أّما الواو فرباطها محدود ، بزيادة معنى من المعاني ، فلما ذكر معنى الكفر وأراد زيادة معنى الصدّ عن سبيل الله استخدم رابط

---

1) عبد القاهر الجرجاني : دلائل اعجاز القرآن – ص : 139.

2 المرجع السابق : ص : 139.

[الـواو] وتنتهـي مهمتهـا ، ويبـدأ رابـط أخـر متمثـل فـي حـرف الجـر [عـن] لتعديـة الفعـل [صـدّ] لبيـان جهـة الصـدّ ، وهـي [سـبيل الله] و بهـا يتحـدد معنـى فـي ذهـن السـامع [محـدد المعـالم] محكـوم عليـه. غيـر أن السـامع يظـل فـي حالـة تشـوق لمعرفـة المحكـوم بـه علـى هـذا المعنـى المحـدد العـالق بذهنـه ؛ لا يهـدأ لـه بـال إلا بعـد ذكـر جملـة الخبـر [أضّـل أعمـالهم] ، فـالرابط فيهـا الضـمير [هـم] فـي [أعمـالهم] . فالضـمائر المسـتخدمة هـي ضـمير الغائـب ، واو الجماعـة فـي الأفعـال [كفـروا – صـدّوا] ، والضـمير [هـم] فـي [أعمالهم] وعائد هذه الضمائر واحد هو اسم الموصول [الذين] .

ويبقـى هنـاك ضـمير مسـتتر فـي [أضّـل أعمـالهم] للغائـب جـدير بالبحـث ، جـاء فـي صـفوة التفاسـير المقصـود بالأعمـال ، أعمـال الـذين كفـروا التـي عملوهـا فـي كفـرهم مـن صـلة الأرحـام وقـرى الأضـياف و حفـظ الجـوار ، إن الله أبطلهـا وجعلهـا ضـائعة لا ثـواب لهـا ، لأنهـا ليسـت لله) [1]. وقـال الضـحاك أبطـل كيـدهم ومكـرهم بـالنبي (صـلى الله عليـه و سـلم) أنـه سـبحانه ، حكـم ببطلانهـا فـلا يـرون لهـا فـي الآخـرة ثوابـاً ويجـزون بهـا فـي الـدنيا مـن فضـله)[2]. وقيـل (أضّـل أعمـالهم) جعـل الله أعمـالهم ضـلالاً علـي غيـر هدى وغير رشاد لأنها عملت في سبيل الشيطان وهي علي غير استقام)[3].

مـن خـلال التفاسـير السـابقة نلاحـظ أن هنـاك ضـميراً مسـتتراً فـي الفعـل [أضّـل] تقـديره [هـو] أختلـف المفسـرون فـي مرجعـه . فبعضـهم بـيِّن أنـه عائـد إلـي الله لفظـاً ومعنـي ، أو إلـي النبـي (صـلى الله عليـه و سـلم) فـي المعنـى ، بأنـه أبطـل بـالنبي العمـل الـذي يقومـون بـه ، ويحتمـل أنـه يرجـع للعمـل نفسـه ، فلـو ذكـر (الاسـم الظـاهر) بعـد

---

1) محمد علي الصابوني ، صفوة التفاسير – ج3 ، ص : 206.

2) أبي الطيب صديق بن حسن ، فتح البيان في مقاصد القرآن ، ص : 47.

3) أبي جعفر جرير الطبري ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ص : 38.

الفعل (أضّل) لأنتهي تحقيق كل تلك الدلالات ، وانصرف ذهن السامع إلي كيفية ضلال أعمالهم ، فباستتار الضمير يظل الفاعل المقدر هو (الله) في ذهن السامع مع احتمال مرجعيات أخري كما ذهب إليها المفسرون.

فهناك ملاحظتان أن الضمائر تتداخل في سياق الكلام بمرجعيات مختلفة بصورة متباينة دون أن تحدث خللاً معنوياً ، أو تنافراً في اللفظ ، يأنس لها السامع ، وأن الربط بها بروح المعني .

ذلك أن الضمير عندما اتصل بالفعل ((كفروا، صدوا)) دّل علي تجدد المعني وتكراره. وعند استتاره في الفعل [ضّل] دلّ علي احتمال أكثر من عائد أو مرجع، باتصاله بالاسم دلّ علي (الملكية) ، فالضمير من ناحية ساعد علي تحديد المقصود بالمعرفة ، في الذهن بمعاونة اسم الموصول ، فلو عبِّر بالمعرفة مباشرة [الكفار] لأنتفى معنى التجدد ، واحتمال معنى يثير ذهن السامع ، وزاد من التعقيد اللفظي والمعنوي بتكرار اللفظ . فالضمير رابط في جميع مراحل الكلام بدءاً ومروراً بأحداثه ومواقفه انتهاءًبالنتائج في رباط محكم . وهذه الخاصية نجدها تتكرر في آيات لاحقة دون تكرار للمعني يهرب منه ذهن السامع، بل نجده في حالة من التشويق لمعرفة ما جدَّ من معني يسهل عليه تمييزه وترتيبه في ذهنه.

من ذلك قوله تعالي : [أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ][1]

ذكر القرطبي أن الهمزة للتقرير ، والتقرير يكون حال كون المخاطب شاهدٌ [وهم العامة من الناس] . بإثارة الانتباه، أي َمن كان علي ثبات ويقين، قال ابن

---

1) سورة محمد الآية 14.

عباس: المقصود هو محمد (صلى الله عليه و سلم) والذي زين له سوء عمله (عبادة الأصنام) هو أبو جهل والكفار ومن خلفهم الشيطان)[1].

وفي جامع البيان .(من كان علي برهان وحجة وبيان من ربه ، والعلم بوحدانيته ويعبده علي بصيرة منه ،بأن له رباً يجازيه علي طاعته الجنة وعلي إساءته ومعصيته إياه النار ، كمن حسّن له الشيطان قبيح عمله وسيئه فرآه جميلاً ، فهو علي العمل به مقيم ، وأتبعوا ما دعتهم إليه أنفسهم من معصية الله وعبادة الأصنام والأوثان من غير أن يكون عندهم بما يعملون من ذلك برهان وحجة ، وقيل أن المقصود من الأول الرسول نبينا محمد . والذي زين لهم المشركون)[2].

وجاء في فتح البيان الهمزة للإنكار ، والفاء عاطفة علي مقدر كنظائره (أنه لا يستوي من كان علي يقين من ربه وحجة وبرهان من عنده مع من زين له سوء عمله وهو عبادة الأوثان ، والإشراك بالله والعمل بمعاصي الله أي لا مماثلة بينهما)[3].

من الملاحظ أن ثلاثة المفسرين اتفقوا في روح المعنى العام ، غير أنهم اختلفوا في تحديد المقصود باسم الموصول ، فالأول والثاني أشارا إلي أن الذي علي بينه هو النبي (صلى الله عليه و سلم) واختلفا في الذي زين له الشيطان . قال القرطبي أنه أبو جهل أما صاحب جامع البيان فقال:(أنهم هم المشركون) ، وفي فتح البيان لم يحدد بل جعل المعني عاماً .

إن استخدام اسم الموصول العام [مَنْ] للحالين جعل اللفظ يحتمل أكثر من معنى ، لذلك لجأ إلي رباط الضمير الهاء المضافة إلي الاسم [ربه – سوء عمله]

---

1) محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي : الجامع لأحكام القرآن . مج8 – ط الثانية ، 1996م- دار الحديث ، القاهرة – ص : 227.

2) أبي جعفر جرير الطبري ، جامع البيان ،مج 13 ، ص : 48.

3)أبي الطيب صديق بن حسن ، فتح البيان ، جـ 13 ، ص : 58.

بصيغة المفرد لتوضيح المعني المقصود من اسم الموصول . غير أن دور الضمير لا يقف عند هذا الحد، بل يظهر الضمير نفسه بصيغة الجماعة [وأتبعوا أهواءهم] . فكأنما يشعر السامع أو المتلقي أن هناك لبس، لكنه يستدرك عندما يجد أن الضمير عائد إلي اسم الموصول ، ويتوافق معه.بالنظر إلي معناه تارةٌ أخري إلي لفظه . وذاك ما أشار إليه أحد المفسرين أنه روعي في هذين الضميرين [أتبعوا أهواءهم] معني [مَنْ] كما روعي لفظ (مَنْ) فيما قبلهما [ربه – سوء عمله] .

فهناك روابط أخري ، تظهر من خلال السياق كالفاء ، وحروف الجر (علي ، من ، الكاف ، اللام) تظهر في الكلام بمهام محددة ولا تغوص في المعني إلا بقدر دلالة المفردة . فهي تقصر عما يختص به الضمير في امتزاجه في كل معني ، ويستخدم بلفظ واحد ولكنه يذهب مع كل معني . [وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ][1]

المعنى: الذين جمعوا بين الإيمان الصادق والعمل الصالح، فالإيمان درجة والعمل الصالح درجة ، فلا يتم إيمان بدون عمل، ثم يضيف وصدقوا بما نزل الله علي نبيه محمد تصديقاً جازماً . وهو عطف الخاص علي العام [وهو الحق من ربهم] ، جملة لتأكيد المعني السابق أي أنه كلام الله ووحيه المنزل من عند اللهفنتيجة ذلك كفّر عنهم ومحا عنهم ما مضي من الذنوب. والأوزار وأصلح شأنهم وحالهم في دينهم ودنياهم .

---

1) سورة محمد - الآية: 2

واستخدم في بيان المعاني السابقة الواو العاطفة . في زيادة المعني بعطف جملة صلة الموصول علي جملة أخري ، فالإيمان مقرون بالعمل الصالح ، الإيمان الذي جاء به محمد ، فالواو جاءت لبيان درجات إيمانية ، وليست كما درج عليه المفسرون وإنها عطف الخاص على العام ، فزيادة المعنى هي المستفادة من هذا العطف ، باعتماد العامل الزمني في ترتيب الإيمان والعمل الصالح ، والإيمان بالذي أنزل علي محمد .

ثم استخدم رابطاً أخر وهو حرف الجر [عنْ ، الباء] في نطاق محدود بخاصية التعدية ، بوصل الفعل اللازم بمفعوله ، وكلها روابط حرفية يتخللها الرابط الاسمي الضمير في نطاق واسع . واو الجماعة في [آمنوا ، عملوا ، أمنوا] والضمير هم في [ربهم ، عنهم ، سيئاتهم ، بالهم] ، يعود إلي مرجع واحد هو اسم الموصول [الذين] ، ثم استخدم الضمير المستتر [هو] في نزَّل] مرجعيته إلي اسم الموصول العام [ما].

فالملاحظ في الضمير ، أنه من الروابط الاسمية يتميز بصفة التكرار والتنوع ، لإحداث نغمة صوتية تأنس لها أذان السامع دون خلل في المعني أو تعقيده ، أو ثقل في النطق في انسجام تام .

ومن جهة أخرى إذا قورن بالواو باعتبار أنها الرابط الذي يماثل الضمير في التكرار ، نجد أن الربط بالواو محدود ، أو محصور في ربط جملة بأخرى أو كلمة بأخرى ، بخاصية الجمع بينهما في الحكم بإضافة معني أخر. وأن تكرارها لا يزيد علي ثلاث مرات متوالية في الغالب ، دون أن يفصل الكلام إيقاع أخر.

أمـا الضـمير كـرابط يلاحـظ عليـه تعـدده بمراجـع مختلفـة فـي صـور متباينـة، فالضـمير ذو المرجـع الأول إذا تكـرر. تكـرر بإظهـار الضـمير وإبـرازه فـي ثبـات معنـاه واخـتلاف لفظـه ، أو العكس بانسـجام تـام مـع مـا يـدخل عليـه مـن لفظ ، سـواء كـان اللفظ اسـما أو فعـلا أو حرفـا مـؤثرا فيـه و متـأثرا بـه. وإذا تخلـل ذلـك الضـمير ضـمير أخـر بمرجـع أخـر ، تكـرر ذلـك بضـمير مسـتتر فـي الغالـب محـدثا بـذلك إيقاعـا متناغمـا يجعـل السـامع أكثـر تركيـزا وانتباهـا. فالضـمير (واو الجماعـة ، هـم) فـي (آمنـوا – عملـوا – ربهـم – عـنهم – سـيئاتهم – بـالهم) ضـمائر ظـاهرة مرجعهـا واحـد هـو اسـم الموصـول (الـذين) بينما الضمير المستتر (هو) في [كفّر – أصلح] عائد الي اللفظ (رب) .

يقـول الـدكتور عبـد الله الطيـب : إذا كـان التكـرار هـو إعـادة الوحـدة التـي بـدأت بهـا علـي نظـام مخصـوص ، فهـذا التنـوع أن تسـتبدل الوحـدة بعـد فتـرة بوحـدة أخـري متباينـة لهـا شـيئا يسـيرا تعيـد هـذا النسـق فيمـا بعـد . فيكـون الحاصـل وحـدة زخرفيـه قـوام الوحـدة فيهـا هـو التكـرار. وقـوام الانسـجام فيهـا التنـوع ، وانطوائـه فـي سـجل التكـرار) [1] . فسرُّ الانسـجام كلـه ؛ إنَّمـا هـو التكـرار والتنـوع ، فـالتكرار يمثـل البعـد الزمنـي والتنـوع يمثـل البعـد المكـاني . وهـذه الخاصـية لا تتـوافر إلا فـي الضـمير ، فـإذا كـان التكـرار الغـرض الرئيسـي منـه هـو الخطابـة ، ويعنـي بهـا أن يعمـد المتحـدث إلـي تقويـة ناحيـة الإنشـاء ، فـي إثـارة العواطـف كالتعجـب ، و الحنـين ، والاسـتغراب إلـخ . فـان تـأثير الضـمير نفسـياً في السامع الغالب ، لأنه يلازمه في كل مواقفه حال دخوله لأي نص من النصوص .

1) د/ عبد الله الطيب . المرشد إلي فهم إشعار العرب . ص : 127.

يقول تعالى ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ[1] .

يعقب المولى عز وجل علي ما سبق من تلك المعاني ، برباط اسم الإشارة، أي مثل ذلك البيان الواضح ، بيَّن الله أمر كل من الفريقين، الكافرين والمؤمنين، بأوضح بيان، فإن إضلال أعمال الكفار بسبب أنهم أتبعوا طريق الضلال ، واختاروا الباطل علي الحق . أتبعوا الشيطان وأطاعوه ، وأن المؤمنين أتبعوا طريق الهدى وتمسكوا بالحق والإيمان المنزل من عند الله على محمد (ρ) ، وما جاءهم به من عند الله من النور والبرهان . وقيل (الباطل الشرك والكفر، والحق التوحيد والإيمان)[2].

في معرض المقارنة بين الفئتين ، لابدّ أن يكون هناك بيان أكثر تحديدا ، ليتوافق مع التعقيب علي الكلام السابق . لذلك جاء برابط اسمي ، له من الخصائص المعنوية ما تجعله يتوافق مع الرابط الرئيسي [الضمير] من ناحية ، ومن ناحية أخري يلفت انتباه وذهن السامع . ليقوم بأداء الربط بوجه كامل ، ولمرة واحدة في كلمة [ذلك]، اسم إشارة بما فيه من إضافات، لام البعد والكاف. فالإشارة سبب في تكرار اسم الموصول وصلته [بأن الذين كفروا – بأن الذين أمنوا] لبيان نتائج تلك المقارنة ، حتى تكون جلّية ، فلو استخدم لفظ [الكافرين] و[المؤمنين] ، محل الموصول وصلته، لقصرت الدلالة لافتقارها الحركة والحيوية والتجدد ، الناتجة عن جملة الصلة المسندة إلي ضمير الغائب واو الجماعة ، فالصلة تدل علي المعني والتجدد ، والضمير يحدد ويعين . مثل ذلك قوله تعالى : [كذلك يضرب الله للناس أمثالهم] . أنتهي البيان إلي

---

1) سورة محمد. الآية: 3.

2) أبي الطيب صديق ، فتح البيان في مقاصد القرآن ،جـ 13 ، ص : 49 .

أذن السامع ، وعقله ليختار إحدى الفرقتين ، فاستخدام الكاف للتشبيه في معني بديع، مثل ذلك يبين الله للناس أحوال الفريقين ، الجارية مجري الأمثال في الغرابة.

جاء في جامع البيان في تأويل آي القرآن (كما بينت لكم أيها الناس فعل كل فريق، الكفر والإيمان كذلك نمثل للناس الأمثال، ونشبه لهم الأشياء فنلحق بكل قوم من الأمثال أشكالاً)[1].

فهذا المعنى الوافر العميق ناتج عن إضافة ضمير الغائب [هم] لكلمة [أمثال] فأغنت بذلك عن التكرار ، وتناغمت مع دلالة اللفظة المتصلة بها ، في توافق تام وبيان كل نوع من الفريقين مؤذنة بنهاية هادئة لطيفة ، بالتعاون مع رابط اسم الإشارة ليسهل بذلك ، الانتقال بالمخاطب أو السامع من الغيبة إلي الحال والدخول إليه مباشرة بعد أن افهمه وفتح العلائق . قال تعالي فَإِذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ][2] .

من الملاحظ في هذا الموقف الذي تحول فيه حال الكلام بالانتقال من الغيبة إلي الخطاب. تنوعت فيه الروابط ، وتعددت في ثورة متلاحقة متعاونة بعضها البعض لبيان المعاني الواردة.

فالله تعالى يخاطب أهل الإيمان بقوله: إذا لقيتم الذين كفروا بالله من أهل الشرك فأضربوا رقابهم، أي أقصدوا ضرب الرقاب ، وخصّ الرقاب بالذكر ؛ لان القتل أكثر ما يكون بقطعها. فالتعبير بها فيه من الغلظة والشدة ما ليس في القتل حتي إذا

---

1) أبي جعفر جرير . جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، مج 13 ، ص : 40.

2) سورة محمد. الآية:4.

غلبتموهم ، وقهرتم من لم تضربوا رقبته منهم ، فصاروا في أيديكم أسرى ، فالأمر بشدّ الوثاق وهو الحبل والقيد ، لئلا يفوتوا وينفلتوا ، أي إذا بالغتم وأكثرتم القتل فيهم ، فأمسكوا عنهم وأسروهم و أحفظوهم بالوثاق، (فإمّا منّاً بعد إمّا فداء) ، والمنُّ الإطلاق بغير مقابل ، والفداء ما يفدي به الأسير نفسه من الأسر. وبها بيّن الله سبحانه وتعالي منهج الطريق في قضية الأسرى مراعياً فيه مصلحة الأمة ، من الناحية المعنوية ، والمادية ، فالمصلحة المعنوية تتمثل في اثر المن وهو ما لا يدركه المخاطب ، لأنه متعلق بالغيب الذي يضمر خفايا . بينما المصلحة المادية تتمثل في الفداء. فأثره قريب من المخاطب ، وكلاهما مقيد بزمن معين (حتى تضع الحرب أوزارها) أي آلاتها وأثقالها . والمعني أن المسلمين مخيرون بين تلك الأمور ، إلي غاية هي أن تكون حرب مع الكفار ، حتى يؤمنوا ويذهب الكفر. ذلك ولو يشاُء الله لأنتصر منهم ، أي أن الله قادر علي الانتصار منهم ، وإهلاكهم بمشيئته بالخسف أو الرجفة ولكن فعل ذلك ليختبر . فيعلم المجاهدين في سبيل الله ، والصابرين علي ابتلائه ويجزل ثوابهم ، ويعذب الكفار بأيديهم ، وأن المجاهدين في سبيل الله ثوابهم غير ضائع ، وأنّ المقتولين يعطيهم الثواب في الآخرة بدخول الجنة [ويدخلهم الجّنة عرَّفها لهم] ، وجملة عرفها لهم مستأنفة أو حالية أي بّينها لهم ، حتى عرفوها من غير استدلال فتفرقوا إلي منازلهم.

هذه المعاني التي وردت في سياق الآيات الكريمات ، ربطت بينها روابط متعددة ، بعضها ذكر مكرراً بلفظه مع اختلاف معناه ، كالفاء الرابطة لجواب الشرط، والفاء العاطفة وذلك لخصائصها في الإفادة منها ، عند تحول الكلام من

موقف إلي موقف أخر ، لخفتها وسهولة النطق بها لتدل علي تلاحق الكلام [فإذا لقيتم – فضرب – فشدُّوا – فإمّا] جاء في تفسير فتح البيان عن (الفاء لترتيب ما في حيزها من الأمر علي ما قبلها ، فإنّ ضلال أعمال الكفرة و خيبتهم وصلاح أحوال المؤمنين ، وفلاحهم ممّا يوجب أن يترتب علي كل ذلك من الجانبين ما يلحق به من الأحكام).[1]

ثم تأتي الواو العاطفة ، لأن الواو لا تجيء حتى يكون المعني في هذه الجملة وفقا لمعنى في أخري ،ومضافاً له ، ثم يأتي بحتى للغاية لتبين منتهى الكلام في هدوء وكلها روابط حرفية .

وقد استخدم من الروابط الاسمية ، اسم الإشارة [ذلك] وضمير الخطاب والغائب . فالإشارة من المعارف التي تعين وتحدد المقصود بالإشارة الحسية، إن كان المشار إليه حاضراً ، أو بالإشارة المعنوية ،إن كان المشار إليه معنى أو ذاتاً غير حاضرة . لذلك عندما ترد في سياق القرآن تأتي لربط ما تقدم مع ما زيد بعدها ، أو تعقيب دلالي قابل للإيحاء بأكثر من معنى ، فقد أختلف في تفسيرها كثير من المفسرين.

قيل: معناها الأمر ذلك، وقيل ذلك حكم الكفار، وقيل أفعلوا ذلك)[2]. فاختلاف التأويل دلالة علي توافق هذا الرابط مع الضمير وانسجامه معه للصلة الوثيقة بينهما من حيث المعني والاستعمال، وقد أشار إلي ذلك د. محمد حسين صبره في بحثه (مرجع الضمير في القرآن (أن ضمير الغائب قد استعمل استعمال اسم الإشارة في

---

1) أبي الطيب صديق بن حسن بن علي الحسين. فتح البيان ، جـ13 – ص : 46 .

2) ابي الطيب صديق بن حسن بن علي الحسين، فتح البيان : ص : 46.

القرآن الكريم ، لما بينهما من صلة من حيث البنية والاستعمال والمعني، نحو قوله تعالي : (... وَآتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ ۚ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا)[1] . فالضمير في (أنه) عائد إلى الأكل لقربه ، ويجوز أن يعود علي التبديل ، أو عليهما جميعاً كأنه قيل [إن ذلك] . وضمير الغائب حينما يستعمل استعمال اسم الإشارة ،نجد أن المرجع غالباً ما يكون متعدداً)[2]. فهما من الروابط الاسمية ، غير أن الضمير يختص بأمور لا تتوفر في اسم الإشارة ، بأّنه يتكرر في سياق الكلام بمراجع متعددة، وأن الربط به يتخلل جميع مناحي الكلام ،لربط المعني بالأخر رباطاً وثيقاً ، في الإشارة إلى معنى سابق ، بحقل دلالي لاحق . وما يؤكد ذلك الكاف الدالة علي المرتبة والبعد .

و هناك رابط اسمي ثالث [إذا الشرطية] . تختص بدلالة الزمن المستقيل ما يجعلها مناسبة للمقام ، فهي أداة ربط لجملة الشرط . والجواب ، وقد تخللها الضمير بهيئة تلائم الحال ، فجاء بضمير الخطاب في (لقيتم) ، إشارة إلي أهل ، الإيمان فيظهرهم بهيئة مليئة بالحركة والحيوية ، وبسمعهم في حسن الإصغاء . وما بين ضمير الخطاب وضمير الغائب في (كفروا) اسم الموصول (الذين) كمرجع لضمير الغائب [واو الجماعة – هم] في (أثخنتموهم ، منهم) فينشأ حوار بينهما وضمائر الخطاب [لقيتم – أثخنتموهم – فشدوا – ليبلوكم – بعضكم] ، ثم يعطف عليها بالواو [الذين كفروا ،لتكون مرجعاً لضمير جديد [أعمالهم] في انتقال معنوي لطيف دون إحداث خلل في اللفظ أو المعني علي السامع .

---

1 النساء:2 .

2) د. محمد حسين صبره ، مرجع الضمير في القرآن . ص : 13 - 14

أو في حالة المقارنة وإضافة معني جديد [والذين اهتدوا زادهم هدي وأتاهم تقواهم].

أما الفاء العاطفة فلربط جملة بجملة بينهما علاقة معنى فهل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة فقد جاء أشراطها فأنى لهم إذا جاءتهم ذكراهم فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات والله يعلم متقلبكم ومثواكم] [1].

فالربط بالواو أو الفاء يكون عند الانتقال من موقف إلي أخر ، أما الربط بالضمير فيكون بروح المعنى علي كثرتها ولا يمكن الاستغناء عنه بغيره وقد جيء به لحماية الكلام من التعقيد ، اللفظي والمعنوي ، وما يؤكد ذلك التعبير بضمير الغائب ذي المرجع المحدد الواضح للسامع في كثير من تعبير الكلام فلا يرجع إلي ضمائر الحضور ، إلاّ في حالة التوجيه المباشر من رب الكون لعباده ، أو تكليف يخص الأمة ، أو نقل الكلام إلي موقف الحال ، وعند ذلك يبقي ضمير الغائب عالقاً بالذاكرة لدي المخاطب قريباً منه . حتى يتذكر موقف الفريق الأول .

فعند المقارنة بين الفريقين ، يستغنى باسم الموصول ، وصلته مسبوقة بواو العطف وقد تكرر أكثر من مرة [والذين قتلوا]. وفيها جملة الصلة مسندة إلي ضمير الغائب، العائد علي الاسم الموصول ، فيصبح القتل سمه تصيب الفريقين فلا يفرق بينه إلاّ الجار والمجرور متعلق القتل (في سبيل الله).

ليتجدد المعنى المقصود به. ثم يتواصل الكلام برباط ضمير الغائب العائد علي الاسم الموصول المحدد ، [أعمالهم – سيهديهم – بالهم – يدخلهم – لهم]. بفواصل تلقائية لا تكلف فيها ، لها جرس موسيقي . يوازيه ضمير مستتر عائد علي لفظ الجلالة [الله]، أقوي المعارف مسند إلي الفعل المضارع ليدل علي الحدث المتجدد

---

1) سورة محمد : الآية (18 – 19).

حالاً أو مستقبلاً [يضل – سيهدي – يصلح – يدخل – عرّف]. فوجود ضميرين بمرجعيات مختلفة في سياق واحد ، أحدهما ظاهر والأخر مستتر ،يجعل الكلام حياً برباط وثيق يشد السامع إليه مع إحداث نغمة كلامية تأنس لها النفس ويطمئن لها الإفهام . وإذا ورد ضمير ثالث أنتهي في نطاق محدود بمرجعية نحو [الجنة عرفها لهم].

ومثل ذلك قوله تعالى:وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ *أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ][1] . اللهسلّى رسوله الكريم بقوله : (أي كم من قرية عاتية ظالمة كانوا أقوي من أهل مكة ، الذين أخرجوك منها أهلكناهم بأنواع العذاب فلم ينصرهم أحد ، فكذلك نفعل بهؤلاء ، هل من كان علي حجة وبصيرة وثبات ويقين من أمر دينه ، كمن زين له عمله القبيح وانهمكوا في الضلال حتي عبدوا ألهوى)[2].

التعبير عن القرية بالنكرة لإفادة العموم، وكأين بمعني كم ، لإفادة الكثرة. وضمير الغائب [هي] العائد علي لفظ [قرية] ثم اسم التفضيل [أشدّ]، المسند إلي ضمير مستتر يعود علي القرية ، كلها معينات لنقل الكلام من مقام إلي مقام، فلو حذف الضمير[هي] من السياق لأصبح الكلام لا معني له. فالضمير معرفة والمفاضلة لا تكون إلاّ لشيء معروف ، فالقرية بمرجع الضمير صارت أمام السامع ماثلة في ذهنه ، ثم ينتقل باسم التفضيل نقلة معنوية من مقام الغائب إلي مقام الحاضر ، بفضل خصائص اسم التفضيل الذي يصلح لأي مقام ، والضمير رابط للحالين ، لذلك جاء بضمير الخطاب المضاف إلي قرية [قريتك] ليقوم بوظيفتين،

---

1) سورة محمد : الآية (13 - 14).

2) محمد علي الصابوني . صفوة التفاسير . ج3 . ص : 208 .

وظيفة الربط ،ووظيفة نقل الكلام من سياقه القصصي [باستخدام ضمائر الغياب إلى سلاسة الواقع] .ثم ربطها وصفاً باسم الموصول [التي] وصلته التي تحدد القرية. بإضافتها إلي ضمير الخطاب ، ثم تأتي جملة الخبر بإسنادها إلي ضمير المتكلم المعظم نفسه [أهلكناهم] والضمير (هم) العائد إلي معني القرية، فلفظ القرية ، استخدم وعاد إليه ضمير الغائب بصيغتين: النظر إلي لفظه المفرد[هي] والنظر إلي معناه ، فعاد إليه بضمير الجماعة . [أهلكناهم][لهم]. ثم جاء لفظ القرية مضافاً إلي ضمير الخطاب ، قريتك ليبين أن القرية الثانية غير القرية الأولي. ليعود عليها الضمير المستتر للغائبة[هي] في أخرجتك.

فالملاحظ تكرار ضمير الخطاب بلفظه ومعناه دون تغيير لتأكيد المفعولية . ويظهر ضمير المتكلم في نطاق محدود ، ولمرة واحدة لتأكيد القدرة الإلهية . ذلك أن الضمير يضع الكلام في سياق الحال في صورة بديعة ماثلة أمامنا. فهناك متكلم ، وهناك مستمع ، وهناك كلام منقول ، تظهر ثلاثتها في حال التكلم دون إحداث خلل لفظي أو معنوي.

إن وجود ضمير المتكلم والمخاطب في الإطار الزماني المتمثل في الماضي والحاضر دلالة علي واقعية الكلام ، فإنه لا يؤدى بضمير واحد كضمير الغائب ذي المرجع المعروف ، فلا بدّ من تداخل ضمائر الحضور ، سواء كانت للخطاب أو للمتكلم . يعينه في هذه المهمة التمهيد بأداة تثير انتباه السامع ونقله من مشهد الغيبة إلي مشهد الحضور ، وذلك لمميزات الضمير الذي يستخدم كأداة ربط للكلام والظرف

الزمـــاني والمكـــاني. [تنصـــروا – ينصـــركم – أقـــدامكم]، لـــربط المعنـــي بـــالواقع. يوازيـــه ضمير مستتر للغائب يعود مرجعه إلي لفظ الجلالة الله [ينصركم – يثبت].

كمـا فـي قولـه تعـالى:[أَيُّهَـا الَّـذِينَ آمَنُـوا إِن تَنصُـرُوا اللَّهَ يَنصُـرْكُمْ وَيُثَبِّـتْ أَقْـدَامَكُمْ وَالَّـذِينَ كَفَـرُوا فَتَعْسـاً لَّهُـمْ وَأَضَـلَّ أَعْمَـالَهُمْ ذَلِكَ بِـأَنَّهُمْ كَرِهُـوا مَـا أَنـزَلَ اللَّهُ فَـأَحْبَطَ أَعْمَـالَهُمْ أَفَلَمْ يَسِـيرُوا فِـي الْأَرْضِ فَيَنظُـرُوا كَيْـفَ كَـانَ عَاقِبَـةُ الَّـذِينَ مِـن قَـبْلِهِمْ دَمَّـرَ اللَّهُ عَلَـيْهِمْ وَلِلْكَـافِرِينَ أَمْثَالُهَـا ذَلِكَ بِـأَنَّ اللَّهَ مَـوْلَى الَّـذِينَ آمَنُـوا وَأَنَّ الْكَـافِرِينَ لَا مَـوْلَى لَهُـمْ * إِنَّ اللَّهَ يُـدْخِلُ الَّـذِينَ آمَنُـوا وَعَمِلُـوا الصَّـالِحَاتِ جَنَّـاتٍ تَجْـرِي مِـن تَحْتِهَـا الْأَنْهَـارُ وَالَّـذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ *][1] .

فالضـمير يقـوم بمهمـة الكـلام المنقـول نقـلاً مباشـراً ، يظهـر فيـه المتحـدث والسـامع، والكـلام المنقـول (المتحـدث عنـه) فـي الآيـة السـابقة هنـاك ثلاثـة ضـمائر ، هـي ضـمير الغائـب المسـتتر العائـد علـي لفـظ الجلالـة[الله] يمثـل المتحـدث وضـمير الغائـب الظـاهر ويمثـل المتحـدث عنـه ، أمـا المتحـدث إليـه فيظهـر فـي ضـمير الخطـاب الـذي في سياق الكلام في مواقف متباعدة .

الخطـاب للفئـة المؤمنـة، إنّ نصـرتهم مشـروطة بنصـرة الله ،[إن تنصـروا الله ينصـركم] علـي أعـدائكم ويثبـتكم فـي مـواطن الحـرب مقارنـة بالفئـة الكـافرة، لهـم الهـلاك والشـقاء والخيبـة، وقـد أبطـل أعمـالهم لأنهـا فـي طاعـة الشـيطان. بكـراهيتهم مـا أنـزل الله مـن الشـرائع والتكـاليف، وأطلقـوا العنـان للشـهوات، فشـق علـيهم ذلـك ، فـأحبط أعمـالهم وأضاعها لأن الإيمان شرط القبوللعمل .

---

1) سورة محمد . الآية (7- 12).

ثـم يلفـت نظـرهم : أفلـم يسـافروا حتـي يـروا مـا حـل بمـن سـبقهم مـن الأمـم الطاغيـة، عـاد وثمـود وقـوم لـوط وغيـرهم ، أهلكـم الله واستأصـل مـا يخصـهم مـن مـال وبنيـان، وغيرهـا، فلـم يبـق منهـا إلا أثـر الـدمار ، ولكفـار مكـة مثـل تلـك العاقبـة والـدمار ، وذلـك لأن الله مـولي المـؤمنين وناصـرهم ، وأنّ الكفـار لا مـولي ولا ناصـر لهـم ولا معـين ولا مغيـث ، فمـآل المـؤمنين الجنـة فيهـا كـل مـا لـذّ وطـاب ، أمـا الكفـار فـي الـدنيا ينتفعـون بشـهواتها و لذائـذها ، يـأكلون كمـا تأكـل الأنعـام ، لـيس لهـم همّ إلا بطـونهم وفـروجهم . (والمـراد أنهـم ينتفعـون بمتـاع الـدنيا أيامـاً قلائـل ، ويـأكلون غـافلين غيـر مفكـرين فـي العاقبـة ، كمـا تأكـل الأنعـام فـي مسـارحها و معالفهـا غافلـة عمـا هـي بصـدده مـن النحـر والذبح)[1].

ومزيـة ذلـك أن الكـلام عنـدما يكـون للفـت نظـر السـامع ، نـراه يسـتخدم ضـمائر ذات مراجـع قريبـة ، وغيـر متكـررة لتكـون أقـرب إلـي ذهـن السـامع دون كثيـر عنـاء [يسـيروا – ينظـروا – قـبلهم] عائـدة علـي [الـذين كفـروا] بينمـا الضـمير فـي [علـيهم] عائـد علـي [الـذين مـن قـبلهم] والضـمير فـي [أمثالهـا] عائـد علـي العاقبـة . فالضـمير يتناسـب مـع أي موقـف أو حـال بـدلالات متعـددة ، قـال الصـابوني فـي صـفوة التفاسـير : (إن لكفـار مكـة أمثـال تلـك العاقبـة الوخيمـة والعـذاب المـدمر، فاتصـال الضـمير بكلمـة [أمثـال] أعطـي كثيـراً مـن المعـاني علـي قلـة اللفـظ ، فإنـه دل علـي العاقبـة، ثـم تشـابه المـآل مـع اختلاف النوع ، وذلك في جمع كلمة مثل)[2]

---

1) محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير – ج3 . ص : 508.

2) محمد علي الصابوني ، صفوة التفاسير – جـ3 ، ص : 208.

كما أنه استخدم اسم الموصول وصلته كمعرفة بدلاً عن المعارف جميعها ، فهو يقوم مقامها ، (الذين كفروا] [الذين آمنوا][بأن الذين كفروا][إن الذين آمنوا][لقيتم الذين كفروا][والذين قتلوا] [يا أيها الذين آمنوا] [والذين كفروا] [عاقبة الذين من قبلهم] [الله مولي الذين آمنوا] [يدخل الذين آمنوا] [والذين كفروا].

إنّ العبارات السابقة خارج سياقها في النص لوحظ عليها التكرار ، ولكنها داخل النص لا تحس ذلك. فاسم الموصول [الذين] يتعدد باختلاف صلته لإضافة معني جديد ، كما أنّ الضمير العائد يختلف باختلاف جملة الصلة ، فكأنما العلاقة علاقة تبادل بين الضمير واسم الموصول ، فالضمير من الروابط النادرة التي تؤدي هذا الدور ، فإذا كان اسم الموصول يدل علي معيّن بواسطة جملة بعده تسمي جملة صلة الموصول ،فتكراره يزيد الكلام تنغيماً يأنس له السامع ، لأن اللفظ واحد والمعني مختلف بجملة الصلة ، ويظل الضمير ، هو الرابط الأصيل للمعني ، والمعين لاسم الموصول في التعبير عن أي معني ،وإذا أراد تعقيباً أو تفسيراً للمعنى استعان برابط أخر هو اسم الإشارة (أولئك) . فما السر في اجتماع هذه الروابط: الإشارة [أولئك] والموصول الاسمي [الذين] وضمير الغائب .

بالمقارنة بينهما نجد أن الربط بالإشارة محدود ، ويرد لمرة أو مرتين في السياق ، بينما الربط [بالذين] اسم الموصول يتكرر بصلته عندما يريد إضافة معني من المعاني ، غير أن الضمير يظل القاسم المشترك يتكرر في كل حين بمرجعية هي واحدة من الموصولات السابقة ، وبصورة واحدة دون إحداث اشتراك لفظي . وخلط في المعني .

وإذا نظرنا إليها باعتبار أنها معارف نجد ثلاثتها لا يتم التعريف بها إلا عبر وسيط. فالإشارة بوسيط الإشارة الحسية أو المعنوية. أمّا الموصول فبوسيط لفظي (جملة الصلة) . أمّا ضمير الغائب فبواسطة مرجع سابق له . فهذه الوسائط لعلّها ما جعلت هذه الروابط تتميز عن غيرها، فهي متشابهة في الوظيفة والعمل.

لذلك صلحت للتعبير عن الحقول الدلالية الطويلة والقصيرة، فقد يظهر الضمير واسم الموصول ،أدوات ربط لجمل قصيرة مربوطة بالسياق العام ربطاً معنوياً سببياً . مثل قوله تعالي:[مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ][1].

الآية ذات رباط معنوي بما قبلها ، فبعض المفسرين ذكروا أنّه لما قال الله تعالي : [إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات وصف تلك الجنة . أي وصف الجنة المعدة للمتقين][2]. و بعضهم ربط المعني بصلة الموصول (التي وعد المتقون) ، وهم الذين اتقوا في الدنيا عقابه بأداء الفرائض ، أي صفة الجنة التي وعد المتقون مستأنفة لشرح محاسن الجنة .

فالجنة مربوطة بالضمير العائد، المتصل بحرف الجر الدال علي الظرفية [فيها]. ثم يليها بالواو الدالة علي الاشتراك لزيادة معني جديد، بجمل قصيرة ذات إيقاع [وانهار... وأنهار] يتخللها ضمير ذو مرجع قصير ، لتوضيح معني يشك أنه يخلط علي السامع [لبن لم يتغير طعمه]. فالضمير الهاء في كلمة[طعم] يدل علي

---

1) سورة محمد : الآية (15).

2) محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن مج 8 ، ص : 229 .

الخصوصية ، لبيان صفة اللبن [لأنه لم يحلب من حيوان فيتغير طعمه بالخروج من الضروع ، ولكنه خلقه الله ابتداء من الأنهار ، فهو بهيئته)[1].

وعند الانتقال من معنى الأنهار في أربعة جمل متكررة ، جاء بضمير الأول وصل بلام المِلْك (لهم) والأخر وصل بحرف الجر (فيها) ومرجع الضميرين في بداية الآية هما [المتقون] والجنة] دون لبس. في إيجاز تأنس له الأذن ورباط يدركه العقل.

ويتواصل النص القرآني بتعدد الخيرات ، وهي الثمار المستفادة من كل نوع، فعند ذكرها أطلقها بأريحية برباط الواو والضمير دلالة علي طول النفس والراحة.

غير أنه في سياق ذكر أهل النار أقتضب اللفظ بالجمل المحصورة الدالة علي الاختناق معبِّراً عن ذلك بضمير يعود علي اسم الموصول العام [مَنْ] ليعود الضمير [هو] إلي اللفظ ، والضمير [واو الجماعة – هم] في [سقوا – أمعاءهم] عائد إلي المعني في مجال ضيق، وهو ما يمتاز به الضمير.

أتفق المفسرون في أنّ المقصود من الضمير [هم] في قوله: (ومنهم من يستمع إليك...) هم جماعة المنافقين ، بدليل يستمع إليك أي من هؤلاء المنافقين جماعة يستمعون إلي حديثك يا محمد ، حتى إذا خرجوا من عندك قالوا ماذا قال آنفاً]. فهم في بلادتهم وقلة فهمهم كانوا يجلسون إلي الرسول (ﷺ) يستمعون كلامه فلا يفهمون منه شيئاً ، فإذا خرجوا من عنده قالوا لأهل العلم من الصحابة ماذا قال الساعة ، أولئك الذين ختم الله علي قلوبهم بالكفر وأتبعوا أهوائهم وساروا وراءها .

وأما المؤمنون المتقون ، فقد زادهم الله هدي وألهمهم رشدهم.

---

1) أبي جعفر جرير الطبري ، جامع البيان مج 13 – ص : 49.

فهل ينتظر الكفار إلاّ قيام الساعة فجأة وهم سادرون غافلون ، فقد جاءت علاماتها فمن أين لهم التذكر إذا جاءتهم الساعة ؟

فقد يرد الضمير بلفظه المختصر دالاً علي اسم ظاهر ذكره يعيق انسجام النسق الكلامي، لذلك يؤتي به مفسّراً بجملة بعده ، لأداء ذلك الدور ، فالضمير [هم] في [منهم] يتكرر بعده اسم الموصول [مَنْ] بصلته الفعل المضارع المسند إلي ضمير مستتر تقديره [هو] عائد علي اسم الموصول [من] لبيان أنّ المقصود [المنافقين] دون أن تذكرهم صراحة . تمهيداً لضمير الخطاب [إليك] للدخول في زمن الحال ، لأنّه إن كان هناك استماع، فلا بدّ من مخاطب. فالحوار بين ضمير الغائب واسم الموصول وصلته وضمير الخطاب أسهم في بيان وتحديد الأخر ، وبيان المقصود به ، فضمائر الخطاب ذات دلالة حالية بينما ضمائر الغياب بمرجعيتها بينت المعني المقصود ، فقد يذكر الضمير وقد تقدمه أكثر من مرجع ولكن بتقديم كلمة أو تأخير أخري دل علي المقصود منه ، فالضمير واو الجماعة في [ينظرون] قد تقدمه (جماعة الشرك والنفاق) والأقرب منه الذين اهتدوا ، غير أن تقديم كلمة [الساعة] الدالة علي الهول والخوف بينت المقصود من الضمير وهم جماعة النفاق فلو ذكرت الآية [فهل ينظرون إلاّ أن تأتيهم الساعة] . أنتهى أثر الخوف ، وأصبح الضمير يقصد به المنافق والمؤمن . فالضمير كرابط يتلاءم مع سياق الكلام يتأثر به ويؤثر فيه في حالة التقديم والتأخير ، بل يحل محل المقدم ويدل عليه دلالة كاملة .

(فأعلم أنه لا إله إلا الله و استغفر لذنبك و للمؤمنين و المؤمنات و الله يعلم متقلبكم و مثواكم)[1] يقول تعالى لنبيه محمد (ﷺ) ، أعلم أنه لا معبود تنبغي له

1 - سورة محمد – الآية (19).

العبادة أو العبودية أو تصلح له إلاّ الله . الذي هو خالق الخلق وأسال ربك غفران سالف ذنوبك ، وذنوب أهل الإيمان معك من الرجال والنساء فإن الله يعلم منصرفكم فيما تتصرفون فيه في يقظتكم من الأعمال ، ومثواكم إذا ثويتم إلي مضاجعكم للنوم ليلاً ، لا يخفي عليه ذلك وهو مجازيكم علي ذلك .

استخدم في الآية السابقة ضمير الخطاب مستتراً في [اعلم – استغفر] وظاهراً متصلاً في [ذنبك] دالاً علي الملك. وذلك ما جعل المفسرين يكثرون الاجتهادات في كون المصطفي معصوم من الخطأ والذنب ، فقيل استغفر الله أن يقع منك ذنب ، وقيل استغفر الله ليعصمك ، وقيل استغفر الله مما ربما يقع منك من ترك الأولَى فخلافهم ليس في المقصود بالضمير ، وإنما في المعني المنسوب إليه .

وقد وردت الواو عاطفة للجمل ثلاث مرات، [وأستغفر - والله يعلم] وعلي تقدير عامل محذوف مع الضمير المستتر في [المؤمنين والمؤمنات]. فالضمير محذوف مع عامله [استغفر] علي نية ذكره ، فهو باقٍ في ذاكرة المتحدث والمخاطب، فالرباط بالضمير يخرج عن الإطار اللفظي، ويتصل بالهيئة الكلامية التي لا تتم إلاّ بثلاثة محاور متحدث ومستمع وكلام منقول.

فالضمير يقوم ببيان ذلك علي أكمل وجه ، وعند إضافة أي معني من المعاني يستعين برباط ، الواو والفاء لربط جمل اسمية أو فعلية يمثل الضمير فيها عاملا أساسيا ، فالجملة الاسمية تستخدم عادة لإثبات حقيقة من الحقائق . أّما الجمل الفعلية فلإفادة التجدد.

ويظهر ذلك جلياً في قوله تعالى:[وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ

الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَى لَهُمْ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ *فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ *أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ][1] .

إن بيئة هذه الآيات وما تلتها مدنية، ذلك أن القتال لم يشرع إلا في المدينة وأنّ النفاق لم يكن إلا بالمدينة)[2].

فالآيات بينت حال الفريقين، الفئة المؤمنة، وأمة النفاق فالمؤمنون المخلصون يقولون -اشتياقاً للوحي وحرصاً علي الجهاد وثوابه – هلا أنزلت سورة لا نسخ فيها. وكل سورة ذكر فيها الجهاد محكمة ، وهي أشدّ القرآن علي المنافقين . أما الذين في قلوبهم شك في دين الله وهم المنافقون فحالهم ينظرون إليك يا محمد نظر المغشي عليه الذي صرع من خوف الموت تجنباً للقاء العدو، فأولي لهم، تهديد ووعيد أي ويلهم المكروه.

إنّ المحاور الدلالية في الآية شملت تصوير جماعة النفاق، والاخبار عن أمة الإيمان ، و إمامها محمد (ﷺ) ، فما دور الضمير ؟

في معرض قوله الذين آمنوا عبِّر بلفظ [سورة] النكرة لإفادة العموم ، ثم وليها لفظ سورة موصوفة بكلمة محكمة ، بهذا التخصيص تكونت ملامح السورة في ذهن السامع ، فمن السهل إنابة الضمير عنها دون خلط في كلمة [فيها] بين السورة الأولي والثانية ، فهذا التقديم بلسان الذين آمنوا تمهيداً لفضح المنافقين الذين كني عنهم بقوله

---

1) سورة محمد الآيات(20 ، 21، 22 ، 23 ، 24 ، 25) .

2)أبي الطيب صديق ابن حسن القنوجي البخاري ، فتح البيان في مقاصد القرآن ، جـ 13 ، ص : 68.

(الـذين فـي قلـوبهم مـرض) وفـي يسـر يتنقـل بـه إلـي الخطـاب باسـتخدام رابـط شـرطي يحمـل مـن الأطـر الزمانيـة مـا يجعلـه مناسـباً ، وهـو كلمـة [إذا] الدالـة علـي الاسـتقبال ، والتـي يكتمـل معناهـا بـركنين جملـة الشـرط [أنزلـت]وجملـة الجـواب لاحقـاً ويسـهل بهـا الانتقـال مـن ضـمائر الغيـاب إلـي ضـمير الخطـاب [رأيـت] والمقصـود بـه محمـد (ﷺ)، وبـذلك يكتمـل المشـهد بكـل أطرافـه ، والـذي سـاعد فـي ذلـك الضـمير بمـا يتضـمنه مـن الدلالـة الزمانيـة ، وبيـان حـال المقصـود بـه ، مـن قـول مسـموع ، ومنظـر حـادث . فضـمير الجماعـة [الـواو] فـي ينظـرون ، دال علـي المنـافقين، والنظـر موجـه إلـي النبـي محمد (ﷺ) بدليل ضمير الخطاب في [إليك] ، دون ذكر اسم ظاهر .

الضـمائر فـي (قلـوبهم – ينظـرون –خيـراً لهـم – صـدقوا – فـأولي لهـم) كلهـا عائـد إلـي المنـافقين الـذين كنـي عـنهم بقولـه: [الـذين فـي قلـوبهم مـرض] . فالضـمير أدي الـدور ، وهـو إبـراز تلـك الـدلالات دون أن يـذكر اللفـظ .وبـذلك صـور الله حـالهم ظـاهراً وباطناً بهذا الضمير . فيعرفهم الله في السر والعلانية ، أّما أمرهم علينا يخفي .

فَهَـلْ عَسَـيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِـدُوا فِـي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُـوا أَرْحَـامَكُمْ *أُولَـئِـكَ الَّـذِينَ لَعَـنَهُمُ اللهُ فَأَصَـمَّهُمْ وَأَعْمَـى أَبْصَـارَهُمْ *يَتَـدَبَّرُونَ القُـرْآنَ أَمْ عَلَـى قُلُـوبٍ أَقْفَالُهَـا *إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ[1].

قـال الألوسـي فـي روح المعـاني ، الخطـاب لأولئـك الـذين فـي قلـوبهم مـرض بطريق الالتفات لتأكيد التوبيخ وتشديد التقريع)[2] .

وذكـر القرطبـي : الأظهـر أّنـه إّنمـا عنـي بهـا المنـافقون ، وقـال ابـن حيـان : المقصـود قـريش ، نحـوه قـال المسـيب بـن شـريك ، وقـال الفـراء أنهـا نزلـت فـي بنـي أميـة

---

1) سورة محمد الآيات (22 ، 23 ، 24 ، 25).

2) الألوسي : روح المعاني . جـ 26 . ص : 68 .

وبنـي هاشـم ، ودليـل هـذا التأويـل ، مـا روى عبـد الله بـن مغفـل . قـال سـمعت النبـي (ﷺ) يقـول (فهـل عسـيتم أن تـوليتم أن تفسـدوا فـي الأرض وتقطعـوا أرحـامكم قـال : هم هذا الحي من قريش)[1].

ونحـوه قـال الطبـري (ذكـره لهـؤلاء الـذين وصـف أنهـم إذا أنزلـت سـورة محكمـة ، وذكـر فيهـا القتـال نظـروا. لعلكـم إن تـوليتم عـن تنزيـل الله جـل ثنـاؤه وفـارقتم أحكـام كتابـه، وأدبـرتم عـن محمـد (ﷺ) عمـا جـاءكم بـه ، أن تعصـوا الله فـي الأرض فتكفـروا بـه ، وتسـفكوا فيهـا الـدماء ، وتعـودوا لمـا كنـتم عليـه فـي جـاهليتكم مـن التشـتت ، والتفـرق بعـدما جمعكم الله بالإسلام ، وألف به بين قلوبكم)[2].

والمعنـى أنكـم لّمـا عهـد مـنكم مـن الأحـوال الدالـة علـي الحـرص علـي الـدنيا ، حيـث أمـرتم بالجهـاد الـذي هـو وسـيلة إلـي ثـواب الله فكرهتمـوه وظهـر علـيكم مـا ظهـر ، بـأن يقـول لكـم كـل مـن ذاقكـم وعـرف حـالكم يـا هـؤلاء مـا تـرون هـل يتوقـع مـنكم إن توليتم)[3]. أن تفسدوا في الأرض .

هنـاك أقـوال فـي جملـة [إن تـوليتم] ، قـال الألوسـي : إنهـا جملـة اعتراضـية ، وجـواب إن الشـرطية محـذوف يـدل عليـه مـا سـبق ، وزعـم بعضـهم أن الأظهـر جعـل[تـوليتم] حـال مقـدرة)[4]. فالجملـة جـاءت لبيـان أو تفسـير حـال المخـاطبين ، ومـا جعلهـا تـدل علـي ذلـك ضـمير الخطـاب ، فـأثر الضـمير ومرونتـه ، جعـل هـذه المعـاني تستفاد من سياق الكلام .

---

1) القرطبي . الجامع لأحكام القرآن – مج 8 – ص : 236 .

2) ابي جعفر جرير الطبري ، جامع البيان – مج 3 - ص : 56 .

3) التولي الإعراض عن الإسلام .

4) الألوسي ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم ، ج 26 ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت لبنان 1414هـ - 1994م – ص : 68.

فقد ورد في الآيات ذكر اسم الإشارة [أولئك] ، إشارة للمخاطبين بطريق الالتفات ، إيذاناً بأن ذكر هناتهم ، أوجب إسقاطهم عن درجة الخطاب ولو علي جهة التوبيخ .

يتواصل السياق [الذين لعنهم] أي طردهم من رحمته ، وأبعدهم فأصمهم عن استماع الحق ، وأعمى أبصارهم لتعاميهم عما يشاهدونه من الآيات المنصوبة في الأنفس والآفاق . جاء في التركيب ، فأصمهم ولم يأتِ فأصم آذانهم . مثل قوله واعمي أبصارهم أو أعماهم كما جاء في أصمهم قبل (لأن الأذان لو أصيبت بقطع أو قلع لسمع الكلام ، فلم يحتج إلي ذكر الأذن . والبصر هو العين ، ولو أصيبت لامتنع الأبصار، فالعين لها دخل في الرؤية والأذان لا دخل لها في السمع)[1]. وقيل انه (سلك في الجملتين ما سلك في الأخير من رعاية الفواصل) . يري الدارس أن القولين يكمل بعضهما بعضاً ، فالذين قالوا برعاية الفواصل نظروا إلي الضمير من ناحية اللفظ ، فهو ينسجم مع الإيقاع ، ويساعد في إحداث نغمة يأنس لها السامع ، والذين قالوا بالمعني ، فذلك لأثر الضمير ، نجده عندما اسند إلي الفعل [أصمهم] دل علي الشمول ، وعند نسبته إلي الاسم [أبصارهم] دل علي الخصوصية ، لينسجم مع روح المعني ، وهذه الخاصية يتفرد بها الضمير كرابط ، لان الضمير معرفة . بحسب المقام من تكلم، أو خطاب أو غيبة حين يكون له مرجع تقدمه لفظاً أو تقديراً أو كلاهما كضمير الشأن. والأصل في الخطاب يكون لمعين ، وقد يكون لغير معين

---

1) المرجع السابق - ص : 69 .

ليعم كل مخاطب ، وهذا ما جعله يتميز بها علي جميع المعارف ، من ناحية ، ومن ناحية أخري علي بقية الروابط .

فالتعبير بالضمير نجده ، يخرج عن الأطر الزمانية والمكانية المباشرة إلي معنى عام ، فالسياق يحدثنا عن المنافقين ، دون ذكر لفظ المنافقين أو اسم أحد جماعة النفاق ؛ لأنه لو فعل ذلك لجعل الحديث خاصاً ينتهي بانتهاء الموقف في زمانه ومكانه ، ولكن التعبير بالضمير بمعونة الإشارة والموصول يخرج بالكلام إلي عموميته وجعله معبراً ومتوافقاً لكل الأزمان والأمكنة.

الفصل الثاني

دور الضمير في بناء القصة القرآنية والتطبيق عليها

قصة يوسف

مفهوم البناء وتقنيات القصة:

القصة من الأساليب اللغوية غير المجردة ، فإنها ترد في قالب يتضمن الأحداث والشخصيات والأطر الزمانية والمكانية ، لذلك كان لابدّ من الوقوف عند بعض المفاهيم التي تعين علي التحليل ومن خلا لها الدخول إلي صميم العمل الفني ، ليظهر لنا البناء وحدة متكاملة ، ودور الضمير في ذلك.

مفهوم القصة:

أورد ابن منظور في لسان العرب :

قصصت الشيء : إذا تتبعت أثره شيئاً بعد شيء

والقصة: الخبر.

وقصَّ عليَّ خبره:يقصه قصاً ، أورده.

القص: البيان)[1].

وفي المصباح المنير :

قصصت الخبر : حدثت به علي وجهه .

والقصُ: الشأن والأمر.

وقصصتُ الأثر : تتبعتُ)[2].

وفي المعجم الوجيز :

قصّ الشيء: تتبع أثره .

وقصّ عليه الرؤيا : اخبره بها .

الأقصوصة: القصة الصغيرة. جمع أقاصيص .

القصص: رواية الخبر.

القصة: الحديث والشأن.

حكاية تستمد من الخيال أو الواقع أو منهما معاً وتبني علي قواعد معينة من الفن الأدبي)[3].

---

1) أبو الفضل جمال الدين محمد مكرم بن منظور ، لسان العرب ، مج 7 ، دار بيروت للطباعة والنشر ، 1388هـ - 1968م – مادة قصَّ .

2)احمد بن محمد بن علي المقري الفيومي ، المصباح المنير ، مكتبة عيسي البابي الحلبي وشركاه – مصر 1347هـ - 1929م ، مادة قضَ .

3) مجمع اللغة العربية ، المعجم الوجيز ، ط الثالثة ، المركز العربي للثقافة والعلوم ، بيروت – لبنان ، 1400هـ - 1980م – مادة قصَّ .

يلاحظ علي المعني اللغوي للفظة (قصّ) يكاد يتفق في جميع المعاجم ، فينحصر في تتبع الأثر، وإيراد ، الخبر فدلّ علي أن هناك مجموعة أحداث متلاحقة متتابعة وصولاً إلي شيء معين وغاية مرجوةّ .

فما الرابط بين هذه الأجزاء ؟ ففي معنى التتبع هناك دلائل وإشارات ، يربط بينها القاصُّ ليصل إلي شيء معين . أما إيراد الخبر فالقاص يتتبع معاني وألفاظا ليصل بالخبر إلي الملتقي)، فهذا المعني اللغوي يقرب قليلا من المعني الاصطلاحي.

المعنى الاصطلاحي للقصة :

هي متوسطة الطول ، تتركز عادة حول حادثة أو أحداث قليلة يؤديها شخص أو شخصان ، تتداخل علاقتهما في القصة بأشخاص ثانويين قلائل .

فهي التي تقصُّ أعمال الشخص العادي في حياته العادية سواء كان رجلاً أو امرأة بعد أن تضعها في شبكة من الحوادث كاملة الخيوط ، متتبعة كل فعل إلي أدق أجزائه وتفصيلاته وسوابقه ولواحقه ، موغلة في دخيلة النفس ، حينا لتبسط مكنونها أثناء وقوع الفعل ، مستعرضة الآثار الخارجية للفعل حينا أخر ، ولا تترك من جوانبه وملحقاته ونتائجه شاردة ولا واردة إلاّ سجلتها في أمانة وصدق)[1].

فالفن القصصي من الأدب الموضوعي ، فالمؤلف لا يتحدث إلينا مباشرة بل يعرض علينا أحداثا أو أشخاصا تتحدث وتتفاعل في عالم خاص بها ، فلا تحس أن

1) هـ . ب تشارلتن – فنون الأدب . سلسلة الفكر الحديث ، العدد الثاني ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، تعريب ذكي نجيب محمود ، ص : 120 .

للقاص صوتاً أو أثرا ، فمعانيه ودلالة كلماته تظهر مع الكلمات والأفعال عن طريق الشخصيات المختارة.

أولاً : الحدث:

الحدث أو الأحداث هو الموضوع الذي تدور حوله القصة ، ويعد العنصر الرئيسي فيها، إذ يعتمد عليه في تنمية المواقف وتحريك الشخصيات ، ولابدّ أن يستمد من الواقع)[1] .

فالحدث ليس هو الفكرة ، كما يظن كثير من القراء ؛ و إنّما هو القالب الفني الذي تستتر خلفه الأفكار، ذلك أن الأحداث لا تحمل قيمة في ذاتها ، لأنها تبدو في صورة نقل الواقع ، ولكن القيمة تكمن في طريقة عرض الأحداث والقيمة الإنسانية التي ترويها أحداثه .

ثانياً: الشخصية:

هي الكائن الإنساني الذي يتحرك في سياق الأحداث ، وقد تكون الشخصية من الحيوان، فتستخدم عندئذٍ كرمز يشف عما ورائه من شخصية إنسانية ، يستهدف من ورائها العبرة والموعظة، كما في كليلة ودمنة والقصص التعليمية الأخرى)[2].

إن الشخصية في القصة هي محور أفكار الكاتب ، ومأخوذة من صميم الواقع، فقد أضفت على العمل القصصي الصدق ، لأنها تنقل الواقع متفاعلة مع الأحداث ، لذلك يشترط

---

1) د . عزيزة مريدن ، القصة والرواية ، ص : 25 .

2) د. عزيزة مريدن ، القصة والرواية ، ص : 27 .

فيها أن تكون مؤثرة في تصوير موقف من المواقف منفعلة به، غير جامدة علي حالة واحدة ، ثم الصراع وهو الاحتكاك بينها ونفسها وعواطفها الذاتية ، وعقيدتها أو عقلها، أو بينها وشخصيات أخري .. فالشخصية مجموعة من المجالات، إن الإنسان مع أصدقائه غير ما يكون مع أقاربه وجاره ، والإنسان الغريب. ففي كل حالة من هذه الحالات يظهر جانب خاص من الشخصية، وبذلك يتجدد مجال الشخصية من حيث التفاعل والتفاهم والسلوك بعامة.

والمؤثرات التي تؤثر علي الشخصية هي المولد والبيئة والسلوك الظروف التي تعترض هذه الشخصية ، وهذه المؤثرات تأتي مرتبة من حيث تكوينها للشخصية ، فالمولد يقصد به أثر التنشئة الأولي ، وعنصر الوراثة في تشكيل سلوكيات الإنسان ومعتقداته علي السواء)[1] .

أما البيئة فيقصد بها الطبقة ، وهي التي توفر صدق الانفعال ، وأمانة التصوير . بينما السلوك فهو طبائع الأشخاص، أمر خاص لا يعرفه إلا من توغل في عالم النفس وعرف خفاياها.

وهناك الظروف التي تعترض الشخصية ، بسبب ايقاع وحركة القصة ، وهي نوعان:

- حركة عضوية ، وتتحقق في الحوادث التي تقع .
- وحركة ذهنية ، وهي التي تتسبب في الأحداث وتجسمها لها .

فالشخصية تتطور من موقف لآخر، ويظهر لها من كل موقف تصرف جديد يكشف لنا عن جانب جديد منها.

والأشخاص بصفة عامة في القصة أنواع :

---

1) د. عزالدين اسماعيل الأدب وفنونه . دار الفكر العربي ، القاهرة ، مصر ، ص : 175 .

❖ **الشخصية ذات المستوي الواحد:**

وهـي الشخصـية البسـيطة فـي صـراعها ، وغيـر المعقـدة وتمثـل صـفة واحـدة أو عاطفة واحدة وتظل سائدة بها من مبدأ القصة إلي نهايتها)[1].

❖ **الشخصية النامية:**

وهـي التـي تتطـور وتنمـو قلـيلاً قلـيلا بصـراعها مـع الأحـداث والمجتمـع ، ولهـا عنصر المفاجأة ، ويظهر ما يكمن من جوانبها وعواطفها الإنسانية المعقدة .

❖ **البطل في القصة :**

فـي كـل قصـة شخصـية أو أشـخاص يقومـون بـدور رئيسـي ، إلـي جانـب شخصـيات أخـري ذات أدوار ثانويـة ، لابـدّ أن يقـوم بيـنهم جميعـا ربـاط يوحـد اتجـاه القصـة ويتضـافر علـي ثمـار حركتهـا ، وعلـي دعـم الفكـرة أو الأفكـار الرئيسـة فيهـا، وغالبا ما يكون البطل محور القصة والرابط بين مختلف أشخاصها الآخرين .

ثالثاً: عنصرا الزمان والمكان :

يعـيش الإنسـان فـي حياتـه وسـط بـين بعـدين لا يخـرج عـن إطارهمـا ، بعـد مكـاني ثابـت يمثـل فيمـا حولـه مـن الأشـياء ، وبعـد زمـاني متغيـر يتمثـل فـي الأحـداث المتتابعـة والتـي تسـتمر لتطـول أو تقصـر فـي زمـن معـين فالبعـد المكـاني أوضـح فـي المرئـي ، والبعـد الزمـاني أوضـح فـي المسـموع ، والعـين أقـدر علـي إدراك المكـان مـن الأذن ، والأذن أقـدر علـي إدراك الزمـان مـن العـين ، والمكـان أوضـح للـذهن الـواعي مـن الزمـان

1) د. محمد غنيمي هلال ، النقد الأدبي الحديث ، ص 565

لتميزه وظهوره بمظهر الاستقرار والجمود ، بحيث يمكّن المرء من اختيار دقائقه وتفصيلاته اختياراً)[1].

فإذا تمثلنا قصة أصحاب الكهف ، نجد أن الحياة بداخل الكهف وخارجه مستمرة كإطار زماني ومكاني ، غير أن من هم بداخل الكهف خارج تلك الأطر ، فحينما هّبوا من نومهم وواجهوا الإطارين ، نلاحظ شعورهم بالغربة في مجتمع لا يعرفون عنه شيئا ولا يعرف عنهم شيئا ويرجع ذلك إلي وعي الإنسان بالزمان والمكان .

فهناك بعدان أساسيان ، هما الزمان والمكان وفي إطارهما يحيا الإنسان وينمو ويتطور ، فالزمان والمكان يمثلان البيئة التي تدور فيها الأحداث وتتحرك الشخصيات)[2].

وصراع الشخصيات في أساسه ، صراع مع المكان الذي يتبدى في أشياء عديدة ، الحسية والمناظر الطبيعية الخ .. والمكان في قصص القرآن حقيقة تاريخية تصاغ في صور بديعة من الألفاظ المنتقاة والأساليب الرائعة)[3]. غير أن الزمان هو حياة الشخصية ، وتحركها ووعيها بالأحداث التي تمر بها، فالزمان هو عالم المتغيرات في العمل الأدبي.

رابعاً : الحبكة القصصية :

---

1) د. عبد الله الطيب ، المرشد إلي فهم اشعار العرب ،ج1، ص :36 .

2) د. عزيزة مريدن ، القصة والرواية ، ص :30 .

3) مناع القطان ، مباحث في علوم القرآن ،ط الأولي ، مكتبة المعارج للنشر والتوزيع ، الرياض ، 1413هـ - 1992م ، ص : 309 .

الحبكة في مفهومها هي : كون حوادث القصة وشخصياتها مرتبطة ارتباطا منطقيا ، يجعل من مجموعها وحدة ذات دلالة محدودة)[1] . فمثلا قوله تعالي: [وَاسْتَبَقَا البَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى البَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ][2] . نجد أن الأفعال [استبقا – قدّت – ألفيا – قالت] ، قد كونت في أذهاننا جزيئات الواقعة ، أفعال تحدث وكلام يقال ومشاهدة ، تشارك فيها ثلاث شخصيات دون أن يذكرها صراحة ، ولكنها مفهومة لدي السامع بفعل الضمائر التي وردت ، ممزوجة بالعنصر النفسي الذي تصوره هذه الأفعال ، والذي من شأنه يكسب العمل القصصي الحيوية ، فالحبكة هي تلك الصور التي تتمثل بين طرفي الصراع وهما الهدف والنتيجة .

مراحل بناء القصة :

أولاً : المقدمة وفيها تعرف الأشياء اللازمة لفهم ما يأتي .

ثانياً : تبدأ الواقعة الأولي ومعها تبدأ عملية البناء .

ثالثاً : تأتي الحوادث المفاجئة .

رابعاً : الذروة ، وهي من أشدّ المواقف تعقيداً في عملية البناء ، وبعدها تبدأ الأشياء تتضح في مرحلة التنوير.

---

1) د. عز الدين اسماعيل ، الأدب وفنونه ، ص : 112 .

2) سورة يوسف ، الآية : 25.

وكل ذلك مرتبط بثلاثة عناصر، التوقيت ، وهو كيفية سير الأحداث. والإيقاع، وهو كيفية تنوع الأحداث. والتشويق وهو تفاوت درجات الانفعال ، وكيف يشدّ الكاتب القارئ إلى قراءة القصة.

فكل قصة السمة العامة فيها، أن تكون أحداثها مرتبة ترتيبا منطقيا بحيث ترتبط الأحداث بعضها البعض مكونة وحدة عضوية لها بداية تمر بمرحلة الأزمة [قمة الأحداث]. لتبدأ بالتدرج نحو الحل . فالقصة لها محور تدور حوله الحقائق ، فقد يكون المحور حقيقة جوهرية أو فكرة عامة أو شخصية أساسية تتعلق بها الحقائق. والشخصيات الأخرى.

قصص القرآن :

جاء بالقرآن القصص الواقعية للرسل والأنبياء و الأمم الغابرة ، وقصص الأمثال كقصة أصحاب الجنة وأصحاب القرية وأهل الكهف . قال تعالي: [وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ القَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا المُرْسَلُونَ *إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ][1] .

و قال الشوكاني[2] : إنّ الله أورد أقاصيص الأنبياء في القرآن وكررها بمعني واحد في وجوه مختلفة بألفاظ متباينة علي درجات البلاغة، وقد ذكر قصة يوسف ولم يكررها فلم يقدر مخالف علي معارضة ما تكرر ، ولا علي معارضة غير المتكرر.

---

1) سورة يس ، الآية (13 – 14) .

2) محمد بن علي بن محمد الشوكاني، فتح القدير ،الجامع بين فني الرواية والدراية – جـ 3 – ط الثانية ، مكتبة ومطبعة مصطفي الحلبي واولاده – 1964م – 1383هـ ، ص:3 بتصرف

جاءت هذه القصص بلغة فريدة ، سحرت بلغاء العرب في نظمها وبيانها وألفاظها وأسلوبها، فكشفت عن الحقيقة الإنسانية ورسالتها في الوجود. فالقصة القرآنية من الأساليب والطرق المتفردة في مخاطبة النفس البشرية والتأثير فيها . فالنفس تسترسل معها في راحة شعورية تامة متتبعة كل صغيرة وكبيرة من معني. فكل آية كأنها سورة من كلمات قليلة، تتماسك في الذاكرة ويظل أثرها علي النفس دوما.

فنحن أمام صورة حافلة بالحركة والحياة لنقترب من المعني و المضمون. عن ذلك قال احد المفسرين [فما يكاد يبدأ العرض حتي يحيل المستمعين نظارة ، و ينقلهم نقلا إلي مسرح الحوادث الأول الذي وقعت فيه ، أو ستقع فيه حين تتوالى المناظر ، وتتجدد الحركات وينسي المستمع أن هذا كلام يتلى ، ومثل يضرب ، ويتخيل أنه منظر يعرض وحادث يقع][1].

أغراض القصة في القرآن عامة وسورة يوسف خاصة :

قال تعالي : [لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ][2] .

إنّ القصة في القرآن هي كلام الله ، بها العبرة لمن له عقل يفكر به ، وما ورد فيها حق ومفصل لكل شيء يحتاجه المخلوق، وهدي لمن ضلّ ، ورحمة لمن آمن.. فالقصة القرآنية بصورة عامة إضافة إلي ما تحويه من أسس ، فنية فأنها تهدف إلي دعوة التوحيد ، وتحث علي

---

1) سيد قطب : التصوير الفني في القرآن ، ط الثامنة ، دار الشروق . بيروت / القاهرة . 1402هـ - 1983م ، ص : 36.

2) سورة يوسف : الآية : 111.

الخلق القويم وتظهر القدرة الإلهية ، وعاقبة الخير والشر ، وتثبيت لقلب الرسول (ﷺ) والفئة المؤمنة . فهي صادقة بأحداثها الواقعية وألفاظها المنتقاة .

وكذلك هي تربية نفسية ، يتدرج معها النبي والفئة المؤمنة عندما يتلمس خطوات يوسف منذ بداية القصة مرورا بكل العقبات إلي نهايتها ، وعناية الله ترعاه فلا تدع العجز والوهن يتسرب إلي داخله بينما ؛ في الاتجاه الأخر يظهر الوهن وقد وجد طريقه إلي قلوب الفئة التي وقفت في طريق الحق . بشتى الوسائل لتثبيط الدعوة، فترى نفسها الهازلة المنحدرة نحو النهاية والهزيمة . فهذه الفئة تبدأ بقوة زائفة واهية ، ولكنها لم تلبث كثيرا حتى تزول إلي نهايتها المحتومة .

قال تعالي: [وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ *حَتَّى إِذَا اسْتَيْئَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ][1] .

دور الضمير في عرض الأحداث والشخصيات :

عند عرض الأحداث والشخصيات يتبدى دور الضمير بأنواعه المختلفة ، غائب، متكلم ، مخاطب ، فقد تبدأ القصة في فترة زمنية خاصة من حياة الشخصية الرئيسة ، في منظر صامت ينفجر فيه اللاشعور بالذكريات والأحلام ، فيرجع إلي الوراء سنين عددا ، فيدع الكاتب بطل قصته يتحدث عن نفسه بضمير المتكلم ليخلق الشعور بالألفة والثقة .

---

1) سورة يوسف : الآية (109 – 110) .

وقد يكون عرض الأحداث بطريق السرد المباشر، وفيها يقف الكاتب يرصد سلوك أشخاصه ، ويتحدث عنهم بضمير الغائب شانه بذلك شأن المؤرخ .

وقد يكون عرض الأحداث بطريق الحوار ، وهو وسيلة التفاعل بين الأحداث والشخصيات وهو الأداة التي تتواصل عن طريقها الشخصيات لينمو البناء القصصي، سواء كان الحوار بين الشخصيات مع بعضها البعض في الموقف ، أو حوار الشخص مع نفسه ، وأداة ذلك ضمير المخاطب والمتكلم ويعينها ضمير الغائب من خلف المشهد .

إن خضوع القصة للغرض الديني العام لم يمنع الخصائص الفنية لعرضها . فقد برزت في قصص القرآن مجموعة من الخصائص الفنية ميزته عن سائر أنواع القصص الفني ، فالعناصر المألوفة للقصة من أحداث وشخصيات وحوار وارتباط مكاني وترتيب زماني وعقدة ، لا نجدها مجتمعة في القصة القرآنية ، ولا موزعة توزيعا يجعل لكل منها دور يختل بانعدامه توازن القصة ، لأن المقاصد التي يوحي بها السياق هي التي توجه أسلوب العرض ، وتتحكم في ترتيب الأحداث ، وتسلط الأضواء علي العنصر المراد إظهاره)[1].

فقد يكون الغرض تثبيت قلب النبي (ﷺ) ، فعند ذلك تسلط الأضواء علي عنصر الشخصية ، ويظهر ذلك في قصة يوسف ، نجد أن الأحداث من بدايتها إلي نهايتها تتركز حول شخصية يوسف (عليه السلام) وشخصيات أخري. وقد يكون الغرض للإنذار والترهيب والعبرة فيكون تركيز الأضواء علي الأحداث.

---

1) عبد العظيم ابراهيم محمد ، خصائص التعبير في القرآن ، جـ 1 ، ط الأولي ، المكتبة التجارية ، 1413هـ - 1992م ، ص : 334 .

أما إذا أراد إقامة الحجة فعند ذلك تبرز خصيصة الحوار . قال تعالى : [فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ *قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقِدُونَ *قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ *قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ *قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ *قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ][1].

تتم معرفة بناء القصص القرآني عن طريق تحليل الأحداث والشخصيات ، ولما كانت قصة يوسف هي القصة الوحيدة التي وردت كاملة في مكان واحد ، ولم تتكرر في القرآن جاءت في الاختيار لتبين دور الضمير في عملية البناء نفسيا للشخصية وربط الأحداث بعضها ببعض .

فإذا وقفنا عند سورة يوسف ، نجد أن هذه السورة بقصتها العجيبة تكشف للرسول (ﷺ) وأمته طريقا يسيرون عليه في اطمئنان . فهي انعكاس لواقع الدعوة في مرحلتها الأولي . والمرحلة التي كان الرسول (ﷺ) ، والفئة المسلمة مطاردين من قبل مشركي مكة ، فلا بدّ من قصة مفعمة بالصبر والدروس ، لتكون تسرية واطمئنانا للرسول وأصحابه .

فأذى المشركين ، وصبر الرسول الكريم والفئة المسلمة ما هو إلاّ امتداد لصبر يوسف النبي مع إخوته فالطريق واحد والغاية معروفة فما علي السالك إلاّ الصبر ليصل إلي النهاية المرجّوة .

بيئة السورة (سورة يوسف):

---

1) سورة يوسف . الآيات(70 / 75) .

إنّ كثيرا من الدارسين يؤكد أن البيئة في معظم القصص القرآني هي بيئة مكة، قال محمد علي الصابوني (سورة يوسف احدي السور المكية التي تناولت قصص الأنبياء ، وقد أفردت الحديث عن قصة نبي الله (يوسف بن يعقوب) وما لاقاه عليه السلام من أنواع البلاء . نزلت السورة الكريمة علي الرسول (ﷺ) بعد سورة [هود] . في تلك الفترة الحرجة العصيبة من حياة الرسول العظيم . حيث توالت الشدائد والنكبات عليه وعلي المؤمنين ، بعد أن فقد عليه السلام نصيريه زوجته الطاهرة الحنونة [خديجة] وعمه [أبو طالب] الذي كان له خير نصير ، وخير معين وبوفاتهما أشتد الأذى والبلاء علي رسول الله(ﷺ) وعلي المؤمنين حتي عرف ذلك العام بعام الحزن)[1] .

إن القرآن قد عمل علي الرفع من شأن الرسول ، وتقوية عزيمته وقلبه بطريق غير مباشر، عن طريق القصة، لأن الفطرة الإنسانية واحدة في مواجهة الأنبياء .

قصة يوسف ذات طابع متفرد في احتوائها علي قصة يوسف كاملة . تحكي آثار الحسد علي صاحب الدعوة وما يقابله من محن وابتلاءات ، توجب الصبر ، لأن رعاية الله حليفة كل نبي أو رسول ، لا تغيب عنه طرفة عين حتي ينتصر . فالقصة تمثل صراعا بين قوى الخير وقوى الشر ، وبين الفضيلة والرذيلة ، فقد بدأت القصة بالرؤيا التي رآها يوسف.

قال تعالي : ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ*قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ *وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ

1) محمد علي الصابوني – صفوة التفاسير – مج2 ، ص : 39 .

مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ][1].

إن الرؤيا في سورة يوسف لها دور كبير في دفع الأحداث التي تتحرك بمواقف متعددة. بدأت القصة بالحوار في أمر الرؤيا بين يوسف ويعقوب ولم يظهر من الشخصيات إلاّ لفظ يوسف الشخصية الرئيسة أّما شخصية يعقوب فقد بينها الضمير بإضافته إلي الاسم [أبيه ، أبُ ني ، إخوتك ، ربك] فالضمير أظهر الشخصيات الأخرى من ناحية ، وأختصر اللفظ بعدم تكرار الشخصية الأولي من ناحية أخري ، فقد خاطب يعقوب ابنه بأن الله سيصطفيه ويعلمه من تأويل الأحاديث .عندما قال:[إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ][2] . فقد فسَّر المفسرون أن الشمس والقمر هما والدا يوسف والكواكب إخوته، فحذر يعقوب ابنه من ذكر رأياه لإخوته، فحركة الإخوة المفاجئة تدل علي أن هناك خبرا تناهي إلي إسماعهم. فقد تأمر الإخوة علي إقصاء يوسف بعيدا عن والده ، الذي يميل بحبه إليه ، بكل وسيلة حتي يخلو لهم حبُّ أبيهم من بعده ، فكان أول ما فكروا فيه القتل أو طرحه أرضا قال تعالي :[اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ][3] .

ولكن عناية الله صرفت بصيرتهم إلي أمر أخر ، ليبقى يوسف حيا ، فقد استقر رأيهم علي وضعه في بئر معروفة علي طريق المارة ، فيها الكثير من الوحدة والرعب والظلمة والمصير المجهول ، حتى قيضّ الله له من يأخذه إلي ابتلاء آخر ،

---

1) سورة يوسف : الآيات (4 - 6).

2) سورة يوسف : الآية : 4.

3) سورة يوسف . الآية :9.

لـه أثره علـي الـنفس ، فقد بيـع يوسـف إلـى عزيـز مصـر بـدراهم معـدودة فصـار ابنـا بـداخل القصـر حيـث مفـاتن المـرأة وإغراءاتهـا المتكـررة التـي تلهـب الـنفس شـررا ، [وراودتـه التـي هـو فـي بيتهـا عـن نفسـه] فيستعصـم ، فيرمـي بجريمـة هـو بـرئ، منهـا فيخـرج يوسـف مـن نعـيم القصـور إلـي جـوَّ السـجن ، الملـيء بـأنواع الهمـوم والوحـدة والقلـق ، وهـو بـرئ عـن كـل مفسـدة ، وعنايـة الله تخرجـه إلـي ابـتلاء آخـر برؤيـة رآهـا الملـك ، ليقابـل يوسـف أمـر الدولـة والحكـم ، ومـا فيهـا مـن سـلطان مطلـق ورخـاء دائـم يسـتوجب العـدل والصـدق، والتواضـع والمجـرد عـن كـل هـوى نفسـي ، ليـدخل فـي محنـة جديـدة ، وهـي مشـاعره تجـاه إخوته الذين تسببوا في كل ما وقع من أحداث .

يمـرّ بكـل هـذه الابـتلاءات ، ويخـرج منهـا نقيـا نظيفـا ومعينـه الله لتـأتي النهايـة بتفسير رأياه مبينـة صـدق نبوتـه وصـبره قـال تعـالي: [وَرَفَـعَ أَبَوَيْـهِ عَلَـى العَـرْشِ وَخَـرُّوا لَـهُ سُـجَّدًا وَقَـالَ يَـا أَبَـتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَـايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَـا رَبِّـي حَقًّـا وَقَدْ أَحْسَنَ بِـي إِذْ أَخْرَجَنِـي مِـنَ السِّـجْنِ وَجَـاءَ بِكُمْ مِـنَ البَـدْوِ مِـنْ بَعْـدِ أَنْ نَـزَغَ الشَّـيْطَانُ بَيْنِـي وَبَـيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ العَلِيمُ الحَكِيمُ][1].

يلاحـظ أن المحـور العـام فـي قصـة يوسـف هـو شخصـية يوسـف عليـه السـلام فانـه الخـيط الـرابط للأحـداث علـي اختلافهـا فـي الـدوافع . تمسـك بـه العنايـة الإلهيـة مـن البدايـة إلـي النهايـة. فقـد بـدأت القصـة برؤيـا يوسـف فـي عـالم الغيـب وختمـت بتحقيـق الرؤيا في عالم الحقيقة.

مـرت شخصـية يوسـف بأحـداث وشخصـيات كثيـرة سـاعدت فـي تكوينهـا. متمثلـة فـي عواطـف متعـددة ومتباينـة ، حسـد يحسـده الإخـوة ، وشـهوة غريزيـة متمثلـة فـي امـرأة

1) سورة يوسف : الآية 100 .

العزيـز ، والنسـوة ، والإنفـراد والوحشـة فـي الجـب والسـجن ، والملـك والعظمـة والجـاه ، متمثـل فـي توليـه عـرش وزارة الماليـة . فالقصـة تمثـل صـراعا بـين الحـق والباطـل . الحـق المتمثـل فـي شخصـية يوسـف ، والباطـل المتمثـل فـي الغرائـز غيـر المعدلـة فـي سـلوك إخوتـه ، والنسـوة وغيـره . فمـا دور الضـمير وكيـف ربـط هـذه الشخصـيات والأحـداث دون أن يحدث خلالا معنويا أو لفظياً .

علاقة الأحداث بالشخصيات ودور الضمير:

تبـدأ الأحـداث وتتسلسـل بربـاط سـببي بـأمر الرؤيـا ، فهـي الـدافع الأول للأحـداث. فقلـق الإخـوة وعـدم شـعورهم بالراحـة دليـل علـي أن أمـر الرؤيـا تنـاهي إلـي أسـماعهم ، فولـد فـيهم ثـورة داخليـة ، و بـدأوا يترجمـون ذلـك فـي سـلوك حركـي كلامـي ، ينتهـي بهـم إلي التخلص من يوسف بكل طريقة ممكنة. فأخذت القصة تسير في اتجاهين .

اتجـاه ظـاهري . فـي اسـتقبال يوسـف وأبيـه لمـا يبـدر مـن الإخـوة مـن حسـن النوايـا [قَـالُوا يَـا أَبَانَـا مَـا لَـكَ لَا تَأْمَنَّـا عَلَـى يُوسُـفَ وَإِنَّـا لَـهُ لَنَاصِـحُونَ * أَرْسِـلْهُ مَعَنَـا غَـدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ][1].

واتجـاه خفـي ، يتمثـل فـي ثـورة الأحقـاد والحسـد التـي سـاعدت فـي نمـو الأحـداث بعدها.

فيوسـف الشخصـية المحوريـة تحـت تـأثير عـاملين مـن العوامـل النفسـية المتضـادة (حب، حقد) حب والـده الـذي يظهـر فـي قولـه تعـالي [قَـالَ إِنِّـي لَيَحْزُنُنِـي أَنْ تَـذْهَبُوا بِـهِ وَأَخَـافُ أَنْ يَأْكُلَـهُ الذِّئْبُ وَأَنْـتُمْ عَنْـهُ غَـافِلُونَ][2] . وحسد إخوتـه وحقدهم الـذي يظهـر فـي قولـه تعـالي: [إِذْ قَـالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُـوهُ أَحَـبُّ إِلَـى أَبِينَـا مِنَّـا وَنَحْـنُ عُصْـبَةٌ إِنَّ أَبَانَـا

---

1) يوسف الآية : 11 /12.

2) سورة يوسف : الآية 13.

لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ][1]. تتصارع القوتان فتنتصر القوة الثانية ليجمع الإخوة علي التخلص منه، فلو انتصرت القوة الأولي لانتهت القصة .

قال تعالي : [اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ][2] . فالشخصية الرئيسة هي المحور الرابط في القصة، فنجد القرآن يذكرها صراحة ، ثم يستعين بالضمير في التعريف بالشخصيات الثانوية الأخرى ، وخاصة ضمير الغائب لما له من خصائص . لدفع الأحداث ونموها. ثم يعقبه الحوار ويستخدم فيه ضمير المتكلم والمخاطب لينتقل بنا إلي الأحداث ، التي من خلالها تنمو الشخصيات ، وتكتمل صورها وهيئتها للمستمع . المتكلم يتحدث إلينا مباشرة والسامع يتابع الكلام في صورة بديعة دون ذكر لاسم ظاهر. قال تعالي : [إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ *قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ * وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ][3] .

قال تعالي: [إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ][4]

قال تعالي: [اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ][1].

---

1) سورة يوسف : الآية 8 .

2) سورة يوسف : الآيات (9-10) .

3) سورة يوسف : الآيات (4-6).

4) يوسف الأية : 8

قال تعالي: [قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ][2] .

أو أنه يستعين بضمير الغائب مع الموصول أو نكرة أو معرفة عامة في الإشارة لشخصية جانبية.

قال تعالي : [وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا ..][3] .

قال تعالي: [وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ].

قال تعالي : [وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ] .

قال تعالي :[وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ] .

من الملاحظ في قصص القرآن ، عند الانتقال بالحوار إلي مجال آخر يستعان بضمير الغائب ، في الفجوات بين الأطر المكانية ، فيظهر مع ضمير الغائب ضمير آخر بقدر ما يبين الشخصية ويحددها.

قال تعالي [لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ] .

قال تعالي [قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ] .

---

1) يوسف : 9 .

2) يوسف : 10

3) يوسف :

قال تعالي : [فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ] .

قال تعالي : [وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ] .

إن استخدام ضمير الغائب صاحبته دلالات متعددة في بيان حال السامعين، وإظهار سريرتهم وتدبيرهم ، فقد أغني عن كثير من الألفاظ .

في الحوار القصصي تبدى دور الضمير واضحا ، ذلك أن الحوار يقع بين طرفين ماثلين أمام المشاهد ، فالضمير يقوم بأمرين الأول بيان الشخصية وتوصيفها. أما الثاني فإنه يصف الأحداث وبداية حركتها .

عند بيان الشخصية يسند لفظ القول بصيغة الماضي إلي اسم ظاهر معرفة أو نكرة ، ثم يعقبه ضمير للغائب مضاف إلي اسم يمثل شخصية جديدة تظهر للعيان لأول مرة ، يحدد ملامحها الضمير. ثم تتوالي الضمائر بين مخاطب ومتكلم لتنمو الأحداث بعدها.

قال تعالى: [إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ].

قال تعالى: [قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ].

قال تعالى:[إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا ...] .

إن الروابط الأخرى تكاد تختفي في ثنايا الكلام ، بأثر ضعيف محدود ، نتيجة الدور الواضح للضمير.

كما يلاحظ أن الضمير يتلاءم في إظهار الشخصية بقدر المطلوب ، فقد يقصد من الشخصية بيان سلوك معين ، وقد يراد بها إظهار موقف من المواقف ، أو إظهار

فعل ناتج عن فرد من مجموع ، أو إظهار فعل يتعفف من ذكر مَنْ وقع منه ، فإنه يستخدم النكرة ذات الدلالة العامة ويكتفي بالضمير لتبيين وتوضيح المقصود ، وكل ذلك إن كان التركيز علي الحدث .

- وجاءت سيارة فأرسلوا واردهم . فأدلي دلوه .
- شهد شاهد من أهلها .
- قال نسوه في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها... إنا نراها في ضلال مبين.
- ودخل معه السجن فتيان قال أحدهما...
- قال الذي اشتراه لامرأته أكرمي مثواه.

ولملء الفجوات بين الأمكنة والأزمنة ، يلاحظ أنه استعان بثلاثة روابط ذات خصائص زمانية منها الواو والفاء العاطفتان ، ولّما الشرطية . يسبقها بلفظ القول غالبا لإظهار الشخصية . فالواو العاطفة عندما تستخدم في القصص ، تدل علي ربط أحداث الحكاية بزمن غير محدد تمهد للحالة أو الموقف. أّما الفاء فالربط بها يشير إلي مقام الحال والمباشرة ،كأنها تلاحق موقفا يُظن انه يتلاشي عن السامع . ثم تليها لمَّا بما تحمله من خصائص . بكونها رابطة لجملتين جملة الشرط، وجملة الجواب . وأّنها دالة علي الزمان بمعني حين أو إذ يكون الثاني منهما مترتب علي الأول ومسبب عنه لذلك يكون . الغالب في فعل جملة الشرط والجواب معهما أن يكونا ماضيين .

غير أن ثلاثة الروابط أنحصر رباطها في نطاق محدود الدلالة الرمانية . أّما الضمير فإنه يظهر دوره الواضح في مزج الأحداث وربطها رباطا وثيقا. وبيان

الشخصية وتتبع حركاتها للسامع باعتبارها الرابط الأساسي لبناء القصة بأكملها . والضمائر المستخدمة في الغالب ضمائر الغياب ذات المرجعية السابقة ، (معرفة أو نكرة) . مستعينا بلفظ القول المسند إلي ضمير الغياب [قالوا ، قال] تمهيداً لإظهار الشخصية لدي السامع وثباتها في ذهنه ، مختصرا بذلك كثيرا من الألفاظ في لطفٍ لأغراض حتى لا يخدش حياء الشخصية أو قد لا يهم ذكرها عندما يريد تسليط الأضواء علي الأحداث ، ثم تتوالي بعدها المعاني بإسناد الضمير إلي الأفعال أو إضافته للأسماء أو وصله بأحد الحروف بقدر المعني الذي يراد . فقد يكون توصيف موقف من المواقف بكل جوانبه وعند ذلك تتداخل ضمائر الغياب والمتكلم والمخاطب.

وقد يكون الموقف حواراً فترد فيه ضمائر المتكلم والمخاطب فالشخصيات تظهر من خلال الضمير. ثم تعقبه لمَّا الشرطية لتبين غاية ونتيجة ما سبق والغالب في جملتي الشرط والجواب يسند الضمير فيها إلى فعل ماضي ليدل علي الحركة والحيوية للحدث ثم الجواب مكملاً للمعنى لا رابط له إلاّ الضمير مادام الفعل ماضيا. فإن أختل ذلك الشرط جاءت الفاء الرابطة لجواب الشرط لكنها نادرة في قصص القرآن، لان الكلام يسير فيها علي نسق محكم لا انقطاع فيه قوامه الشخصية والضمير في الربط . ويظهر ذلك في كل القصص القرآني . من بدء القصة إلي نهايتها ، فالسامع يتابع في متعة ، لان الأحداث تظهر له في هيئة أحداث تبدأ وتتطور إلي ذروتها ثم الانفراج ، ثم تبدأ أخري ولا رابط بينها إلاّ الشخصية الرئيسة ، التي يقوم في إعدادها الضمير ، فهناك روابط غير أن الضمير له الدور الأهم .

قال تعالى: [قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ * فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَاتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ][1] .

قال تعالى: [وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ * وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ][2] .

قال تعالي: [قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ *وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ * فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ][3].

قال تعالى: [وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ][4] .

قال تعالي:[وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ] [5].

قال تعالى:[وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ * وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ][6] .

قال تعالى: [وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ *فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ][1] .

---

1) سورة يوسف : 14 / 15 .

2) سورة يوسف : 12 / 22 .

3) سورة يوسف الآيات (26 / 28) .

4) سورة يوسف . الآيات (30 / 31) .

5) يوسف : 54.

6) يوسف : (58 /59) .

قال تعالى: [قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ فَاللهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ * وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ][2] .

قال تعالى:[قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنَ اللهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ][3] .

قال تعالي: [وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ مِنْ شَيْءٍ إِنِ الحُكْمُ إِلَّا للهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ المُتَوَكِّلُونَ * وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا ...][4] .

قال تعالى: [وَظَلَّمُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ] {يوسف:69}

قال تعالى: [فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا العِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ] {يوسف:70}

قال تعالى:[قَالُوا يَا أَيُّهَا العَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ المُحْسِنِينَ قَالَ مَعَاذَ اللهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذًا لَظَالِمُونَ * فَلَمَّا اسْتَيْئَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الحَاكِمِينَ][5] .

قال تعالى:[يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْئَسُوا مِنْ رَوْحِ اللهِ إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ إِلَّا القَوْمُ الكَافِرُونَ * فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا العَزِيزُ مَسَّنَا

---

1) يوسف : (62 – 63) .

2) يوسف الآيات : (64 / 65)

3) يوسف : 66.

4) يوسف : الآيات (67/ 68).

5) يوسف : الآيات :(78 / 79) .

وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ][1] .

قال تعالى: [اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ * وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ][2] .

قال تعالى: [قَالُوا تَاللهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ *فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا ....][3] .

قال تعالى: [قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ *فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللهُ آمِنِينَ][4] .

الشخصيات ودلالة الزمان والمكان ودور الضمير في ذلك :

الضمير له دور في إخفاء الشخصية وإظهارها في آن واحد.لأغراض بلاغية: نحو: (قال قائل منهم) ، فلو حذف الضمير في (منهم) لظن السامع أن المقصود أي قائل [عام] لكن بذكره قد حصره غير أنه يظل غير محدد ، وتظل هذه الشخصية ملازمة ، تظهر في القصة بإشارة الضمير [لا تقتلوا يوسف] وبهذا الخطاب يخرج هذه الشخصية في المشاركة في الفعل الدنيء . ثم تظهر [ألم تعلموا أن أباكم قد اخذ عليكم موثقا) .

ومثل ذلك [وقال نسوة في المدينة إمراة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حبا إنا نراها في ضلال مبين ، فلما سمعت بمكرهن] .

فالقرآن عفيف في إعطاء كل ذي حقٍ حقه . فالمنطق إنك ما دمت في محيط الجريمة، فأنت مقرٌ بها ، ولكن جرمك لا يقوم مقام من يفعلها.. فليس هناك أداة ربط

---

1) يوسف . الآيات (87 – 88) .

2) يوسف : الآيات (92 – 93)

3) يوسف : الآيات (95 – 96) .

4) يوسف : الآيات (98 – 99) .

تقوم بهذه المهمة غير الضمير، فعلماء النفس دائما يشيرون إلينا (بأنه إذا ما شعرنا بنقص ما ،فإن نوعاً من التوتر يقوم في نفوسنا ، ونشعر بعدم الراحة ، ونرغب في التخلص من التوتر. بمحاولة حلول تجنبنا الحلول الشائعة الواضحة)[1] .

ذلك أن الضمير يقوم بتصوير العاطفة . فقد صورها في هؤلاء النسوة بالثورة العارمة تجاه يوسف .

وفي يعقوب تتراوح بين الخوف والحزن والقلق، وحركة عقلية عالية لما يحدث ليوسف باستخدام ضمير المتكلم، [ليحزنني، أخاف أن يأكله الذئب].

أّما يوسف فيصوره في حالة صامتة لا ينطق بكلمة بينما الإخوة . الإخوة في ظهور مخادع [يا أبانا مالك لا تأمنا علي يوسف] [يا أبانا أرسله معنا غدا يرتع ويلعب]. فالضمير للمتكلم مضاف إلي اسم الأب لاستعطاف والدهم . غير أنه عندما يظهر غضبهم يستخدم ضمير الخطاب بعيدا عن كل عطف وحنان ، فالأب واحد والمواقف مختلفة. [تالله تفتا تذكر يوسف حتى تكون حرضا أو تكون من الهالكين] .

وهناك ثورة امرأة العزيز (وراودته) التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الأبواب وقالت هيت لك قال معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي إنه لا يفلح الظالمون ، ولقد همت به وهم بها لولا أن رأي برهان ربه ..] .

فهناك ، حركة وأفعال تقع استعان في تصويرها بالضمير المسند الي الفعل وقد أكثر منها بتوالي لكشف العاطفة الداخلية ونشوة النفس في حركة عارمة تزول

---

1) د. أبو طالب محمد سعيد ، علم النفس الفني . وزارة التعليم العالي والبحث العلمي – بغداد ، 1410هـ - 1990م – ص : 91 بتصرف.

بقول من هو خارج إطارها ألزماني والمكاني عزيز مصر (يوسف اعرض عن هذا) ويسدل الستار.

مما سبق نلاحظ أن هناك ثلاث أدوات لنمو أحداث القصة والمواقف التي تتحرك فيها . منها الموقف الذي يحدث في إطار زماني ومكاني محدد تنمو أحداثه إلي ذروتها ثم تنتهي . أّما الأداة الثانية فهي الرؤيا كدافع لأحداث القصة فتكاد المواقف تنتهي و أحداثها ذاهبة إلي النهاية لولا عنصر الرؤيا فقد وردت ثلاث مرات ، في بداية القصة بتحريك الأحداث يا أبتي إني رأيتُ ، وفي داخل السجن وقت انقطاع الاتصال بالشخصية المحورية ، ودخل معه السجن فتيانِ قال احدهما إني أراني .. الخ والثالثة رؤيا الملك ، أما الضمير فهو الرابط لهذه البيئات بما فيها من أحداث ورؤية وشخصيات وهكذا إلي نهاية القصة.

ثم الأداة الثالثة وهي الشخصية المحورية شخصية يوسف الذي ترتبط الأحداث والشخصيات معه في جميع مراحل القصة .

إن للضمير دورا بارزاً في إظهار الحدث سواء كان قوليا أو فعليا أو عاطفة غير ظاهرة للعيان ، فإخوة يوسف يظهرهم القرآن بالشخصية الجمعية الموحدة في كل تصرفاتهم وسلوكهم من بداية القصة حتى نهايتها إلاّ من شخصية واحدة كانت متزنة.

- (قالوا يا أبانا مالك لا تأمنا).
- (اقتلوا يوسف أو أطرحوه أرضا).
- (قالوا يا أبانا إنا ذهبنا نستبق).
- (قالوا إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل) .

أمـا الشخصـية المتزنـة فتظهـر بفعـل مغـاير يظهـره الضـمير ، [لا تقتلـوا يوسـف وألقـوه فـي غيابـة الجـب] . [الـم تعلمـوا أنّ أبـاكم قـد اخـذ علـيكم موثقـا مـن الله..] [أرجعـوا إلـي أبـيكم فقولـوا يـا أبانـا إن أبنـك سـرق] . فـالقرآن يظهرهـا بالشخصـية الصـادقة في كل حالاتها لا زيادة ولا نقصان (ارجعوا إلي أبيكم فقولوا إن ابنك سرق.. .)

فـإذا ركزنـا الأضـواء علـي الشخصـيات الـواردة فـي قصـة يوسـف نجـدها قـد تعـددت وكثـرت معهـا الأحـداث وكثيـرا مـا اجـري فيهـا حـوار كـان عـاملا فـي تنـامي الأحـداث بمقدار ما يخدم يناء القصة ويؤثر في إحداثها في زمان ومكان.

فقـد يرجـع بعـض الضـمائر التـي تصـلح لمواقـع إعرابيـة معينـة فـي أداة مهمـة معينـة فـي إبـراز معنـي معـين كاسـتخدامه للضـمير [هـم ، هـن] الـذي لا يصـلح إلاّ لموقـع النصـب والجـر ، فـإن اتصـاله بالفعـل دل علـي جهـة المفعوليـة فوضـح المقصـود بهـا فـي قولـه : (إنـي أري سـبع بقـرات سـمان يـأكلهن سـبع عجـاف وسـبع سـنبلات خضـر وأخـر يابسات].

شخصية يوسف:

هـي الشخصـية المحوريـة فـي القصـة فقـد تتابعـت الأحـداث وتلاحقـت فـي بنـاء هـذه الشخصـية داخليـا وخارجيـا ، فجعلتهـا شخصـية فاعلـة تـؤثر فـي غيرهـا وتتـأثر بهـا ، وقـد شـغلت حيـزا مكانيـا كبيـرا فـي القصـة مـا جعلهـا تكـون الـرابط الأساسـي لأحـداث القصة من بدايتها إلي نهايتها .

بـدأت القصـة بـالحوار بـين يوسـف ووالـده بـذكر يوسـف فـي معـرض الحكايـة (إِذْ قَـالَ يُوسُـفُ لِأَبِـيـهِ يَـا أَبَتِ إِنِّـي رَأَيْـتُ أَحَـدَ عَشَـرَ كَوْكَبـاً وَالشَّـمْسَ وَالْقَمَـرَ رَأَيْـتُهُمْ لِـي سَـاجِدِينَ{4})، ثـم تتـوارى الشخصـية فـي حالـة إصـغاء مكتفيـا بإظهارهـا بضـمير الغائـب

والخطاب اللذان يظهران في كلام يعقوب [يَا بُنَيَّ لاَ تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ] ، ثم تبدأ حركة الأحداث ونموها بشحنه جديدة بظهور لفظ الشخصية الرئيسة مضافا إلي محذوف[لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ] أي في قصة يوسف . تمهيدا لشخصيات أخري مثيرة للأحداث . بذات الكيفية التي بدأ بها[إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ).

ولما كانت الأحداث تحركها عاطفة الحسد ، قد سلط الأضواء علي لفظ [يوسف] بذكره أكثر من مرة ليكون أكثر حضورا لذهن المستمع وبعدها يستخدم الضمائر في إيجاز بديع ومعني وافر.

فالأحداث قد كشفت عن يوسف بجميع مراحل حياته فقد ظهر فيها بمظهر المطمئن الواثق بضبط انفعالاته وتصرفاته وهو يمر يشتي أنواع الفتن. فهي الدافع لحركة الأحداث ونموها داخليا وخارجيا ، فمجرد وجودها تتولد الحساسية والانفعالات الدافعة للأحداث ، فالأحداث تتحرك بمركز الشخصية ، فإن كانت الأحداث تمثل مأساة أكتفي بذكر نكرة إشارة إليها ثم تتوالي الضمائر [يا بشري هذا غلام وشروه بثمن بخس]. وإن كان الحدث يتعلق بشخصية أخري ترد للتو استعان بضمير مضافا إلي اسم يتعلق بالشخصية .

إن الناظر لقصص القرآن يجد فيه الصدق الفني و الواقعي فالأحداث صادقة، و الشخصيات تنمو نمواً طبيعياً لا تزوير فيها، فالقارئ أو المشاهد يظل في إقناع عقلي دائماً، فبالنظر إلى الشخصية المحورية و الشخصيات الأخرى التي تتفاعل معها و الأحداث الواقعة نجدها تتوافق مع الغرض الديني و الفني على السواء.

يظهر يوسف الشخصية المحورية في البداية طفلاً لا يقوى على الإرسال و إنما السمع من طبعه ذلك أن المفهوم العام، أنّ مَنْ هو طفل يقصر قاموسه و رصيده اللغوي عن ذلك و يظهر ذلك في قوله تعالى: {يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ}[1].

فهي رؤيا يطلب تفسيرها، فقد نقلها حسبما رآها، لفقر رصيده اللغوي، و بالإضافة إلى أن الموقف يقتضي حواراً للإقناع، ثم تختفي شخصية يوسف إلا من حاسة السمع لاستقبال كلام والده يعقوب. فالجملة التي ألقاها يوسف جملة خبرية تتضمن الصدق و الكذب، حتى يكون يعقوب في حالة يقين فقد أكدها بأنّ، فلم يتردد يعقوب فقال تعالى على لسانه: {يَا بُنَيَّ لاَ تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوْا لَكَ كَيْداً إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ}[2] . فالنهي يتناسب مع الصغير بل زاد على ذلك فبين له السبب.

و بعد ذلك لا تظهر شخصية يوسف إلا عن طريق الوصف أو الإشارة من بعض الشخصيات بذكر اسمه صراحة أو بضمير الغائب إلى أن يبلغ القصص مرحلة متقدمة. فقد تكرر لفظ يوسف في أكثر من موضع من خلال الحوار الذي دار بين الأخوة

قال تعالى: {لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ*إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ*اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضاً يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِن بَعْدِهِ قَوْماً صَالِحِينَ*قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لاَ تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ

1 - سورة يوسف الآية (4).

2 - سورة يوسف الآية (5).

فَاعِلِينَ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لاَ تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ}[1]. فإنه كرر اللفظ و كان بالإمكان الاستغناء عنه بالضمير فما السبب في ذلك؟ لعل السبب يعود إلى أمرين، أمر يتعلق باللغة و الآخر يتعلق بالناحية الفنية في القصة.

أما السبب اللغوي، فإن قوله تعالى: (لقد كان في يوسف و إخوته) هناك حذف و تقديره (لقد كان في قصة يوسف و إخوته)، فقد حذف المضاف منعاً للتكرار و حتى ينسجم التركيب مع النسق، لأنه لما سبقت الإشارة إلى القصص في قوله تعالى: (نحن نقص عليك أحسن القصص) فقد استغنى بالقصص عن ذكر المحذوف(المضاف) بينما المضاف إليه هناك ما يبرر ذكره لأنه يحدد مسار و مجال القصة.

و في قوله تعالى: (إذ قالوا ليوسف و أخوه) فهو بداية حوار و يوسف يمثل محور القصة فلا بد أن يذكر تعريفاً له لأنه يمثل قطبها و لما عطف على يوسف أخوه، و هم يريدون يوسف تحديداً تكرر ذكر يوسف حتى لا يختلط أو يلتبس عليهم فقال: (اقتلوا يوسف) فلو عبّر عنه بضمير الغائب (اقتلوه) فإنه في عرف النحويين أن يرجع ضمير الغائب إلى واحد فإن تعددت المراجع و اقتضى المقام الاقتصار على واحد تعين أن يكون المرجع هو الأقرب في الكلام إلى الضمير فحتى لا يحدث لبس ذكر لفظ (يوسف)، و ما يدل على ذلك لّما عُطف على جملة (اقتلوا يوسف) قال (أو أطرحوه) لأنه زال اللبس.

1 - سورة يوسف الآية (7-11).

أما قوله تعالى: (قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف) فذكره جلب للحنو و العطف و تضميناً لمعنى إتاحة الخيار. غير أنه لو عّبر بالضمير (لا تقتلوه) فيه من معنى الإلزام الذي قد يثير فيهم حقدهم القديم.

أما الناحية الفنية فإن القصة لما كانت في بدايتها فلا بد من تركيز الأضواء على الشخصية المحورية لتستقر في ذهن القارئ لذلك تكرر ذكره. و بذلك يتحد السبب اللغوي و الفني في رباط وثيق في أسلوب معجز مع الإشارة إلى البناء النفسي للشخصية من خلال الحوار الذي يوضح ملامحها.

و بعدها يتوارى يوسف لا يظهر إلا بالإشارة إلى ضمير الغائب (أرِسله ، يرتع ، يلعب، أن تذهبوا به، أن يأكله الذئب، أنتم عنه، لئن أكله، فلما ذهبوا به، أن يجعلوه ، أوحينا إليه ، فأكله ، على قميصه) و الضمائر كلها لا تخلو من إبهام أو غموض، فلا بّد من شئ يزيل إبهامها و يفسر غموضها).

فإن ضمير المتكلم و المخاطب يفسرهما وجود صاحبهما وقت الكلام، فهو حاضر يتكلم بنفسه أو حاضر يكلمه غيره مباشرة. و أما ضمير الغائب فصاحبه ل غير حاضر و لا مشاهد فلا بد لهذا الضمير شئ يوضح المراد منه، و الأصل في هذا الشئ المفسِّر أن يكون – في غير ضمير الشأن- متقدماً على الضمير، و مذكورا قبله ليبين معناه أولاً و يكشف المقصود منه ثم يجئ بعده الضمير مطابقاً له.

و الأصل في دلالة الضمير الاختصار، لأنه يغني عن ذكر ألفاظ كثيرة و يحل محلها مع سلامة المعنى و عدم التكرار، و لكنه يخص ضمير الغائب في هذا السياق فهو إشارة و دليل إلى أن من يُكنى به غير حاضر و لا مشاهد، ذلك أن

ضمير الغائب إمّا أن يرجع إلى موجود حاضر كما هو الحال في قوله تعالى على لسان امرأة العزيز: (ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً) فلما كّنت عن نفسها بذلك و لم تقل (بي) بدل (أهلك) كّنى هو عليه السلام عنها بضمير الغيبة فقال (هي راودتني) و لم يخاطبها (بأنتِ راودتيني) و هو أدب ألفاظ القرآن، و الاستحياء في خطاب الأنبياء عليهم السلام و كلامهم فقد أبرز الاسم في صورة ضمير الغائب تأدباً مع العزيز و حياًءمنه، أو أن يكون الضمير مرجعه مصرح به (لأنه معلوم في الذاكرة للحالة و الهيئة الماثلة، فمرجع الضمير حاضر لدى المخاطب فكأنه موضع الإشارة)[1].

و الذي يهمنا الضمير الذي مفسره في الذاكرة، فإنه لا يلبث حتى يظهر مفسره حينما يستدعي الأمر. فوجود (يوسف) في الذاكرة و اختفاء حضوره إلا من ضمير الغائب يتيح الفرصة لنموه نفسياً و عقلياً و جسدياً بعيدا عنا، فجاءت الألفاظ في دلالتها و جَّوسها الموسيقي تعبر في البدء عن شخصية الطفل الصغير. (أرسله، يرتع، ذهبنا به، يجعلوه).

فبالنظر إلى الجمل المستخدمة نجدها جملاً فعلية تفيد الحيوية و التجدد و الاستمرار، و هو ما يتناسب مع الأسلوب القصصي بعكس الجمل الاسمية التي تدل على الثبات فهي أنسب لنقل الحقائق. لذلك نراها تقل في الأسلوب القصصي قال تعالى:(ليوسف و أخوه أحب إلى أبينا منا و نحن عصبة) (أنتم عنه غافلون) (و هم لا يشعرون) فإنها تثبت حقائق ثابتة غير متغيرة.

ثم يطالعنا يوسف في القصة و هو غلام (و هو العمر الذي يسبق الرشد بقليل) قال تعالى: (وَجَاءتسَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوْا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا

1 - محمود صافي- الجدول في إعراب القرآن و صرفه و بيانه- مج6- دار الرشيد- دمشق ص: 198 بتصرف.

غُـــلاَمٌ). فـاللفظ و المعنـى يـدلان علـى المفاجـأة، إن اسـتخدام لفـظ (جـاء) تـدل علـى الإتيـان غيـر المترقـب، و وجـود غـلام بـداخل بئـر معزولـة أبلـغ فـي المفاجـأة للسـيارة، لـذلك كانـت صـيحتهم عاليـةً و ذلـك فـي اسـتخدام المـد الطبيعـي و حـرف (الشـين) و (الـراء)، (يَا بُشْرَى هَـذَا غُلاَمٌ)[1].

ثـم يواصـل السـياق بالإشـارة إلـى الشخصـية بضـمير الغائـب (أسـّروه ، شـروه، قـال الـذي اشـتراه، أكرمـي مثـواه، أن ينفعنـا، أو نتخـذه ولـدا) حتـى يـأتي قولـــه تعـــالى: (وَكَـذَلِكَ مَكَّنَّـا لِيُوسُفَ فِـي الأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَـهُ مِـن تَأْوِيـلِ الأَحَادِيـثِ وَاللّهُ غَالِـبٌ عَلَـى أَمْـرِهِ وَلَـكِنَّ أَكْثَـرَ النَّـاسِ لاَ يَعْلَمُـونَ وَلَمَّـا بَلَـغَ أَشُـدَّهُ آتَيْنَـاهُ حُكْمـاً وَعِلْمـاً وَكَـذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ)[2].

إشـارة إلـى اكتمـال بنيتـه النفسـية و الجسـمانية فـزاد عقلـه و نمـت غرائـزه ليقابـل الفتنـة المرتقبة، فتنة المرأة فالألفاظ تدل عليها دلالة حركية أو معنوية.

يظهـر يوسـف بحاسـة الإرسـال و الاسـتقبال فـي حـوار متبـادل بينـه و امـرأة العزيـز فقـد اكتمـل عقلـه، فبـرز عنصـر الحـوار فكـان يوسـف أكثـر أنـاة بتصـور الأمـور بمنظـار العقـل و عنـدها نـرى يوسـف فـي خطـاب مباشـر مجـادلاً و مـدافعاً عـن نفسـه مـن خـلال الحـوار قـال تعـالى: وَرَاوَدَتْهُ الَّتِـي هُـوَ فِـي بَيْتِهَـا عَـن نَّفْسِـهِ وَغَلَّقَـتِ الأَبْـوَابَ وَقَالَـتْ هَيْـتَ لَـكَ مَعَـاذَ اللّهِ إِنَّـهُ رَبِّـي أَحْسَـنَ مَثْـوَايَ إِنَّـهُ لاَ يُفْلِـحُ الظَّـالِمُونَ)[3] ، (قَالَـتْ مَـا جَـزَاء مَـنْ أَرَادَ بِأَهْلِـكَ سُـوَءاً إِلاَّ أَن يُسْـجَنَ أَوْ عَـذَابٌ أَلِـيمٌ* قَـالَ هِـيَ رَاوَدَتْنِـي عَـن نَّفْسِي)[4].

---

1 - أنظر جماليات البناء الفني للقصص القرآني للدارس – ص:138 بتصرف.

2 - سورة يوسف الآيات (21-22).

3 - سورة يوسف- الآية (23).

4 - سورة يوسف الآية (25-26).

فيوسف في الحوار الطويل يحاول إبعاد التهمة عن نفسه غير أن ضعفه حال دون ذلك فلا سلطة إلا للحاكم، فبدأ يبحث عن ملاذ آمن في السجن {قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ}.

قال تعالى:{وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانَ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْراً وَقَالَ الآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزاً تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ لاَ يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلاَّ نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِاللهِ مِن شَيْءٍ ذَلِكَ مِن فَضْلِ اللهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَشْكُرُونَ *يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ * مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُوْا إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ * يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْراً وَأَمَّا الآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِ قُضِيَ الأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ*)[1]

فالآيات تدل على اكتمال شخصية يوسف، فقد وجد في السجن الحرية و الأذن الصاغية فنشر دعوته. و الملاحظ في الحوار كثرة الجمل الفعلية الخبرية القصيرة و قلة الجمل الاسمية الإنشائية مع استخدام ضمائر الحضور (متكلم أو مخاطب) حيث لا يستخدم ضمير الغائب إلا في التمهيد للكلام (و دخل معه السجن – قال أحدهما) أو في الكلام المنقول، أما ضمير المتكلم فيكشف و يظهر الشخصية المحورية (المرسِل) بكل أبعادها و فكرها. بينما ضمير المخاطب يظهر الشخصية (المرسل إليها) بسيطة خالية الذهن تجيد حسن الاستماع و الإصغاء.

1 - سورة يوسف الآيات (36-42).

فهناك ملامح تربوية تظهر في الأسلوب الحواري و عن طريقه تبين المشاركة و التفاعل بين المرسِل و المرسل إليه و بذلك اكتملت شخصية يوسف فأصبحت مؤهلة لتولي المهام.

أما في الطرف الآخر (شخصية الأخوة) فقد عبر القرآن على لسانهم بجمل قصيرة تدل على شدة نفسهم إضافة إلى استخدام كلمات ذات جرس يحمل معنى القوة في استعمال حرف النون في الضمير (نحن) المعظم لنفسه المفاخر بها و الدال على الشدة و كذلك حرف الباء قال تعالى (إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضاً يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِن بَعْدِهِ قَوْماً صَالِحِينَ*)[1].

فإرسال الكلام عادة مصدره واحد بينما يتباين استقباله غير أن الملاحظ في الإرسال جاء بضمير الجماعة (قالوا) فذاك تصوير لا يقوم به إلا الضمير و كذلك في حالة الطلب يندر أن يكون الإنسان آمر و مأمور في آن واحد إلا عبر الضمير (اُقتلوا يوسف).

فقد أقدموا على الفعل الشنيع و لكن ما يتوقعه الأخوة لم يحدث فقد زاد تمسك يعقوب بيوسف فظهر ذلك في كلامهم (قَالُوا تَاللهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضاً أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ {85}). فإن وجود والدهم بتلك الحالة يصعب على نفوسهم من ناحية فيثير فيهم الشفقة حفاظاً على صحته، و من ناحية أخرى يولد فيهم الغضب لأن يعقوب امتلأ قلبه بحب يوسف، ومن هنا يتولد الصراع النفسي في كون قوتهم صارت ضعيفة لا تستطيع التأثير في يعقوب و لا في غيره و يظهر ذلك في

---

11 سورة يوسف الآية (8-9).

كثير من المواقف الحوارية فلا تحس بوجود للشخصية إلا عبر الضمير الذي يقوم بالمهمة.

قال تعالى: ﴿ادْخُلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلاَ تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ{*}فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ{*}قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ{*} قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَن جَاء بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ{*}قَالُوا تَاللّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ{*}قَالُوا فَمَا جَزَآؤُهُ إِن كُنتُمْ كَاذِبِينَ{*}قَالُوا جَزَآؤُهُ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ{*}﴾[1].

ففي هذا الحوار الطويل نجد أن سرّ الأحداث مكشوف ليوسف و أخيه و النظارة غير أنه مخفي عن الإخوة فتظهر السخرية و التهكم. فهم من جدٍّ من أمرهم فقد أقبلوا بوقار البريء من التهمة و قد بدأوا الحوار بثبات و صدق بيد أنهم انهاروا أخيراً بجملة أظهرت فيهم صفة الحقد القديمة، قالوا: (إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل) و هكذا إلى أن تؤول قوتهم الزائفة المستمدة من كثرتهم إلى ضعفها المحتوم.

من الملاحظ في تحليل القصة بروز أسلوب الحوار في كثير من الأحيان فهو أحد الأساليب الحية التي يستخدمها البشر في الوصول إلى الحق بالإقناع و الحجة، و من هنا تكمن أهمية الحوار في كونه يتيح للمحاور حريته الكاملة في استعمال منطقه العقلي مجرداً عن كل الاعتبارات فيكشف عن الشخصيات و بيان دواخلها من كل النواحي و ذلك عبر ضمير المتكلم أو الخطاب .

فالحوار أداة بناء نفسي داخل شخصيات القصة، و خارج إطار القصة ممثلة في المشاهدين و المستمعين فالأحداث كلها مركزة في بناء شخصية يوسف ، فكل

1) سورة يوسف الآية من (69 – 75).

حدث منها يبدأ و ينمو و يتطور حتى ذروته ثم تكون الأزمة و الانفراج فنحس معها أن هذه الأحداث لا رابط لها لكننا حين نستشعر تنامي شخصية يوسف نفسياً و عقلياً تجتمع لدينا خيوط القصة بكاملها و لا يحدث ذلك إلا عبر الضمير الدال على الشخصية .

و في الاتجاه الآخر رأينا شخصية الأخوة و من خلالها يحتدم الصراع، لذا فالبناء النفسي في قصة يوسف قد أخذ منحيين: منحنى متنام إلى الأمام و يتمثل في يوسف حيث بدأ ضعيفاً ترعاه عناية الله فآل إلى القوة و التمكين. و منحنى آخر منحدر نحو التناقص و الضعف يتمثل في الأخوة ، اغتروا بقوة جمعهم فآل بهم الحال إلى الضعف.

الخاتمة

الخاتمة و النتائج

كان الهدف من البحث التعرف على دور الضمير في الربط من خلال نصوص معينة (سوره محمد) و تمثل النص المجرد المباشر و(سورة يوسف) وتمثل النص في سياقه القصصي ، وقد اشتمل البحث على ثلاثة أبواب، حيث تناولت في الباب الأول مفهوم الدلالة وتعرفت على أنواع الدلالات سواء كانت تتعلق بالعبارة المنطوقة أو تلك الأصوات الصرفية أو النحوية والهدف من ذلك الاستعانة بها في

تحليل النص . تم تعرفت على الروابط و أنواعها ، ومميزات كل نوع سواء كانت حرفية تقوم بالربط مع معنى يخصها تضيفه على الجملة أو العبارة . أو روابط اسمية تقوم بالربط إضافة إلى المعنى الذي هي جزء منه ومكملة له. ونهدف من سرد أدوات الربط وضع خلفية تكون مدخلا إلى دور الضمير في الربط .

ثم وقفت عند المعارف مقارنة بالنكرة لبيان درجة تفاوتها في التحديد أو التعيين و المعايير التي اتخذت في تحديد ذلك . لصلتها الوثيقة بالضمير فالعلاقة متبادلة بينها ،فقد تكون لها مرجع ترجع إليه في حالة ضمير الغائب أو الإنابة عنها في بعض الحالات لأسباب بلاغية أو أن يكنى بها و إحلالها محلها لإفادة المعنى أو تهيئة الموقف ببدء الحوار خاصة في حالة ضمير المتكلم والمخاطب لذا جاء التعرف على النكرة والمعرفة .

أّما الباب الثاني فتحدثت عن الضمير ودوره في إثارة انتباه السامع أو المتلقي، حيث تناولت الضمائر بالدراسة من حيث أنواعها لاعتبارات مختلفة ودرجتها من حيث التحديد و التعيين ، ثم اتصالها بالحروف والأسماء والأفعال ودلالتها عند ذلك وكل ذلك معينات يختص بها الضمير تساعد في إثارة انتباه السامع وربط ذلك بسياق الكلام لمعرفة دور الضمير في الربط .

أّما الباب الثالث فقد خصصته للجانب التحليلي، وركزت فيه على سورتي محمد و يوسف (عليهما السلام) ومن خلال الدراسة الوصفية والتحليلية لهذا البحث أمكن التوصل إلى النتائج الآتية :

1- إنّ الضـمائر لا تتـأثر ظاهريـاً بالعوامـل المختلفـة لأنهـا مبنيـة و إن معناهـا لا يـتم إلا بانضمامها إلى لفظ آخر أو تركيب.

2- إنّ مـا تخـتص بـه الضـمائر مـن جمـود وحالـة البنـاء و اختصـار اللفـظ تبعـد التركيب من التعقيد اللفظي والمعنوي، و تزيل الالتباس.

3- إنّ الجمـود والبنـاء والاختصـار جعلـت صـورة الضـمير ثابتـة فـي التركيـب مـع تغيـر المعنـى وتجـدده. مـا أدى إلـى راحـة المتلقـي النفسـية ومـن ثـم إثـارة الانتبـاه والتركيـز على المعنى.

4- إنّ الحضـور الـذهني الـواقعي أحـد المعـايير التـي اتخـذت فـي ترتيـب المعـارف ، مـا جعـل الضـمير فـي المرتبـة الأولـى . حيـث جعلـت ضـمير المـتكلم أعـرف مـن المخاطب ثم ضمير الغائب لبعده.

5- إنّ ضـمائر الغائـب أكثـر انتشـاراً فـي الكـلام، لترسـيخ اليقـين والإقنـاع النفسـي بـربط ذهـن السـامع بـالمعنى و كسـر للملـل . والغالـب فـي مرجعهـا أسـماء الموصـول و الإشارة.

6- الضـمير المضـاف إلـى الأسـماء دلالتـه الملكيـة علـى الإطـلاق. لأن حـرف الجـر المقـدر هـو (الـلام) لأنهـا لا يشـترط فـي تقـديرها شـرط كمـا هـو الحـال فـي تقـدير(من وفى) عند الإضافة . فالدلالة تقع على أذن السامع بلا مشقه أو عناء .

7- عنـد اتصـال أكثـر مـن ضـمير يتولـد الالتبـاس فيعتمـد علـى التحديـد أو التعيـين على قرب الضمير وبعده عن ذهن السامع .

8- الضمائر المنفصلة لا لبس فيها لأنها أقرب إلى ذهن السامع وتضمنها معني الإشارة التي لها أثر في الانتباه والتركيز .

9- إنّ ضمائر الحضور من حيث الدلالة الصوتية تبدأ بالجهر وتنتهي إلى المد، أو تبدأ بالجهر وتنتهي إليه مع تضمن معنى الإشارة في أوله . غير أن ضمائر الغياب تبدأ بالهمس و تنتهي بالجهر مع تضمن معني الإشارة في آخر الضمير ذلك لقرب وبعد الضمير من المتكلم وتأثيره على ذهن السامع.

10- إنّ الضمائر لا تتصل بحروف العطف مطلقا لأنها تدخل ما بعدها في حكم ما قبلها . وقد أغنى الضمير عن ذلك .

11- إنّ الضمائر تتداخل في سياق الكلام بمرجعيات مختلفة بصور متباينة دون أن تحدث خللاً معنويا أو تنافراً في اللفظ يأنس له السامع .

12- إنّ وجود ضميرين احدهما ظاهر و الآخر مستتر بمرجعيات مختلفة في سياق واحد تجعل الكلام حيا برباط وثيق يشد السامع .

13- إنّ الربط بالضمير يضع الكلام في سياق الحال في صورة بديعة تدل على الواقعية ليتناسب مع أي موقف بدلالات مختلفة .

14- تستخدم ضمائر الحضور عند التوجيه المباشر أو تكليف يخص المخاطب أو نقل الكلام إلى موقف الحال. أما عند لفت نظر السامع يستخدم ضمائر ذات مراجع قريبة وغير متكررة لتكون أقرب إلى ذهن السامع.

15- أن الضمير الرابط الوحيد الذي يقوم بتصوير الشخصية وتحديد ملامحها .

16- إنّ الضمير من الروابط الاسمية يتميز بصفة التكرار والتنوع لإحداث نغمة صوتية تأنس لها أذن السامع دون خلل في المعنى أو تعقيد اللفظ .

17- الربط بالضمير يخرج عن الإطار اللفظي في التركيب ويتصل بالهيئة الكلامية التي لا تتم إلا بثلاثة محاور متحدث ومستمع وكلام منقول (و استغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات)

18- إنّ أكثر الروابط الاسمية وروداً هي الضمائر و أسماء الموصول غير أننا لا نحس بتكرارها لأن الموصول يختلف معناه باختلاف جملة الصلة و كذا الضمير العائد يختلف باختلاف جملة الصلة. فالعلاقة بينهما علاقة معنى وربط، يؤديان المعنى بمرونة تتوافق مع أي موقف فالربط بها ربط بروح المعنى .

19- إن الربط بالضمير و اسم الإشارة والموصول يخرج بالكلام عن إطار الزمان والمكان ، وجعله عاما مناسبا ومتوافقا لكل موقف .

20- أكثر الحروف الرابطة ورودا في كلام العرب الواو والفاء لربط المفرد والجمل لما تمتاز به من خصائص صوتية (الجهر و الرخاوة والخفة) يسهل معها النطق بها مع أداء وظيفة الربط على أكمل وجه.

21- أن الحروف الهجائية لا تتسع إلى مجموع الأصوات العربية .لذلك تجد الحركة على اختلافها زيادة في الصوت ومن ثم زيادة في المعنى .

22- بالمقارنة بين النص القصصي و المجرد . نجد أن دلالة الزمن في الضمير سمة ظاهرة فيه.

التوصيات

1.القصة القرآنية من الأساليب والطرق المتفردة في مخاطبة النفس البشرية والتأثير فيها ، فالنفس تسترسل معها في راحة شعورية تامة متتبعة كل صغيرة وكبيرة من معنى ، ويظل أثرها على الذاكرة . لذا نوصى أن تكون وسيلة لتوصيل المعرفة والمادة العلمية .

2. هناك ملامح تربوية تظهر في الأسلوب الحواري عن طريقة تبين المشاركة والتفاعل بين المرسل والمرسل إليه وفيه الإقناع بالحجة ويتيح للمحاور حريته الكاملة

فـي اسـتخدام منطقـة العقلـي مجـردا عـن كـل الاعتبـارات فيكشـف عـن مكنـون الشخصـية لذا نوصي أن يتخذ طريقة للتعلم.

3. إن التكـرار ينطبـع أثـره داخـل نفـس الإنسـان، التـي ينبـع منهـا أفعـال الإنسـان ودوافعـه. فتكـرار القـول لا يقـل تـأثيرا فـي إثـارة الانفعـال وتكـوين العاطفـة و شـحذ الـذهن لـذلك نوصـي أن تكـون دراسـة القواعـد النحويـة مـن خـلال تحليـل الـنص سـواء كـان نصـا قصصيا أو مجردا.

4. أن طريقـة العـرض فـي قصـة يوسـف ذات طـابع حركـي فـي أحداثـه حيـث نـرى الأحـداث تتلاحـق واحـدة تلـو الأخـرى بتسلسـل . فهـي ذات إثـارة مـن نـوع خـاص يجعـل القـارئ فـي حالـة تـوتر دائـم ينجـذب معـه نحـو نصـرة الحـق ، فإنـه موضـوع يصـلح للبحث.

5. أنجع طريقة لدراسة الضمائر عبر تحليل النصوص .

6. أفضـل الوسـائل لتنميـة القـدرات العقليـة لـدى الـنشء هـي دراسـة المفـردات النحويـة عبر المشاركة النصية بتحليل النصوص و إعرابها .

7. تـدريب الناشـئة علـى تكـوين جمـل قصـيرة تسـتخدم فيهـا أدوات الـربط بشـكل عملـي. لأنها الأكثر انتشارا فالوقوف عندها يسهل الكلام ويبين معناه .

8. اسـتخدام المثـال فـي دراسـة النحـو حفـز للعقـل وتنشـيط للـذاكرة التـي تنمـو مـع طالـب العلم .

المراجع و المصادر

1/ القرآن الكريم.

1/ د.إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ط الرابعة، 1980م، مطبعة الأنجلو المصرية.

2/ بـن عقيـل بهـاء الـدين عبـد الله، شـرح بـن عقيـل، تحقيـق محمـد محـي الـدين عبـد الحميد، ج2 منشورات المكتبة العصرية، بيروت، لبنان – ط الثانية.

3/ بـن منظـور أبـو الفضـل جمـال الـدين محمـد بـن مكـرم، لسـان العـرب، مـج 11، دار صادر بيروت.

4/ بن هشام أبي محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله.، أوضح المسالك الألفية بن مالك، تحقيق د/محمود مصطفى حلاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان. ط1.

5/ أبو حيان، همع الهوامع شرح جمع الجوامع.

6/ د.أبو طالب محمد سعيد، علم النفس الفني، وزارة التعليم العالي و البحث العلمي، بغداد، 1410هـ – 1990م.

7/ أبا الطيب صديق بن حسين بن علي الحسين القنوبي النجاري، فتح البيان في مقاصد القرآن،ج13 ، دار إحياء التراث الإسلامي. قطر.

8/ أحمد بن محمد بن علي المقري(الفيومي، المصباح المنير)، مكتبة عيسى البني الحلبي و شركاه، مصر 1347هـ – 1929م.

9/ الألوسي، روح المعاني، في تفسير القرآن الكريم ج26، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت، لبنان 1414هـ – 1994م.

10/ د/ بدوي طبانة، معجم البلاغة العربية، مج2، ط1، 1975م، منشورات جامعة قاريونس.

11/ الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر، البيان و التبّين، ج1، دار الجيل، بيروت.

12/ حسب الرسول أحمد محمد ، تفهيم التجويد، بدون.

13/ د. رمضان عبد التواب، التطور النحوي للغة العربية، ط 1929م، مكتبة الخانجي – القاهرة.

14/ سلطان بن عوض دريج، المختصر الوجيز في فن التجويد، ط القطرية الثامنة 2011م – 1432هـ.

15/ سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، ط الثامنة، دار الشروق، بيروت- القاهرة 1402هـ-1983م

16/ شرح الأشموي على ألفية بن مالك – تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد ج1 ط الثالثة، مكتبة النهضة المصرية

17/ د. شوقي ضيف، تيسير النحو التعليمي قديماً و حديثاً، ط الثانية، دار المعارف، القاهرة – مصر.

18/ الشوكاتي محمد بن علي بن محمد ، فتح القدير، الجانع بين فني الرواية و الدراية، ج 3 ، مكتبة و مطبعة مصطفى الحلبي و أولاده 1964م – 1383هـ.

19/أبي جعفر جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مج13، دار الفكر، بيروت – لبنان.

20/ القرطبي محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، مج 8، ط الثانية 1996م، دار الحديث، القاهرة.

21/ د/ عائشة عبدالرحمن بنت الشاطئ ، التفسير البيانى للقرآن الكريم ، ج1 ، دار المعارف ، كتب الدراسات الأدبية .

22/ د/عباس حسن ، النحو الوافى ، ج1 ، ط3 ، دار المعارف بمصر .

23/ عبد العظيم إبراهيم محمد/ خصائص التعبير في القرآن ، ج 1، ط الأولى ، المكتبة التجارية، 1413هـ - 1938م.

24/ عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ط الثانية، دار القلم للتراث – الهرم.

25/ د.عبد الله الطيب، المرشد إلى فهم أشعار العرب- ج2- بدون.

26/ د. عز الدين إسماعيل ، الأدب و فنونه، دار الفكر العربي، القاهرة- مصر.

27/ عصام عبد الله محمد، جماليات البناء الفني للقصص القرآني، رسالة ماجستير، جامعة صنعاء، اليمن 1422هـ – 2001م.

28/ د. محمد المبارك، فقه اللغة و خصائص العربية.

29/ د/ محمد حسين صره ، مرجع الضمير فى القرآن ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، 2001م .

30/ د. محمد حماسة عبد اللطيف، النحو و الدلالة، مدخل لدراسة النحو الدلالي، ط الثانية2005م، دار غريب، القاهرة.

31/ محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ج1، ط التاسعة، دار الصابوني، القاهرة.

32/ د. محمد غنيم هلال- النقد الأدبي الحديث - العلمي، بغداد، 1410هـ- 1990م

33/ د. محمد صادق قمحاوي، البرهان في تجويد القرآن، دار المنار، القاهرة.

34/ مجمع اللغة العربية، المعجم الوجيز، ط الثالثة ، المركز العربي للثقافة و العلوم، بيروت- لبنان، 1400هـ – 1980م

35/ مجموعة مؤلفين(د/ محمد مصطفى رضوان، د/ محمد السوفي، د/ عبد الله درويش)، التمهيد في النحو و الصرف، منشورات جامعة قاريونس- بنغازي، 1972م.

36/ الشيخ مصطفى الغلاييني ، جامع الدروس العربية ، ضبط وتخريج د/عبدالمنعم خليل ابراهيم ، ط7 ، ج1 ، 2006م-1427هـ دار الكتب العليمة ، بيروت ، لبنان .

37/ مناع القطان، مبادئ في علوم القرآن، ط الأولى، مكتبة المعارج للنشر و التوزيع، الرياض، 1413هـ – 1993م.

38/ هـ. ب تشارلتن، فنون الأدب، سلسلة الفكر الحديث، العدد الثاني، لجنة التأليف و الترجمة و النشر، تعريب ذكي بخيت محمود.

39/ محمد صافي/ الجدول في إعراب القرآن و صرفه و بيانه، مج 6، دار الرشيد، دمشق.